الثقافة الجديدة



النشاط الامريكي في الخليج

في ذكرى ١٤ تموز ١٩٥٨

الفيديو كوسيلة نضالية

تموز في ذاكرة المسرح

ريتسوس : الرجل ذو القرنفلة الحمراء

مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي



الثقافة الجديدة

مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

187

فهرســت

■ موقفنا : نشاط امريكي محموم لتسعير الحرب العراقية ــ الايرانية وزيادة التوتر في الخليج

■ في ذكرى ثورة ١٤ تموز

■ ابحـاث

■ قضايا راهنة

■ تقـارير

■ أدب وفن

نشاط امريكي محموم لتسعير الحرب العراقية - الايرانية وزيادة التوتر في الخليج

غدت الحرب العراقية ــ الايرانية ، باعتراف جميع المعلقين السياسيين ، من أخطر النزاعات الاقليمية في المرحلة الراهنة. وتضفي تطوراتها الدرامية المتسارعة مخاطر وتعقيدات جسيمة على مستقبل الشعبين العراقي والايراني وسيادة واستقلال بلديهما ، وتنذر بتحويل هذه المجزرة البشعة الى ازمة دولية تهدد امن وسلامة المنطقة والعالم .

وتؤكد هذه التطورات الخطيرة صحة استنتاجات حزبنا سواءً عشية افتعال هذا الصدام من قبل الدكتاتورية الفاشية في العراق أو بعد اندلاع الحرب او ماتوصل اليه المؤتمر الوطني الرابع لحزبنا الشيوعي العراقي من أن الامبريالية الاميركية والصهيونية كانتا وراء اشعال هذا الحريق المدمر واستمراريته ، استناداً الى مجمل سياسة الادارة الامريكية على النطاق العالمي .

وأصبح واضحاً أن الهدف الاساسي للادارة الامريكية من تغذيتها وتسعيرها لهذا النزاع هو تعزيز قبضتها على هذه المنطقة الهامة ستراتيجياً ، وتحويلها الى ميدان لتطبيق مبدئها القائم على النهج التوسعي على الصعيد العالمي . واتخذ هذا النهج أبعاداً أكثر صلافة وخطورة خاصة بعد ضرب الفرقاطة الامريكية « ستارك » من قبل الطيران العراقي ، هذا الحادث الذي يثير تساؤلات عديدة حول تواطؤ أمريكي عراقي ــ يشكل ذريعة لمزيد من الوجود العسكري الامريكي في منطقة الخليج . وكثفت الادارة الامريكية من اسطولها الحربي في الخليج ووصل عدد القطع الحربية البحرية الى ثماني سفن من بينها طراد نووي ، ويجري الاستعداد لارسال ١٥ سفينة حربية أخرى الى المنطقة ، اضافة الى

الاستعدادات الجارية لتجهيز الطائرات الحربية المضادة للغواصات في عمان وتكثيف نشاط شبكة طائرات الاواكس في العربية السعودية . وتساند بريطانيا هذا النشاط الامريكي المحموم في الخليج حيث تبحر العديد من القطع الحربية البريطانية التي تلقت تعليمات من وزارة الدفاع البريطانية بفتح النيران على السفن المعادية . وبدأت المقاتلات الامريكية بتحليقات استفزازية في أجواء الخليج لتنفيذ العمليات الحربية المحتملة .

وتشدد الادارة الامريكية من ضغوطها على البلدان الخليجية من أجل تقديم المزيد من التسهيلات العسكرية والقواعد العسكرية كجزء من خطتها للتدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلدان وفرض هيمنتها عليها . وتمارس الولايات المتحدة ضغوطها على حلفائها من أجل تحقيق مخططاتها القديمة في توسيع الرقعة الجغرافية لحلف شمال الاطلسي ليشمل منطقة الخليج العربي ، وابتزاز الدول الأوربية الغربية واليابان بغية ارتهان سياساتها للمخطط الامريكي . كل ذلك بهدف تعبئة الطاقات لتهديد الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية وقوى التحرر الوطني في المنطقة .

وتثير هذه الحشود العسكرية الامريكية والبريطانية والمخاطر الناجمة عنها قلق كل قوى السلم في العالم وفي الولايات المتحدة نفسها ، وحتى بين حلفاء الولايات المتحدة الذين رفضوا الانصياع للمخطط الامريكي في الخليج في اجتماع قمة البندقية الاخير . فهذه النشاطات المحمومة للادارة الامريكية وهذه الخطوات الطائشة قد تؤدي الى كوارث جسيمة تتجاوز الصراع الاقليمي الناجم عن الحرب العراقية ـــ الايرانية .

وانطلاقاً من الشعور بتزايد المخاطر جراء هذه السياسة الامريكية يأتي بيان الحكومة السوفييتية بشأن الوضع في الخليج الصادر في أوائل تموز الجاري ليطالب « باتخاذ تدابير حاسمة من أجل تخفيف التوتر في المنطقة والاقتراح بسحب جميع السفن الحربية التابعة للدول غير المنتمية الى هذه المنطقة ، وامتناع ايران والعراق عن القيام بأعمال تهدّد الملاحة الدولية . إن من شأن هذه التدابير ، علاوة على كونها تأتي ضمن سياق التسوية الشاملة للنزاع العراقي الايراني ، ان تساعد على تهدئة الوضع وازالة خطر توسيع البؤرة المتفجرة للتوتر العسكري » .

لقد استقبل هذا البيان السوفييتي بارتياح من قبل شعوب المنطقة والقوى والاطراف التي لها مصلحة باخماد هذا الحريق وتخفيف التوتر . ولم يلق هذا البيان القبول من قبل الادارة الامريكية لانه يحد من تحقيق خطط الولايات المتحدة في منطقتنا . الا أن ما يلفت

الأنتباه هو موقف السلطة الدكتاتورية الفاشية في العراق التي بادرت على لسان رأس النظام في تصريحاته الاخيرة الى مجلة الدستور الاسبوعية الصادرة في لندن عدد ٤٨٩ بالرد عملياً على هذه المقترحات ، من خلال قصفها مجدداً للناقلات المدنية في الخليج .

ان نهج الدكتاتورية الفاشية في العراق يصب الماء عملياً في طاحونة السياسة الامريكية ويعمل على زيادة التوتر خدمة لسياسة الولايات المتحدة في تشديد قبضتها على بلدان المنطقة . ان منطق السلطة العراقية يستند الى توسيع الحرب بتدويلها أو تعريبها كوسيلة لخروج النظام من أزمته جراء اشعاله لهذه الحرب القذرة .

إن واجباً وطنياً وقومياً وأممياً يقع على عاتق كل قوى المعارضة الوطنية العراقية في تشديد نضالها من أجل وقف هذا التصعيد الخطير في منطقة الخليج ، وانهاء الحرب العراقية ــ الايرانية . وان رفع افضل الشعارات ازاء الحرب المدمرة استناداً الى انهائها ومنع تعريبها أو تدويلها من شأنه أن يعبىء أوسع الجماهير الشعبية في بلادنا من أجل وقف هذه المجزرة البشعة وانقاذ بلادنا وشعبنا من جرائم الدكتاتورية الفاشية والاطاحة بها . وأن أية أوهام حول الاستعانة ببدائل أخرى أو التشبث بالتعنت الايراني من شأنه أن يعقد نضال القوى الوطنية المعارضة بعربها وأكرادها وأقلياتها القومية .

لقد طرح حزبنا الشيوعي منذ بداية الحرب برنامجاً لإنهاء الحرب العراقية الايرانية وطور هذا البرنامج تبعاً للتطورات الجارية على ساحة الحرب وقد دعا الحزب في وثائق مؤتمره الرابع ، وفي وثائقه اللاحقة إلى الايقاف الفوري للعمليات العسكرية ، والدخول في مفاوضات مباشرة أو بمساعدة طرف ثالث ، واحترام سيادة أراضي الطرف الآخر ووحدتها وسلامتها ، دون إلحاق وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، وعودة الطرفين إلى الحدود الدولية ، وتشخيص المسؤول عن إشعال الحرب وإدانته دولياً ، وتصفية آثار الحرب وعودة المهجرين قسراً إلى وطنهم العراق وتبادل الأسرى وعدم اللجوء إلى استخدام الأسلحة المحرمة دولياً ومنها الأسلحة الكيماوية ، وسحب القوات والأساطيل الحربية الأجنبية في منطقة الخليج وضمان حرية الملاحة لجميع الدول .

ان حزبنا سيواصل النضال من أجل طرح برنامجه على الرأي العام في بلادنا وعلى النطاق العربي والدولي وتعبئة قوى شعبنا وكل القوى الحليفة والصديقة من أجل تحقيق هذا البرنامج النبيل ، تنفيذاً لمسؤوليته في انهاء هذه المجزرة وتخفيف التوتر في المنطقة كمساهمة في ضمان السلم والامن في العالم .



في ذكرى ثورة ١٤ تموز

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ منعطف هام في التاريخ العراقي والعربي

ماجد أمين

تسلمت «الثقافة الجديدة» هذه المقالة التي كانت قد أرسلت في الاصل الى جريدة «الخليج» الصادرة في دولة الامارات العربية المتحدة ــ امارة الشارقة مساهمة في نقاش واسع جرى على صفحات الصحيفة اثاره كتاب عن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة وقيادتها اصدره الدكتور اسماعيل العارف الذي كان قد شغل مناصب رفيعة في حكومة الثورة .

ولم تفسح الصحيفة المذكورة المجال لهذه المساهمة فاختار كاتبها أن يرسلها الى «الثقافة الجديدة» التي تنشرها في مناسبة الذكرى ٢٩ للثورة المجيدة .

تابعت ما نشر في جريدتكم الغراء من حلقات منقولة عن كتاب الدكتور اسماعيل العارف عن اسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية العراقية ، كما وأتيحت لي الفرصة للاطلاع على مجموعة المقالات المثيرة للجدل التي كتبها ، السيد عوني فرسخ والتي قام فيها بالهجوم الحاد على قيادة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة والمديح الحار جداً لقوى الثورة المضادة . ولقد وجدت نفسي في البداية متردداً في التعليق على ما جاء في المقالات

المذكورة لسببين ، اولهما شكي في امكانية نشر ما اكتبه من وجهة نظر وتعليق على ما كُتِبَ ، وثانيهما اعتباري ان مقالات السيد عوني فرسخ لا تستحق التوقف والتعليق ، فالكاتب غير معروف لمن عاشوا ثورة ١٤ تموز المجيدة شهوداً على أحداثها أو دارسين لها ، فجاءت كتاباته مثيرة للشفقة في أحسن الاحوال نتيْجة للجهل البالغ ليس في فهم وتحليل الاحداث التاريخية فحسب بل وحتى في معرفة تواريخ الاحداث وتسلسلها ، ثم جاء قراري في الكتابة لأنني وجدت أن ما نشر فيما يتعلق بثورة ١٤ تموز المجيدة وظروفها الموضوعية والذاتية ، أحداثها ومكتسباتها ، ايجابياتها وسلبياتها ، هو تحد لكل من عاش تلك الفترة وتابع أحداثها ومن واجب هؤلاء وأنا واحد منهم ، الدفاع عن الحقيقة المتصلة بذلك الحدث العظيم في التاريخ العراقي والعربي .

لقد ركز السيد فرسخ هجومه على سير الامور في العام الاول من الثورة في حين أن الجماهير الشعبية الكادحة وسائر القوى الوطنية الديمقراطية هي أكثر اعتزازاً بتلك الفترة بالذات والتي كانت أكثر تجاوباً مع اهداف جبهة الاتحاد الوطني ، أهداف ثورة ١٤ تموز المتفق عليها من قبل جميع الاطراف الوطنية ، فخلالها كانت الجماهير تمارس عملياً الكثير من حقوقها الديمقراطية وكانت المبادرة الشعبية ذات شأنٍ اساسي في سير الثورة وليس عبثاً أن تحقق في تلك الفترة خيرة منجزات الثورة ، كالقضاء على الحكم الملكي الاستعماري وانتهاج سياسة مستقلة ، صدور قانون الاصلاح الزراعي والعمل على تطبيقه ، الخروج من حلف بغداد ومن كتلة الاسترليني والغاء الاتفاقية الثنائية مع بريطانيا ، وعقد اتفاقيات اقتصادية وثقافية متعددة مع البلدان الشقيقة والصديقة مما عزز الاستقلال الوطني وطور الاقتصاد الوطني ، وقيام نقابات وجمعيات مهنية واجتماعية .. وغيرها .

وقد استغربت لتلميحات فرسخ غير اللائقة فيما يتعلق بـ«الاقليات القومية» واتهامها ، بممارسات سلبية افشلت انجاز الوحدة العربية . ان الاحباطات المستمرة التي عانت منها الحركة القومية العربية في انجاز وحدتها يجب أن لا تلقى اسبابها على الاقليات القومية في وطننا العربي ، فالشعب العراقي يعي جيداً العلاقة النضالية العميقة بين كل القوميات المتآخية في العراق ومسؤولياتها في النضال من أجل (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق) . من هم الحريصون على حركة التحرر الوطني في البلدان العربية ؟ أهم اولئك الذين يوجهون حرابهم الى الوجه المشرق لتضامن القوميات المتآخية للشعب العراقي ، واختلاق مواقف متباينة ومتناقضة بينها ، متجاهلين أن هذه

القوميات قد تأثرت وانصهرت بنضالها المشترك ضد الاستعمار في بوتقة واحدة ، على العكس من الدعوات التي تتزعمها اسرائيل والامبريالية العالمية لتفتيت الشعب العراقي الى اقوام وطوائف متصارعة وتحويله الى لبنان آخر أو كما يجري في اجزاء اخرى من وطننا العربي .

ولم يتورع السيد فرسخ عن اطلاق اقذع النعوت على محكمة الشعب ورئيسها ،العقيد الشهيد فاضل المهداوي أن المرء ليتساءل هنا : هل يعرف السيد فرسخ أن جميع المحاكمات كانت علنية يحضرها جمهور غفير من المواطنين وتنقل مباشرة الى الشعب بواسطة الراديو والتلفزيون ؟ ترى هل شهدت منطقة الشرق الاوسط محاكمات مماثلة وبهذه الدرجة من العلنية ؟ ونتساءل ايضاً : لماذا اغفل أو تغافل السيد فرسخ عن اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد فاضل المهداوي ورفاقهم البررة بالاضافة الى الالاف من خيرة أبناء الشعب العراقي بدون محاكمات وبتصفيات جسدية مريعة في شباط ١٩٦٣ ؟ .. ألم يكن من المناسب أن يمنحوا نفس الفرصة في المحاكمات العلنية أم أن قتلتهم لم يكونوا بالجرأة الكافية لفعل ذلك أو لانهم كانوا مدركين لحب الشعب واعتزازه برجاله البررة الذين استشهدوا دفاعاً عن قضايا الشعب العادلة ؟ لقد نشر السيد فرسخ غسيله غير النظيف لتحقيق هدف فشل فيه كل من سعى اليه ، فلم يفته وهو يكيل الشتائم لقادة ثورة تموز المجيدة بالتعريج قليلاً وشتم القوى الوطنية التقدمية ليس في العراق فحسب بل وفي جميع البلدان العربية واتهمهم (باليسار غير القومي) كونهم كما يدعي ادوات وظفت للضغط على الرئيس جمال عبد الناصر ! لمصلحة من هذه الشتائم والاتهامات الباطلة التي يوجهها الكاتب لقوى كانت ولا تزال رأس حربة في نضال شعوبنا العربية ضد الامبريالية والصهيونية وتناضل باخلاص من أجل تحقيق الوحدة العربية على أسس صحيحة راسخة ؟

يعرف الجميع أنه تحت شعار «مكافحة الشيوعية» سيء الصيت شنت الامبريالية والصهيونية وعملاؤها اشرس الهجمات الضارية على الوطنيين جميعاً سواء في العراق أو في باقي البلدان العربية ، فوصلت عقوبة المتهمين بهذه التهمة الى الاشغال الشاقة المؤبدة أو الاعدام كما حصل في العراق في العامين ١٩٤٧ و١٩٤٨ . ثم العام ١٩٦٣ حين صدر البيان رقم (١٣) المشؤوم الذي أباح قتل الشيوعيين بالجملة دون محاكمة .

لا أريد هنا أن أكون مدافعاً عن قوى وطنية تقدمية في العراق أو باقي الدول العربية

لا تحتاج لمن يدافع عن شجاعتها وصلابتها وسلامة مواقفها بعد أن امتدت جذورها عميقاً في قلوب شعوب بلداننا العربية ، بل أن ما اريده هو طرح وجهة نظر فيما طرح من نقاط رئيسية ، والتذكير بأهم أحداث ثورة ١٤ تموز المجيدة كما تعيش في ضمائر ابناء شعبنا العراقي الذي عانى طويلاً من مؤامرات الدوائر الامبريالية وشركات النفط الاحتكارية ، وقدم خيرة ابنائه شهداء بررة لنضال شعبهم في سبيل الحرية للوطن والسعادة للشعب .

الظروف الموضوعية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

كان الحكم الملكي العميل قبل ثورة تموز قد وضع البلاد تحت تصرف الدول الامبريالية بموجب حلف بغداد والاتفاق الخاص مع بريطانيا واتفاقية الامن المتبادلة مع امريكا وبذلك حوّل البلاد الى قاعدة ينبعث منها الخطر على البلاد العربية الشقيقة وعلى مصير الشعب العراقي بالاضافة الى نهب ثروات البلاد العامرة بالخيرات وترك الشعب يعاني الحرمان والجهل والمرض والشقاء . وقد تميز الوضع الاقتصادي بانعدام التخطيط وبجميع مظاهر التخلف وعدم التوازن في تركيب الهياكل الاقتصادية والتبعية الكاملة للاقتصاد الاستعماري ، في حين تفشت الامراض المستوطنة وانتشر الجهل والامية بين أكثر السكان مع انخفاض مستوى المعيشة وقلة عدد المستشفيات والاطباء وغيرها . وفي الوقت ذاته كانت الحكومات العراقية المتعاقبة توجه اهتمامها الكبير نحو أجهزة وأساليب القمع السياسي وسيطرة العقلية البوليسية على كل شيء . وتحت شعار مكافحة الشيوعية سيء الصيت شنت الهجمات الضارية على الوطنيين واصدرت المجالس العرفية اشد الاحكام ضدهم ، وواجهت المطالب الجماهيرية بالقوة المسلحة ، واغرقت المظاهرات والاضرابات السلمية بالدماء ، كما حدث لعمال النفط في كاورباغي ، وباشرت السلطة بعدها بتشديد غاراتها البوليسية والبطش بالوطنيين الا أن ذلك لم يوقف المد الجماهيري المتصاعد ، حتى اذا اعلن عن التوقيع على معاهدة بورتسموث في كانون الثاني ١٩٤٨ انفجر الشعب العراقي وبمختلف قطاعاته في انتفاضة جماهيرية عارمة شملت العراق بأكمله ليحبط المعاهدة المذلة ، ويسقط وزارة صالح جبر . الا أن عدم قيام جبهة وطنية موحدة وتصعيد النظام الرجعي لاجراءات الارهاب والبطش اضاع على الشعب فرصة تاريخية لتحقيق انتصار حاسم ، هذا الانتصار الذي تأخر عشر سنوات كاملة ليتحقق في ١٤

تموز عام ١٩٥٨ .

ولم يستكن الشعب العراقي خلال تلك السنوات فبعد توقيع الحكومة العراقية في شباط عام ١٩٥٢ على اتفاقية (المناصفة بالارباح) التي ضمنت للشركات الاحتكارية التحكم بانتاج النفط واسعاره ، اندفعت القوى الوطنية الى تنظيم اضراب سياسي شامل للبلاد بأسرها فسقط العديد من القتلى والجرحى وتم بعدها تنفيذ جملة من احكام الاعدام .

كما هز الشعب العراقي تنامي الحركة الثورية ، في الأقطار العربية وانتصار ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر فهبت الجماهير لنصرة الشعب المصري الشقيق . وفي تشرين اول ١٩٥٢ تصاعدت موجة الغضب للجماهير الشعبية فهتفت بسقوط مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط فسقطت الوزارة وشكلت أخرى عسكرية زحفت بالجيش ومصفحاته لقمع الشعب . وجاء العدوان الثلاثي على مصر وموقف الحكومة العراقية الخياني تجاهه ليصب على لهيب الحقد الشعبي زيتاً فجاءت انتفاضة خريف عام ١٩٥٦ التي دامت شهرين ودعت القوى الوطنية خلالها لاول مرة الى استعمال النفط كسلاح في المعركة وسحب الارصدة والودائع والخروج من كتلة الاسترليني ، الامر الذي قابلته الحكومة باعلان الاحكام العرفية واغلاق المدارس والكليات وتصعيد الارهاب .

لقد كشفت سلسلة الانتفاضات والاضرابات خلال سنوات الاربعينات والخمسينات عن الامكانيات الهائلة للجماهير التي لم تستنفد بعد في محاربة الاستعمار ورفعت الى حد كبير شعور التضامن الكفاحي بين الشعب العراقي وحركته التحررية وسائر الشعوب العربية ، وعززت ثقة الحركة الوطنية بامكانياتها وعمقت عزلة الحكم وأرعبته .

العوامل الذاتية لثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨

بعد أن وقفت الحكومات الرجعية في العهد الملكي بقوة ضد قيام نظام وطني ديمقراطي في العراق اضطرت القوى السياسية الوطنية الى العمل لاسقاط النظام الملكي العميل واقامة الجمهورية وتشكيل حكومة وطنية معادية للامبريالية والصهيونية وتمارس سياسة عربية تقدمية واضحة ، وتعمل على توطيد الاستقلال السياسي وتعزيزه بالاستقلال الاقتصادي والتحولات الاجتماعية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . كما وكانت القوى

الوطنية التقدمية تسعى لتثبيت الوحدة الوطنية بين جميع طبقات الشعب وفئاته التي يهمها استقلال العراق وتقدمه وانتصار النظام الديمقراطي فيه . ان حجر الزاوية في بناء هذه الوحدة هو الصداقة والاخوة والمساواة التامة في جميع الحقوق السياسية والثقافية والاقتصادية بين القوميتين الرئيسيتين اللتين يتألف منهما الشعب العراقي ، بين العرب والاكراد ، اي أن النضال ينصب لتحقيق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان العراق . أما فيما يتعلق بالاتحاد العربي الذي تنشده الشعوب العربية فقد كانت من شروطه ان يضمن الحقوق المتساوية التامة للاقليات القومية في كل الاقطار العربية ومساعدة تلك القوميات في تنمية ثقافتها القومية والثقافة العامة والمحافظة على تاريخها القومي ولغتها واثارها التاريخية . وحول القضية الفلسطينية فقد تم في اوائل الاربعينات تشخيص الصهيونية على انها حركة عنصرية فاشية «فالفاشية والصهيونية ليس سوى توأمين لبغي واحد هي العنصرية محظية الاستعمار» ولذا جرى الربط بابداع بين النضال من أجل القضية الفلسطينية ونضال الشعوب العربية التحرري . كذلك عملت القوى الوطنية التقدمية ومنذ الثلاثينات على الربط الخلاق للنضال الاقتصادي بالنضال السياسي فتطورت الاضرابات الاقتصادية الى مظاهرات سياسية ضد الاستعمار واساليب الحكومة الرجعية .

ان الطريق الوحيد للخلاص من الاوضاع السائدة انذاك كان بتلاحم القوى الوطنية بعد أن توطدت بينها العلاقات التي فرضتها ظروف الانتفاضات الشعبية المتلاحقة ، وبذا نشأت جبهة الاتحاد الوطني التي سعت الى :

١) تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي .
٢) الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلاد العربية المتحررة .
٣) مقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله ومصادرة وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها الحياد الايجابي .
٤) اطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية .
٥) الغاء الادارة العرفية واطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لاسباب سياسية .

كما وندد البيان الصادر عن الجبهة في ٩ آذار ١٩٥٧ بمبدأ ايزنهاور واعتبره شكلاً من اشكال السيطرة الاستعمارية .

ان قيام جبهة الاتحاد الوطني كان من أهم عوامل تنامي النشاط التنظيمي داخل القوات المسلحة وتنشيط حركة الضباط الاحرار الناشئة نتيجة زيادة النقمة لدى الضباط والجنود على الحكم . فأخذت برامج الضباط الاحرار نفس الخطوط العامة لجبهة الاتحاد الوطني مع التأكيد على تشكيل (مجلس قيادة الثورة) الذي يشرف على انجاز مهام الفترة الانتقالية لحين اجراء الانتخابات وتشكيل المجلس الوطني الذي يتولى وضع دستور البلاد ، وان تشكل حكومة مدنية من الاحزاب السياسية الوطنية المؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني .

تفجير الثورة

وهكذا توافرت العوامل الموضوعية والذاتية التي ساهمت بشكل مباشر في الانتصار السريع والمذهل لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجيدة التي كانت ثمرة حركة وطنية عارمة بشرت ببداية مرحلة جديدة وهامة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية في العراق . ان ثورة ١٤ تموز استمدت اصالتها من تجارب الشعب في النضال ضد الاستعمار عبر عشرات السنين فارتبطت بحركة التحرر الوطني العربية والعالمية ، وفجرت الطاقات الهائلة للجماهير المكبوتة التي اندفعت للذود عن ثورتها وصيانة المكاسب الجديدة وشاركت مشاركة فعالة في تصفية بؤر التآمر والقبض على كبار الرجعيين وتسليمهم الى السلطة .

واصدرت القوى الوطنية جملة من البيانات تأييداً للثورة وتشخيصاً للمهمات الآنية التي تواجه الثورة وقيادتها للحفاظ على الجمهورية الفتية منها :

أولاً : سياسة وطنية واضحة وحازمة ، وهذا يستوجب اعلان انسحاب العراق فوراً من ميثاق بغداد والغاء الاتفاقية الثنائية مع بريطانيا واعلان الاتحاد الفيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة واليمن ، واعادة النظر في علاقات العراق الخارجية على اساس مستقل مع كل البلدان الشقيقة والصديقة .

ثانياً : سياسة تعتمد على الثقة بالشعب وعلى يقظته ووعيه وطاقاته الخلاقة ، وهذا يقتضي اطلاق حرية التنظيم والنشر والاجتماع للشعب واطلاق سراح السجناء السياسيين وتشجيع قيام اللجان الشعبية للدفاع عن الجمهورية .

ثالثاً : فرض رقابة سريعة وحازمة على شركات النفط والبنوك والموانىء والمخازن والمؤسسات الاقتصادية الكبرى .

لقد انهارت الركيزة الاستعمارية باعلان العراق الانسحاب الفوري من الاتحاد الهاشمي بعد يوم من الثورة لاسقاط اية حجة للتدخل باسم الاتحاد الهاشمي . وكانت الجمهورية العربية أول دولة اعترفت بالجمهورية العراقية ، وبعد اعتراف الاتحاد السوفيتي في ١٧ تموز ١٩٥٨ بالثورة توالت اعترافات دول العالم . وبذا بقيت القوات الامبريالية والتي نقلت على عجل الى لبنان والاردن جامدة في مكانها بعد تحركات القوات السوفيتية عند الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي .

لم تكن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ انتصاراً تاريخياً حاسماً للشعب العراقي فقط بل كانت حدثاً تاريخياً بالنسبة للعالم أجمع فقد حطمت اقوى حصون الاستعمار والرجعية في الشرق الأوسط آنذاك وسحقت نظاماً رجعياً متعفناً ونقلت العراق من معسكر العدوان والتآمر الى معسكر الحرية والسلم في العالم ، مضيفة لحركة التحرر الوطني العربية قوة هائلة ودفعاً ثورياً جديداً ، وانعشت آمال وثقة شعوب الشرق الاوسط بقدرتها على التحرر من نير الاستعمار والرجعية . ان مجرد سيطرة حكومة عراقية وطنية على منابع النفط الذي كان يصب في خزائن الاحتكارات سيلاً لا ينقطع من الذهب أثار الفزع الرهيب بين أوساطها فلم تقف مكتوفة الايدي وهي تشهد سقوط ركيزتها الاساسية ، النظام الملكي الرجعي ، وانهيار حلف بغداد ، بل راحت تتحين الفرص وتتآمر لاستعادة العراق الى ركب التبعية الامبريالية مستخدمة دول حلف بغداد لتنفيذها ، وقد دفع ذلك قيادة الثورة للبت على الفور بخروج العراق رسمياً من حلف بغداد المشؤوم الذي أخذ ينبعث منه الخطر الاكيد على الجمهورية الفتية . ثم جاء التمسك بسياسة الحياد الايجابي ، وانسحاب العراق من حلف بغداد وتحريره من معاهدة الامن المتبادل والاتفاق الثنائي مع بريطانيا في آذار ١٩٥٩ لتدعم وتكمل استقلال العراق السياسي وتعزز مركزه في المجال العربي والعالمي .

وفي آيار ١٩٥٩ أعلنت حكومة الجمهورية العراقية عن فسخ الاتفاقيات الثلاثة التي فرضتها الولايات المتحدة الامريكية على العراق بالتعاون مع اقطاب الحكم المباد في عامي ٥٤ــ١٩٥٥ بشأن المساعدات العسكرية واستخدام الاسلحة والمعدات الامريكية والخروج من مبدأ ايزنهاور . وتلبية للمطالبة المستمرة واستجابة لمتطلبات السيادة الوطنية أعلن في أواخر حزيران ١٩٥٩ الخروج من منطقة الاسترليني . وبعد مفاوضات طويلة اصدرت الحكومة العراقية القانون رقم (٨٠) لسنة ١٩٦١ الذي بموجبه حررت ٥ر٩٩٪

من مناطق امتياز الاحتكارات النفطية بما فيها مناطق ثبت وجود النفط فيها بكميات كبيرة وشرع بحفر الابار فيها (حقل الرميلة الجنوبي) واضعة الاساس للاستثمار الوطني للنفط وبذلك قلصت الى حد كبير من نفوذ الاحتكار النفطي الاقتصادي والسياسي في العراق دون أن تقضي عليه نهائياً ، وهكذا وجد العراق نفسه لأول مرة بعد عدة قرون متحرراً من العبودية والتبعية السياسية ، دولة مستقلة ذات سيادة لا ترتبط باية مواثيق سياسية أو عسكرية تحد من استقلالها وتضر بمصالح شعبها ، وأصبح مثالاً يحتذى به في مقارعة الاستعمار وأحلافه العدوانية والانتصار عليه استناداً الى وحدة الشعب وعزمه على النضال من أجل استكمال استقلاله وإلى تأييد قوى الحرية والسلم في العالم .

العلاقات الدولية الجديدة

في اوائل تشرين الأول ١٩٥٨ عقد العراق أول اتفاقية اقتصادية مع الاتحاد السوفياتي وعلى اساسها تم عقد اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني بينهما في اواسط آذار ١٩٥٩ . بعدها ساعدت الحكومة السوفياتية في تسليح وتدريب الجيش العراقي مما ادى الى تعزيز القدرة الدفاعية للجمهورية . ثم جاءت الاتفاقية الثقافية في أواخر نيسان ١٩٥٩ عاملاً في تطوير الكوادر العلمية والفنية العراقية . وفي آب ١٩٥٨ تبادلت الجمهورية العراقية العلاقات الدبلوماسية مع معظم الدول الاشتراكية وعقدت معها اتفاقيات اقتصادية وعلمية وفنية متعددة .

سياسة التضامن العربي

أصبحت الجمهورية العراقية قوة راسخة من قوى التحرر العربي تمد الحركة العربية التحررية في الجزائر بمختلف اشكال المعونات التي ساعدتها على تحقيق انتصارات مشهودة . فصرح رئيس وفد الحكومة الجزائرية الحرة السيد فرحات عباس في زيارته للعراق في نيسان ١٩٥٩ (ان موقف العراق من الثورة الجزائرية هو انتصار لقضية الجزائر ولسياسة التضامن العربي الذي تنتهجه الثورة في العراق) . كما وقدمت حكومة الجمهورية العراقية مختلف اشكال العون والمساعدة الى الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الصهيونية والامبريالية .

أما فيما يتعلق بالارتباط مع الجمهورية العربية المتحدة فقد اقيمت اوثق الصلات وعقدت الاتفاقيات العسكرية والاقتصادية والثقافية . كما وأخذت بنظر الاعتبار ارادة

جماهير الشعب واحزابه السياسية فيما يتعلق بأشكال الارتباط معها ، واستمر التأكيد على الاتحاد الفيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة واليمن . وسيجري لاحقاً بحث هذا الجانب بالتفصيل .

في سبيل الاستقلال الاقتصادي وتحرير الثروة النفطية

لقد ادركت القوى الوطنية التقدمية بأنه لا يمكن صيانة الاستقلال السياسي بدون تصفية عوامل التبعية الاقتصادية ولا سيما التحرر من هيمنة الرأسمال الاحتكاري الاجنبي وتطوير الاقتصاد الوطني . وقد شخصت عوامل التبعية الاقتصادية في العراق بـ :

- هيمنة القطاع النفطي على الاقتصاد الوطني وخضوعه التام للسيطرة الاجنبية .
- تبعية النظام النقدي والمصرفي والمالي .
- ضعف القطاع الصناعي الوطني .
- ضعف الدخل الوطني .

ومع ادراك القوى الوطنية بأن تأميم النفط هو الحل الجذري الا أن الظروف الموضوعية والذاتية لم تكن مهيأة لوضعه موضع التطبيق فاتفقت على إبقائه هدفاً ستراتيجياً وان ينصب الاهتمام والنضال على تعديل الامتياز وبعبارة أخرى تأميم ٩٩٫٥٪ من منطقة الامتياز وبعد أن قامت الشركات الاحتكارية في حرق محطة تعبئة النفط في بغداد ومحاولة حرق منشآت النفط في عين زالة بادرت الحكومة العراقية الى تعريق اجهزة التصفية والتعبئة والتوزيع واحداث جهاز خاص بالحقول النفطية فتحولت جميع المصافي الى الادارة العراقية .

ثم جاء اصدار القانون رقم (٨٠) في كانون اول ١٩٦١ فاستطاع العراق من خلاله تحرير ٩٩٫٥٪ من مجموع الاراضي العراقية المشمولة بعقود الامتياز والتي كانت تشمل مساحة العراق بأكمله وبذا استرجع العراق مناطق غنية مكتشفة وذات احتمالات كبيرة .

وبفضل وعي الشعب ويقظة قواه واحزابه الوطنية التقدمية فشلت مساعي الشركات الاحتكارية بالالتفاف على القانون رقم (٨٠) وافراغه من محتواه بعد أن حرر الاراضي العراقية من احتكار استثمارها وبالتالي تحريرها ووضع الاساس لقيام الصناعة النفطية الوطنية .

الخروج من المنطقة الاسترلينية والسياسة المالية

كان الدينار العراقي مرتبطاً بالجنيه الاسترليني بدل الذهب . وبتدهور الجنيه نتيجة لتدهور موقع بريطانيا الاقتصادي تدهور معه الدينار العراقي وتحمل البلد خسائر كبيرة نتيجة لهذا الهبوط . بالاضافة الى ذلك فان الخضوع للجنيه الاسترليني يحتم بقاء غطاء الدينار وكل ما يحصل عليه العراق من عائدات النفط والعملات الاجنبية الاخرى في بريطانيا على شكل اسهم لقاء فوائد ضئيلة ، مع فرض استيراد حاجات العراق من بريطانيا وباسعار مرتفعة جداً . ولم تكتف بريطانيا بكل ما تقدم بل وكانت تستخدم تلك الارصدة كرهينة سياسية تستغلها للضغط والتهديد وفرض سياستها الاستعمارية كما فعلت مع مصر خلال العدوان الثلاثي . وكانت الحكومة البريطانية قد عمدت عام ١٩٤٧ الى تجميد هذه الارصدة وطالبت العراق (كباقي بلدان الكتلة الاسترلينية) بالتنازل عن جزء هام منها بحجة مشاطرة بريطانيا «تضحياتها» ومجهودها في «الدفاع» عن العراق خلال الحرب العالمية الثانية .

من هنا جاءت ضروريات فك الارتباط بالكتلة الاسترلينية وسحب الارصدة المتجمدة في بريطانيا مما يؤمن ضمانات اكبر لتعزيز مركز الدينار العراقي في الاسواق الاجنبية وتدارك أخطار التجميد .

لقد كان خروج العراق من منطقة الاسترليني في ٢٢ حزيران ١٩٥٩ خطوة هامة لتحقيق الاستقلال الاقتصادي وتوطيد الاستقلال السياسي وتنشيط التجارة الخارجية وضمان حرية ادارتها ، ثم صدرت جملة من القرارات الوطنية التي تنظم عمل شركات التأمين الاجنبية ، والوكالات التجارية وتحدّد نشاط الرأسمال الاجنبي ، وتشجّع الاستثمارات في مجال الصناعة.

أما السياسة المالية بعد ثورة ١٤ تموز المجيدة فقد كانت في جوهرها سياسة تحررية معادية للاستعمار ولكنها كانت قليلة بالنسبة لاوضاع العراق الاجتماعية والاقتصادية السيئة .

سياسة التصنيع

عملت السلطات العميلة قبل الثورة مافي وسعها لعرقلة تطور القوى المنتجة وحالت دون تطور مصادر تراكم الرأسمال الوطني ولا سيما الرأسمال الصناعي ، وهكذا فقد

كان المجال رحباً أمام الرأسمال الاجنبي ليحدد كما يريد ابعاد وعمق عملية استغلال خيرات الرأسمال المستثمر في العراق . كما وتم اخضاع قطاع الدولة في الصناعة على الرغم من ضعفه ومظاهره السلبية المتعددة لمصلحة القطاع الخاص واخضاعهما معاً لمصلحة القطاع الاجنبي الاستعماري . لذا فقد اتبعت الحكومة الوطنية بعد ثورة ١٩٥٨ ثلاث وسائل رئيسية لتطوير القطاع الصناعي هي :

— عقد الاتفاقيات الفنية والاقتصادية مع البلدان الشقيقة والصديقة .
— زيادة نسبة الاستثمارات الحكومية في الصناعة .
— تشجيع القطاع الصناعي الخاص .

وبصورة عامة سارت سياسة التصنيع في العراق بعد ثورة ١٤ تموز المجيدة على اساس معاداة الاستعمار وتقويض مواقعه الاقتصادية في العراق من جهة والاتجاه الرأسمالي وتطوير القطاع الخاص من جهة أخرى .

الديمقراطية الاجتماعية

ان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي تعتبر من الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة احدثت تغيراً في علاقات الانتاج شبه الاقطاعية التي تخدم الاستعمار باتجاه الانتقال الى علاقات رأسمالية وطنية معادية للاستعمار والاقطاع ، وخلقت الظروف الملائمة للجماهير من أجل تعجيل وتيرة التغيرات الاجتماعية .

الاصلاح الزراعي : ان الثورة الزراعية ، ثورة الفلاحين ضد الاقطاع كانت من أهم مضامين ثورة ١٤ تموز الديمقراطية المعادية للاستعمار والاقطاع . فان درجة تركيز الملكية الزراعية قبل الثورة تكاد تكون فريدة من نوعها في العالم فـ١٪ من سكان الريف يستحوذ على ثلاثة أرباع الاراضي . وبالرغم من أن الحكومة الوطنية بعد الثورة كانت متخوفة من مقاومة الملاكين لاجراء اصلاح زراعي سريع الا أن الوعي الشامل للفلاحين ومساندة القوى الوطنية التقدمية لها دفعها لاصدار مشروع شامل للاصلاح الزراعي برقم (٣٠) في الأول من تشرين الاول ١٩٥٨ .

لقد احدث صدوره صدى واسعاً ليس في داخل العراق فحسب وانما في جميع الاقطار العربية بالرغم من أنه لم يكن جذرياً بالدرجة التي طمحت اليها الجماهير الا انه يمكن اعتباره نهجاً آنياً للعمل في ميدان الاصلاح الزراعي والحركة الزراعية والحركة الفلاحية .

قانون العمل : ان النشاط المهني والسياسي والاجتماعي قد عزز دور الطبقة العاملة في حياة الشعب قبل الثورة وبرز دورها كقوة اساسية مدافعة عن مصالح الجماهير الكادحة بعد الثورة . ومن هنا جاء الاعتراف بيوم الاول من ايار عيداً رسمياً والاتجاه لاصدار قانون عمل جديد ، فقد شكلت الحكومة لجنة لتعديل قانون العمل (الذي سبق وان اصدرته حكومة العهد البائد) وبما يتناسب مع متطلبات الوضع الوطني التقدمي في العراق ومهمات صيانة الجمهورية ، وكان من ابرز التغيرات هو حق العمال في تشكيل اتحاداتهم المهنية حتى بلغ عدد المنضمين للحركة النقابية ٢٧٥ الف عامل خلال بضعة اشهر ، وبذا اصبحت الحركة النقابية قوة جبارة ودرعاً متيناً للدفاع عن الجمهورية وتعزز دورها بارتفاع مستويات الانتاج بشكل ملحوظ ، واستلام الفنيين والعمال العراقيين للصناعات النفطية من الخبرات الاجنبية وادارتها بكفاءة بالغة .

حقوق المرأة : نادت الطلائع الوطنية التقدمية بتحرير المرأة واطلاق طاقاتها الخلاقة في الكفاح الوطني فاكتسبت حركة تحرير المرأة طابعاً جماهيرياً . وكان لرابطة الدفاع عن حقوق المرأة المشكلة عام ١٩٥٢ دوراً متميزاً في تعبئة الجماهير النسائية في النضال الوطني وبتأثير زخم المد الثوري اصدرت حكومة الثورة قانون الاحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ ، فسجلت خطوة جريئة رائدة في مجال تحرير المرأة رغم الثغرات والنواقص التي تضمنها القانون فقد حوى على جوانب ايجابية متعددة منها تحديد سن الزواج واشتراط البلوغ والصحة العقلية وخطا القانون خطوة كبرى في مجال الارث اذ ساوى بين الرجل والمرأة تماماً .

حقوق الشعب الكردي : ظهرت حركة التحرر الكردية في مطلع القرن العشرين كحركة تهدف الى التحرر القومي والسياسي من سيطرة الحكم العثماني المطلق ، ومن بعد ضد الاستعمار البريطاني اذ ساهم الشعب الكردي في ثورة العشرين جنباً الى جنب مع الشعب العربي الذي فجرها . ومن هنا كانت بدايات الكفاح المشترك للشعبين العربي والكردي ضد الاستعمار والحكم الرجعي في العراق . لقد ناضلت القوى الوطنية التقدمية من أجل تعزيز الوحدة الوطنية التي لا تستطيع أن تحقق نصراً حاسماً دون اجتذاب جماهير الشعب الكردي الى ساحة النضال المشترك ضد الاستعمار وعملائه الذين يعملون على شق الصفوف في سياستهم التقليدية (فرق تسد) . لقد ساهم الشعب الكردي مساهمة فعالة في التمهيد للثورة وفي انطلاقتها وصيانتها وتطويرها . ووضعت ثورة

١٤ تموز المجيدة منذ الساعات الاولى لانتصارها حل المسألة الكردية بين القضايا الهامة وتبنت مطاليب الجماهير باقرارها التدريس باللغة الكردية في كردستان وسمحت لالاف المهجرين الاكراد بالعودة وارجعت لهم حقوقهم المسلوبة واجازت عشرات من فروع المنظمات المهنية والديمقراطية . كما تم الاعتراف ببعض الحقوق القومية التي اصبحت مثلاً ملهماً للاكراد في تركيا وايران . بيد أن الرجعية الكردية والاقطاعيين حاولوا جهدهم زرع البغضاء القومية وتشجيع النزعات الانعزالية وحتى الانفصالية بقصد شق الحركة الثورية والوحدة الوطنية في العراق . ولعبت الدوائر الاستعمارية وشركات النفط الاجنبية دوراً تخريبياً فعالاً في هذا المضمار . لقد كان هذا يجري في الوقت الذي كانت فيه فصائل معينة من الحركة الوطنية ترفض دوماً الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي فأخذت تحاربها مما ادى الى اصابة الجماهير الكردية بخيبة أمل عميقة خصوصاً بعد التراجع عن الكثير من المكتسبات التي تحققت للشعب الكردي بعد ثورة ١٤ تموز ٥٨ وبالتالي دفع بعض فصائله الى حمل السلاح ضد الحكومة الوطنية .

قضية الوحدة العربية

ان العرب قد عاشوا قروناً طويلة في دويلات منعزلة ومتباعدة منذ عهد بعيد ، ثم جاءت السيطرة العثمانية وبعدها الاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ليكرس هذه التجزئة باتفاقية سايكس بيكو سيئة الصيت بين بريطانيا وفرنسا لاقتسام البلدان العربية ، وبذا أخذت تفصلها حدود دولية ، وانظمة مختلفة . ومع حصول العديد من البلدان على استقلالها السياسي ودخولها في الامم المتحدة ، اصبحت التجزئة واقعاً دولياً . وقد ساء الوضع اكثر من اي وقت مضى باصدار بريطانيا لوعد بلفور المشؤوم واقامة دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي وبذا شكلت حاجزاً حاداً بين المشرق العربي ومغربه . وبذلك كله ثبت الاستعمار وعمق التجزئة بين الاقطار العربية بصورة تخدم مصالحه وتضع العقبات في طريق الوحدة العربية ، بالاضافة الى خلق الظروف الموضوعية المتمايزة بينها من ناحية التفاوت.نتيجة لما تقدم طرحت القوى الوطنية التقدمية في العراق منذ أوائل الاربعينات موضوع الاتحاد الفيدرالي لاقامة اتحاد عربي على اساس تحرر الاقطار المشمولة بالاتحاد المنشود وانتزاع استقلالها الوطني من الاستعمار كشرط لاتحادها الحر .

ان هذا الهدف صعب التحقيق في ظل الظروف الموضوعية التي كانت البلدان

العربية تعيشها آنذاك ولذا اقتضى الامر عملاً تثقيفياً وتعبوياً كبيراً لتوضيح طريق الوصول اليه ولاكتساب شعار الاتحاد مضموناً تحررياً معادياً للاستعمار الذي كان يسعى لاستغلال المطامح القومية من اجل فرض انماط من الاتحادات مشبوهة المقاصد وتخدم مصالح الاستعمار وبالتالي احتواء النزوع القومي الى التحرر والوحدة وحرف وجهته الكفاحية ضد الهيمنة الاستعمارية .

لقد كان الوطنيون التقدميون العراقيون يناضلون دوماً من أجل الانعتاق من السيطرة الاستعمارية وحكم عملائها ثم التقدم نحو الوحدة القومية عبر اشكال ناضجة من الروابط الاتحادية الممكنة التحقيق بين بلدان مستقلة .

ان اقتران فترة الخمسينات بانتصار عدد من الثورات الوطنية والحركات الاستقلالية في عدد من الاقطار العربية وفر الشرط الاول للمباشرة بالتقدم نحو الوحدة من خلال اقامة انظمة اتحادية تتضمن ما هو ناضج من العناصر الرئيسية لبنائها عبر ظروف من التمايز الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي لا مفر من اخذها بنظر الاعتبار في حالة تناول هذه القضية ليس بروح علمية فحسب بل بروح عملية . فلم يكن المطلوب قط تحقيق اتحاد انظمة بل وحدة شعوب حرة مستقلة ، وحدة تخدم نضالها القومي التحرري وامانيها في الوحدة القومية . لقد كان موقف القوى الوطنية التقدمية في العراق معلناً ازاء مسألة الوحدة الاندماجية الفورية بين مصر وسوريا التي لم تكن عناصر تكوينها ناضجة راسخة الاسس لتخدم مصالح النضال القومي التحرري والتطور الديمقراطي ، و لكن لما كانت الوحدة قد اصبحت واقعاً فقد ساندت جماهير الشعب العراقي المساعي التي عملت على ترسيخها وثباتها امام امتحانات الواقع وتابعت بقلق استفحال عناصر الفرقة والخلافات الداخلية التي كانت تتفاقم امام انظار الجميع معلنة انهيار التجربة باسرع مما كان متوقعاً . وقد اتخذ هذا الانهيار طابعاً تآمرياً سافراً ساهمت فيه بنشاط فعال جميع القوى الرجعية الانفصالية . وقد بدا وقتذاك أن الكثير من القوى التقدمية في مصر وسوريا قد استفادت من هذه التجربة فقد ورد في مقدمة (الميثاق الوطني المصري) الصادر في عام ١٩٦٤ ما يلي :

ان الوحدة لا يمكن ولا ينبغي أن تكون فرضاً . فان الاهداف العظيمة للامم تتكافأ أساليبها شرفاً مع غاياتها . ومن ثم القسر بأية وسيلة من الوسائل هو عمل مضاد للوحدة انه ليس عملاً غير اخلاقي فحسب وانما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل

شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم فانه خطر على وحدة الامة العربية في تطورها الشامل . والوحدة العربية ليست صورة دستورية لا مناص من تطبيقها ، ولكنها طريق طويل قد تتعدد عليه الاشكال والمراحل وصولاً الى الهدف الاخير .

في العراق وبعد ثورة ١٤ تموز المجيدة انخرطت قوى بتطرف مقصود في طريق المجابهة مع اماني الشعب وطموحات احزابه الوطنية التقدمية من خلال الطرح المفتعل والمتسرع لشعار الوحدة الفورية الاندماجية مع الجمهورية العربية المتحدة وهو شعار لم تكن شروط تحقيقه ناضجة بأي قدر كان ، فاضاعت بذلك ومن ربع قرن فرصة بناء كيان اتحادي بين اقطار عربية مستقلة ــ يمكن من خلال تقديم اسس بناءة ، ومعالجة الخلل فيه وتصحيح نهجه الفكري والسياسي ــ أن يكون فاتحة عهد جديد من النضال القومي من أجل الوحدة وأن يمنح الامة العربية دولة قوية البأس في مواجهة اعدائها .

وعندما تعاقبت هذه القوى التي كانت تدعو الى الوحدة الاندماجية الفورية بعد ثورة تموز على الحكم منذ انقلاب شباط ١٩٦٣ الفاشي تحولت جلها الى مواقع الاقليمية المكشوفة . الى طريق العبث المشبوه بقضية جليلة كبيرة كقضية الوحدة واختزلتها الى شعار فارغ للمزايدة .. الى صنم يعبد ثم يهدم أو يؤكل كما كان يفعل عرب الجاهلية من قبل . هذا بالاضافة الى مواقفها التي اضعفت الى حد بعيد التضامن العربي ووحدة الصف العربي المناهض للامبريالية والصهيونية ، فشنت الحملات الاعلامية العنيفة والمتواصلة على الرئيس جمال عبد الناصر ولم تتوقف الا بوفاته وتولي السادات السلطة في مصر .

ومما يدل على مزايدتها هو ما ورد في وقائع المحادثات التي جرت في القاهرة عام ١٩٦٣ ، والمصير الذي انتهت اليه مواثيق الوحدة بين العراق ومصر . وقد رد السيد كمال رفعت على طروحات الوفد العراقي المزايدة ابان المحادثات التي جرت في القاهرة عام ١٩٦٤ حول قضية الوحدة ، قائلاً :

«فنتيجة للتطور الذي حصل في العالم العربي ، لم تعد القومية مجرد شعار عاطفي بل اصبحت تتوقف على محتوى محدد، اي اصبحت شيئاً ملموساً له محتواه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي واذن فلا يكفي ان نطلق على شخص ما انه قومي وعلى آخر غير قومي . ولكن المهم أن نعرف محتوى القومية التي ينادي بها الشخص القومي هل هو محتوى رجعي أم تقدمي » .

لقد اعتبرت القوى الوطنية التقدمية في العراق ومنذ عهد بعيد ان اتحاد البلدين الشقيقين المتجاورين سوريا والعراق حالة نموذجية اكثر نضوجاً بالقياس الى البلدان العربية الاخرى . ذلك ان قيام دولة عربية قوية البأس من البحر المتوسط الى الخليج العربي معززة بكل مقومات الثروة والقوة البشرية والقدرات العسكرية السياسية انما يعني الكثير بالنسبة للامبريالية والصهيونية اذ سيمكن ذلك من وضع الجيش العراقي فوراً على خط المجابهة مع المعتدين الاسرائيليين وحماتهم الامبرياليين ووضع ثروة النفط بتصرف الشعبين الشقيقين وفي خدمة معارك الكفاح التحرري ومن أجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والوحدة القومية ، ولكن ما يحصل عادة هو احباط اية خطوة يمكن أن تتحقق على هذا الطريق وافتعال حالة من الخصومة المستديمة بين البلدين من جانب اولئك المدعين بالعروبة والوحدوية والذين يدركون بالغريزة او التلقين أن اقامة وحدة ديمقراطية أو اتحاد كفاحي بين البلدين هو من (الممنوعات) او (المحرمات) في القاموس الامبريالي والاسرائيلي . لذلك رأينا ذلك الفريق من دعاة الوحدة الفورية الاندماجية المقنعين بشعارات العروبة والذين استباحوا دماء الوطنيين التقدميين ، باسم التعارض مع (قوميتهم) في قضية الوحدة العربية وتحرير فلسطين ، رأيناه يعرض دوماً عن ارتكاب المغامرة خشية ان يقوده مركب المخاطرة لتحقيقها الى فقدان مصالحه الانانية القطرية ، وتقويض دعائم سلطته الاقليمية الجائرة ، بينما جماهير الشعب الكادح لا تخسر شيئاً على الاطلاق بل بالعكس فهي أول من يربح من تحقيق التقدم الاجتماعي والديمقراطية والوحدة القائمة على اساس النضال الحازم ضد الامبريالية والصهيونية .

لقد انهار مشروع الاتحاد الثلاثي بين مصر وسوريا وليبيا لسبب رئيسي هو أن أحد الاطراف وهو نظام السادات في مصر قد أخذ يمزق مبدأ اساسياً فيه وهو العداء للامبريالية والصهيونية . وهذا الموقف لم يؤد فقط الى توجيه ضربة قاصمة للاتحاد الثلاثي فحسب بل والى اخراج مصر من خندق النضال العربي ووضعها في الخندق المعادي .

ان الاستعمار والصهيونية والقوى والانظمة السياسية الموالية لهما يتحملون المسؤولية الرئيسية عن المؤامرات والمساعي المعاكسة لاحباط الجهود المبذولة من أجل الوحدة القومية ، كما أن ما يزيد الامر سوءاً هو تواتر الهجوم في البلدان العربية المختلفة على الحريات الديمقراطية وحقوق الجماهير وابعاد وازدراء دور الشعب في الحياة السياسية .

ان الوحدة العربية ليست متعذرة كما يقول اليائسون ، بل أن قولهم هذا جاء نتيجة عدم ادراكهم الجيد لجوهر الوحدة العربية ومحتواها الحقيقي ومقوماتها العميقة التي لا تخضع للتمنيات ولا للرغبات .

ان تحقيقها انما يتطلب توفر الشروط الاساسية التالية :

أولاً : تناول قضية الوحدة العربية في وضعها التاريخي الملموس ومن منطلق واقعي علمي وبروح عملية مسؤولة بعيداً عن التبسيط والتجميع الاعتباطي للمتعارضات والمتناقضات التي تؤدي حقاً الى فشل التجربة عند أول صدام بالواقع الموضوعي العنيد .

ثانياً : تحديد اشكال ومفعول التناقضات القائمة بين البلدان العربية المعنية بالاتحاد فيما بينها واعتماد الاسلوب العلمي الرصين والمسؤول لتسوية هذه التناقضات وحلها .

ثالثاً : تحديد القوى السياسية والاجتماعية المؤهلة تاريخياً وعملياً لتحقيق الوحدة العربية بمضمونها القومي الديمقراطي .

ان وجود نظامين وطنيين قادرين على توفير مثل هذه الشروط والاداة الضرورية لاقامة شكل من الوحدة او الاتحاد فيما بينهما ، وحدة ذات مضمون ديمقراطي تحرري ، قائمة على اساس الطواعية ومراعاة التمايزات والظروف الموضوعية المختلفة للبلدين الشقيقين ، واستلهام ارادة الجماهير الشعبية ومصالحها في بناء هذه الوحدة ، ليشكل الحجر الاساسي للنهوض بهذه المهمة التاريخية الكبرى وتحقيق أمل الامة العربية في الوحدة ، مستندين بذلك الى مقومات وطيدة لشعب يقطن منذ قرون على ارض واحدة ، ويتكلم لغة واحدة ، ويمتلك ثقافة مشتركة عريقة وخصائص وسجايا اجتماعية متماثلة تكونت عبر التاريخ ، وأهداف وأماني موحدة تدفعه بقوة نحو التلاحم في الكفاح المشترك ضد الامبريالية والصهيونية .

تفكك جبهة الاتحاد الوطني

صدر البيان الاول للجنة الوطنية العليا في آذار عام ١٩٥٧ باعتباره ميثاقاً يضم نقاط الالتقاء الرئيسية التي جرى ذكرها في بداية مقالنا هذا . الا ان الاحزاب المؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني لم تتفق على برنامج للثورة يربط بين هدف الثورة الرئيسي (اسقاط السلطة الملكية والاستعمار) وبين الاهداف الستراتيجية الاخرى وحتى لم يطرح صيغة

الحكومة الائتلافية التي يفترض أن تستلم السلطة بعد نجاح الثورة . ولذا فقد تصور بعض قادة الاحزاب الوطنية أن الجبهة قد استنفذت اغراضها في اليوم الاول للثورة ، حتى وصل البعض منهم الى درجة تنظيم الاعتداءات والاغتيالات ومهاجمة الديمقراطية ووصفها بالطغيان ، وعملوا على تنظيم الحركة الانشقاقية في صفوف العمال والفلاحين والطلبة والنساء ، وفتحت بعض الصحف صفحاتها لاقلام العناصر المشبوهة والمتآمرة بهدف تحقيق بعض المغانم غير المشروعة على حساب الثورة في الداخل بينما كانت السلطة تسعى الى جعل القوى الوطنية التقدمية قوى معارضة ضاربة ضد الاستعمار وحلفائه من دون افساح المجال لها لاداء دورها الطبيعي في تطور البلاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وبقيت هذه المعادلة الصعبة تشكل الخط العام الذي انتهجته طيلة عمر الثورة حتى الانقلاب الفاشي عليها .

الديمقراطية السياسية

ناضل الشعب العراقي من أجل الحريات الديمقراطية التي حرم منها طيلة قرون من الاستعباد الاجنبي وكانت اولى ثمار نضاله تلك الحقوق البسيطة التي تضمنها الدستور العراقي والتي عملت الحكومات الموالية للاستعمار بكل الوسائل والسبل على تعطيلها تارة بالمراسيم وأخرى بالتعديل وغالباً بحالات الطوارىء واعلان الاحكام العرفية .

في المد الثوري الذي رافق وثبة كانون ١٩٤٨ استطاعت الجماهير ان تفرض الحريات الديمقراطية فسارت المظاهرات وعقدت الاجتماعات الشعبية واصدرت الصحف وفرضت النقابات وحققت الكثير من المكاسب وفي مقدمتها الغاء معاهدة بورتسموث المذلة ،الا أن الحكم العميل لجأ الى شق صفوف الحركة الوطنية ووجه ضربته الى القوى التقدمية وعطل جميع مكتسباتها . فكان من البديهي أن يندفع الشعب الى ممارسة الحريات الديمقراطية بكل قوة منذ فجر ثورة تموز المجيدة فنظمت المهرجانات وعقدت الاجتماعات الوطنية الكبرى وسارت التظاهرات المهيبة في ارجاء ا لبلاد (حتى بلغ احدها المليون شخص) في سعيها لتوطيد الجمهورية وتعزيز مكاسبها . ولم تخل تلك النشاطات الجماهيرية الكبرى من اعمال عفوية شاذة شأن كل ثورة جماهيرية عارمة بعد طول كبت للحريات الديمقراطية . ولعبت محكمة الشعب في تلك الفترة دوراً كبيراً في تثقيف وتوعية الجماهير وكشفت عن جرائم اقطاب العهد المباد والمتآمرين وارتباطاتهم بدوائر التجسس

الاستعمارية فكانت بحق سيف العدل الشعبي ومنبراً لادامة الحماس الوطني للجماهير . وتم تعبئة الجماهير في المنظمات الديمقراطية والنقابات المهنية والجمعيات التي قادت المسيرات رافعة راية الكفاح ضد التآمر الامبريالي الرجعي ومن أجل تعزيز الوحدة الوطنية والديمقراطية في العراق .

كان من الواجب على الثورة أن تكنس جميع القوانين والمراسيم الرجعية الرثة باتجاه تعزيز السياسة الديمقراطية التحررية للجمهورية الفتية . الا أن التعديلات التشريعية التي ادخلت لم تكن منسجمة تماماً مع روح الثورة ، وبرزت هذه الحقيقة واضحة فيما يتعلق بحقوق الشعب الديمقراطية كحرية المعتقد والنشاط السياسي وحرية الاجتماعات والمظاهرات . وغيرها ، في حين لم تقض التشريعات بفرض اي عقاب على مروجي الدعاية الاستعمارية المعادية للشعب والجمهورية . وكان واضحاً ان العناصر التي عملت في سن هذه التشريعات كانت تعيش واقعاً مشدوداً الى اجواء الحكم الرجعي المباد فابعدت القوى الوطنية التقدمية عن المشاركة الفاعلة في السلطة بحجة الخوف من استفزاز الاستعمار وأعوانه وبذلك تفككت جبهة الاتحاد الوطني ولم تعد الجهاز الذي يوحد نضال القوى الوطنية لتحقيق الاهداف المشتركة . وتكونت سلطة تفتقد الحزم والكفاءة في محاربة الاستعمار وتعاظم درجة تآمره . وبذريعة الانتقالية جرت المماطلة في اجازة الاحزاب الوطنية التقدمية رغم ان الوضع السياسي في البلد فرض ممارسة جميع الاحزاب لنشاطها السياسي العلني ، ففقدت الحكومة التكاتف المتين والتفاعل المتبادل والمستمر بينها وبين الشعب وسهل للحاقدين على العراق في الداخل والخارج أن يزيدوا تآمرهم على الجمهورية الفتية .

التآمر الامبريالي الرجعي

لقد كان مفهوماً منذ البداية أن اعداء الثورة كثيرون فالثورة وجهت ضربات صاعقة لحلف بغداد ، ومبدأ ايزنهاور وللسيطرة الاستعمارية في الشرق الاوسط وللرجعية العراقية . لذلك واجهت الثورة محاولات القضاء عليها بالعدوان الخارجي منذ اليوم الاول . وبعد فشل الامبريالية الانكلو ــ امريكية في تحقيق ذلك لجأت الى ممارسة اشكال شتى من الضغط والتآمر بمساعدة عملائها وحثالاتها المنتفعين في الداخل والذين دأبوا على عرقلة تعبئة الشعب وشق وحدته الوطنية ، وعرقلة اجهزة الدولة عن تنفيذ مهام الثورة بغية

الحفاظ على مواقعها وتمهيداً للقيام بعمل تآمري موحد يستند الى الضغط والتهديد الاستعماري الخارجي . وكرس اعداء الشعب جهوداً كبيرة لشق الصف الوطني وانهاك الشعب وعرقلة تمتعه بالحريات الديمقراطية ، وسخرت لذلك امكانيات اعلامية كبيرة لحملات التهويش ضد القوى الوطنية التقدمية ، ساعدهم في ذلك سيل المقالات والافتراءات التي كانت تغذيها الصحافة الاستعمارية ، وبدلاً من أن تقف بعض قوى حركة التحرر الوطني العربية ضد مثل هذه المؤامرات الاستعمارية واحباط مخططاتها كما وقفت في بداية الثورة وكما يفرض التضامن العربي ، شنت حملة اعلامية شعواء ضد الجمهورية الفتية وهذا ما كانت تسعى اليه الامبريالية وهو شق الصف الوطني واضعاف التضامن بين الدول العربية المتحررة ليسهل ضربها .

ومع ذلك لم تقف السلطة موقف الحزم اللازم ازاء اعداء الثورة ولم تطهر اجهزة الدولة من العناصر المتآمرة والفاسدة فاستغلت هذه العناصر سياسة التساهل واللين واخذت تعمل جهراً على صرف الثورة عن مسارها وفي مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فتعثرت مسيرة الثورة ، واصابت الاصلاح الزراعي تغيرات كبيرة اعادت نفوذ الاقطاع الى الريف ، وعرقل تطور الصناعة الوطنية وعلى الاخص في مجال قطاع الدولة . واضطهدت الطبقة العاملة في محاولة لكبح حركتها النقابية وتزييف ارادة العمال ، وعرقل عمل الجمعيات الفلاحية والتعاونيات الزراعية ومزارع الدولة وبوشر بالتخريب الاقتصادي على نطاق واسع من قبل عملاء الاستعمار واعداء الجمهورية ، فانحسرت الثورة بعزلها عن الجماهير وابتدأت القوى المضادة للثورة في حملات الاعتداءات والاغتيالات للعناصر الوطنية التقدمية بواسطة عصابات الشقاة والقتلة كان ذروتها احداث كركوك في تموز ١٩٥٩ . كما تفاقم نشاط الاستعمار والرجعية في تأجيج التيار القومي الشوفيني لضرب الحركة القومية الكردية وجرها الى المعارك المسلحة . وبذا اصبحت المصالح الوطنية مهددة اكثر من اي وقت مضى في الوقت الذي كان يجري فيه التهيئة للاجهاز على الثورة والحركة الوطنية التقدمية في العراق . وقد صدق مدير الامن العام حين نسب الى نفسه وجهازه الفضل الكبير في تحقيق انقلاب شباط الاسود من خلال حملة القمع الواسع التي مارسها قبل الانقلاب لكل القوى الوطنية التقدمية . فعند ذاك لم يجد عبد الكريم قاسم من يحرسه حتى في (قلعة الدفاع) بوجه القوى المتآمرة بعد أن عزل نفسه عن الجماهير فجرى اغتياله وعصف بكل منجزات الثورة ، وبدأت على نطاق واسع

لم يشهده تاريخ العراق من قبل التصفية الجسدية للقوى الوطنية التقدمية على يد من استقلوا القطار الامريكي على حد قول احد قادة الانقلاب بعد أن أصدروا البيان رقم (١٣) المشؤوم .

انقلاب شباط ١٩٦٣

مما سبق يتضح أن هذا الانقلاب ابتدأ فكرياً وسياسياً واقتصادياً منذ أواسط عام ١٩٥٩ حين استسلمت السلطة الى القوى السوداء التي أخذت تسترجع المواقع واحداً بعد آخر في الجيش والدولة وفي الحياة الاقتصادية والمجتمع ، وفي ٨ شباط ١٩٦٣ اسقطت الرجعية الفاشية السوداء حكم عبد الكريم قاسم واستولت على السلطة . وعندما اندفعت جماهير الشعب الكادحة للوقوف بوجه المتآمرين بعزم واصرار ووعي عظيم اصطدمت بالعناصر الرجعية المتآمرة في اجهزة الجيش والدولة ضد المقاومة الشعبية .

ويتحمل المسؤولية في نجاح الانقلاب كل اولئك الذين ساندوا قوى الرجعية والفاشية منذ اواسط عام ١٩٥٩ كما وأن الرجعيين من الأكراد حاربوا الجمهورية الفتية بصورة عمياء وغازلوا القوميين العرب اليمينيين وتعاونوا معهم وتصوروا أن انقلاب شباط انتصار لهم في حين أنهم كانوا يجابهون عدواً اشرس بكثير من نظام عبد الكريم قاسم . وتأكد ذلك بحملات القمع الدموية التي قام بها قادة الانقلاب ضد الحركة القومية الكردية .

لقد دافعت القوى الوطنية التقدمية خلال فترة حكم الزعيم عبد الكريم قاسم عن مكتسبات الثورة وناضلت ضد المظاهر السلبية للانفراد بالسلطة التي أخذت تطفو على السطح ، في حين أن قوى الردة من اقطاع ورجعية ساندت المظاهر السلبية للاستئثار بالحكم وهاجمت وطنية عبد الكريم قاسم وعدائه للاستعمار .

ولقد قال المتآمرون ان حركتهم هي امتداد لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وانها جاءت لتعديل الانحراف وهذا بهتان واضح . ان اهداف ثورة ١٤ تموز المجيدة يجسدها ميثاق الاتحاد الوطني والتي ايدها والتف حولها الشعب العراقي . ان اهداف الجبهة معروفة وهي اسقاط حكم عملاء الاستعمار والخروج من الاحلاف الرجعية وانتهاج سياسة وطنية مستقلة محبة للسلام والتضامن مع البلدان العربية المتحررة والبلدان الصديقة ، والاهتمام بالتصنيع وتحقيق الاصلاح الزراعي والحكم الديمقراطي واطلاق الحريات الديمقراطية لجميع

القوى الوطنية الشعبية .

ان نضال القوى الوطنية بعد ثورة ١٤ تموز كان ينصب اساساً على تحقيق أهداف الجبهة .. أهداف الثورة المتفق عليها في حين كانت قوى الردة حركة رجعية تمثل نكوصاً عن أهداف الثورة ، وكانت أدوات منفذة بيد الاستعمار ضد الشعب والقوى الديمقراطية في كل القطاعات . ولم يكن انقلاب شباط الا لغرض تحقيق دكتاتورية شديدة الوطأة على الشعب ومختلف قومياته وطبقاته الوطنية وعلى كل القوى الديمقراطية . وليس عبثاً أن قدم الشعب خلالها الاف ا لشهداء الذين اغتيلوا في الشوارع والبيوت والثكنات في ظروف عصيبة لم تشهد البلاد مثيلاً لها حتى خلال الحكم الملكي الاستعماري . بالاضافة الى ملء السجون والمعتقلات باعداد هائلة من الوطنيين . ان الدكتاتورية لم تأت من أجل الوحدة والعدالة الاجتماعية والحرية بل جاءت لتطعن كل هذه الشعارات ولخدمة الاستعمار والرجعية بالدرجة الاولى . ولقد اجهزت حركة الردة السوداء على بقايا مكتسبات ثورة ١٤ تموز حاملة راية مهادنة الاستعمار وشركاته النفطية ، وتخريب الاصلاح الزراعي ، وعلاقات التعاون النزيه مع كل البلدان الشقيقة والصديقة ، والاجهاز على حريات الشعب ومنظماته ونقاباته وجمعياته المهنية والثقافية والاجتماعية ، ومعاداة الديمقراطية وتدمير الجيش الوطني وتصفية عناصره الوطنية الاشد اخلاصاً للشعب والوطن .

خاتمة

ورغم كل الطعون التي وجهت ، وما تزال ، الى ثورة ١٤ تموز المجيدة من أعدائها ، فان الثورة شكلت منعطفاً كبيراً واساسياً في تاريخ العراق والوطن العربي وفي العلاقات الدولية . وكانت ثمرة وتتويجاً لنضالات مستمرة ومتواصلة للشعب العراقي وتضحيات جليلة قدمها خيرة ابنائه على مدى عقود عديدة ، الا أن عدم التجانس الفكري بين قادة الثورة ، وعدم الوضوح في الاهداف المرحلية والاهداف الستراتيجية ، وعدم اطلاق طاقات الجماهير الخلاقة ، والعزلة التي اصابت الحكم عن الشعب وعن قواه الوطنية التقدمية ، وضعف الحزم اللازم ازاء قوى الردة السوداء كانت من الاسباب الرئيسية التي ادت الى سقوط الحكم وسيطرة الانقلابيين في ٨ شباط ١٩٦٣ وضرب مكتسبات الثورة والقوى الوطنية التقدمية في العراق .

من تجارب التحالفات الوطنية في العراق

د . سامي خالد

أكدت خبرة الحركة الثورية العالمية على أن وحدة القوى الوطنية والديمقراطية هي احد الشروط الاساسية لنجاح النضال المعادي للامبريالية والرجعية المحلية ومن اجل الاستقلال الوطني والتطور اللاحق في طريق التقدم الاجتماعي . وتحتل مسألة التحالفات الطبقية والسياسية والعمل الوطني الموحد مكانة مركزية في مسيرة الحركة الثورية في بلادنا . وقد شهد العراق خلال فترات طويلة من تاريخه منذ الحرب العالمية الاولى وحتى انتصار ثورة ١٩٥٨ تجارب عديدة في التحالفات الوطنية .

تمثل ثورة ١٩٢٠ الوطنية التحررية المعادية للاستعمار البريطاني تحالفا طبقيا واسعا من جماهير الفلاحين وجماهير المدن وفئات برجوازية وحتى الفئات الاقطاعية . ان هذا التحالف يتناسب مع مرحلة التطور الاقتصادي الاجتماعي الذي وصلت اليه البلاد والمهام المطروحة امام الثورة للتحرر من الاحتلال الاستعماري وتحقيق الاستقلال الوطني كما كان لهذا التحالف قيادته السياسية الائتلافية التي تعكس تركيبه .

وكما اشار الرفيق عزيز محمد ، السكرتير الاول للجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي :ان الاعمال الموحدة والتحالفات شقت طريقها الى الوجود في كل هبة وانتفاضة وطنية من

اجل التحرر وهذا ما تجسد في الانتفاضات والحركات المعادية للاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى .

وفي فترة الحرب العالمية الثانية وبعدها شهد النضال الوطني العام تجارب عديدة من التحالفات الوطنية واصبح شعار الجبهة الوطنية شعارا جماهيريا ملموسا يمثل مصالح الجماهير الكادحة في نضالها من اجل الاستقلال الوطني واسباب ذلك :

١ ــ تعزيز مكانة الاتحاد السوفيتي وقيام المنظومة الاشتراكية .
٢ ــ اشتداد نهوض ونضالات حركة التحرر الوطني وتعميق محتواها .
٣ ــ تعميق الازمة العامة للرأسمالية .
٤ ــ زيادة نفوذ افكار الاشتراكية العلمية .

وقد لعبت الافكار والقرارات التي اتخذها المؤتمر السابع للكومنترن ، والذي شارك في اعماله الحزب الشيوعي العراقي ، دورا بارزا في توجيه نشاطات الاحزاب الشيوعية والعمالية الى اهمية قيام الجبهات المعادية للاستعمار والامبريالية . كما اكد مندوب الحزب الشيوعي العراقي الرفيق مهدي عبد الكريم في السمينار الذي نظمه الحزب الشيوعي البلغاري بمناسبة الذكرى ال ٩٠ لميلاد القائد الاممي جيورجي ديمتروف : ان الرفيق ديمتروف اسهم في مساعدتنا على تلمس طريق الجبهة الوطنية وتوطيد مواقع حزبنا في الحركة الوطنية والثورية في العراق ليس فقط عن طريق ماكتبه من ابحاث وتقارير وتوجيهات عامة بل وفي ما قدمه الينا من نصائح مباشرة في اوائل الاربعينات وكان ذلك في لقائه مع مؤسس حزبنا وسكرتيره العام (يوسف سلمان ــ فهد) في موسكو عام ١٩٤٣[٢] .

ان نتائج الحرب العالمية الثانية التي ارتبطت بانهيار قوى الفاشية وانتصار القوى الديمقراطية والتقدمية تركت تأثيرها السياسي الايجابي على الحركة الوطنية الديمقراطية في العراق وعمقت محتواها وكان الحزب الشيوعي العراقي في عامي ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ من ابرز القوى المنظمة والمؤثرة على مجرى تطور الحركة الشعبية حيث استطاع ان يوطد وحدته الداخلية ويعقد مؤتمره الاول ويوسع صحافته السرية ونشراته العلنية ويتحول تدريجيا الى حزب جماهيري قادر على خوض النضال الشعبي بفعالية واسعة بعد الحرب . والى جانب الحزب الشيوعي العراقي انبثقت احزاب وطنية وديمقراطية مثل : الحزب الوطني الديمقراطي ، حزب الشعب ، حزب الاتحاد الوطني ، حزب الاستقلال ، الحزب

الديمقراطي الكردستاني ، عصبة مكافحة الصهيونية ، حزب التحرر الوطني .. ولعبت هذه القوى دورا نشيطا في تعبئة الجماهير وزجها في النضال من اجل الاستقلال الوطني . لقد اتسمت الفترة بعد الحرب العالمية الثانية بنشوء احزاب للبرجوازية الوطنية اكثر جذرية واكثر حزما في النضال وارتباطا بالحركة الشعبية من القيادات التي سبقتها ومكن هذا البرجوازية الوطنية من ان تلعب دورا فعالا في النضال الوطني في هذه الفترة رغم مواقفها التي اتسمت بالتردد في قضية التحالفات الوطنية وموقفها من الحزب الشيوعي ومما له اهمية في مرحلة تطور الحركة الوطنية هذه ، انبثاق احزاب تمثل لاول مرة البرجوازية الصغيرة .

الحزب الشيوعي العراقي وقضية التحالفات الوطنية

منذ نشوئه اولى الحزب اهتماما كبيرا لمسألة الجبهة الوطنية الموحدة والمعادية للاستعمار وقد لعبت قرارات ووثائق المؤتمر السابع للكومنترن دورا هاما في ذلك واعتبر الحزب منذ البداية . النضال من اجل الجبهة الوطنية الموحدة سلاحا فعالا لانتصار الثورة الوطنية الديمقراطية وطريقا مضموناً لتحقيق طموح الشعب واخذت هذه الموضوعة اهتماما متزايدا في فترة الحرب العالمية الثانية وبعدها باعتبارها قضية آنية وحيوية وقد تصدرً جريدة الحزب المركزية (القاعدة) الصادرة في ٩٤٣ ، العدد السادس، الشعار التالي . ياجماهير شعبنا اتحدي ضد الفاشية في سبيل الخير والحريات الديمقراطية في جبهة وطنية موحدة .

وكان الميثاق الوطني الذي طرحه الكونفرنس الاول للحزب عام ١٩٤٤ والذي اقره المؤتمر الوطني الاول عام ١٩٤٥ بمثابة برنامج عملي للجبهة الموحدة التي كان يناضل الحزب من اجل تشكيلها .

وفي اوائل العام ١٩٤٦ صدر كتاب (الجبهة الوطنية طريقنا وواجبنا التاريخي) للرفيق حسين محمد الشبيبي عضو المكتب السياسي للحزب وقد تضمن موقف الحزب ازاء التحالفات الوطنية وقد كتب مقدمة الكتاب الرفيق الخالد (فهد) حيث اشار : (ان جميع الشعوب تعرف انها هي التي تحرر نفسها فتنتزع استقلالها وتؤكد سيادتها الوطنية وهذه الشعوب تعرف ايضا من هم الاحلاف في الوطن الواحد ضد الخصم المشترك اي انها تعرف كيف تقف في جبهة وطنية موحدة لمكافحته والقضاء عليه بالتعاون مع كل القوى الحرة المعادية للاستعمار في الخارج) كما حدد فهد جوهر وطبيعة الجبهة

الوطنية باعتبارها السلاح الفعال من اجل تحقيق اهداف الشعب وقواه الوطنية ، بقوله : جبهة وطنية موحدة ! هذا هو شعار العاملين اليوم في كل بلاد تريد الاستقلال او استكمال الاستقلال .. انه السبيل ، العملية الوحيدة التي يجب ان يسلكها جميع العاملين في الحركة الوطنية .. ان نقطة الالتقاء بين المصالح المشتركة لجميع الديمقراطيين هي الجبهة الموحدة .

وقد حدد حسين محمد الشبيبي في كتابه (الجبهة الوطنية طريقنا وواجبنا التاريخي) ماهية الجبهة ومهامها : انها تعني حركة وطنية ديمقراطية منظمة واعية تقدر الدور الذي تقوم به كل قوة من القوى التي تنتظمها وتستفيد من اختباراتها وتعمل لتحقيق اهدافها ــ تعني الاعتراف لهذه القوى بحقها التنظيمي وكيانها السياسي والايديولوجي . انها تعني حمل جماهير الشعب على الثقة بهذه الحركة الوطنية وجذبها اليها .. انها تعني تنسيق الاعمال والخطط لكل الجماعات الوطنية ليكون نضالها اجدى وكفاحها انجح .

وعلى الصعيد العملي فقد بعث الحزب الشيوعي العراقي عدة مذكرات ورسائل ودعوات الى الاحزاب الوطنية الموحدة وتضمنت هذه الدعوات برنامجا واضحا حدده الحزب بالمهام التالية :

١ ــ توحيد النضال من اجل حق التنظيم السياسي وغير السياسي .
٢ ــ الغاء القوانين الاستثنائية .
٣ ــ حرية النشر والاجتماع .
٤ ــ الدفاع عن استقلال البلاد والسيادة الوطنية[٣] .

اما مواقف القوى الوطنية ازاء الجبهة فكان معظمها يدعو الى توحيد الاحزاب الديمقراطية في حزب واحد ، وقد رفض الحزب الشيوعي هذه الآراء واوضح اهمية استقلالية كل حزب في اطار التحالف كما ان بعض الاحزاب كانت تنظر بعين الحذر ازاء التعاون مع الشيوعيين وبفضل النضال الدؤوب للحزب الشيوعي ايدت جميع القوى الوطنية شعار الجبهة ولكن على الصعيد العملي لم تحقق ذلك .

وواصل الحزب دعواته ونداءاته من اجل قيام الجبهة ووضع الخطط العملية لذلك الا ان الاستعمار والقوى الرجعية الحاكمة عمدت الى تفتيت القوى الوطنية لادراكها بان وحدتها تشكل خطرا جديا عليها وشنت حملة ارهاب واسعة ضد الحزب الشيوعي حيث اعتقلت ثلاثة من قادته عام ١٩٤٧ وهم فهد والشبيبي وزكي بسيم .

ان انعدام التعاون بين القوى الوطنية قد سهل هجوم الرجعية على الحقوق الديمقراطية التي حققها الشعب العراقي كما سهل الطريق لها لتكبيل العراق بمعاهدات استعمارية جديدة .

لجنة التعاون الوطني

عملت القوى الوطنية وفي طليعتها الحزب الشيوعي العراقي من اجل التصدي للمؤامرات الاستعمارية التي تهدف للنيل من السيادة الوطنية وعملت هذه القوى على تحشيد الرأي العام وتعبئة الجماهير من اجل ذلك وواصل الحزب نضالاته من اجل وحدة القوى الوطنية وأثمرت جهوده عن قيام لجنة التعاون الوطني عام ١٩٤٨ أبان وثبة كانون المجيدة ضد معاهدة بورتسموث الاستعمارية وكانت الوثبة معركة وطنية واسعة علمت الحركة الوطنية واحزابها اهمية وحدة نضال القوى الوطنية لتحقيق اهدافها المشتركة وتحققت خلال الوثبة المزيد من صور الالتقاء في المواقف وتنظيم الاعمال المشتركة فقد وجدت جميع الاحزاب الوطنية نفسها في خضم معركة شعبية عامة متزايدة الحماس وتمكنت القوى الوطنية ان تلعب دورها الفعال في توجيه الجماهير وبذلك حققت وثبة كانون اهدافها المباشرة في اجبار النظام على التخلي عن المعاهدة الاستعمارية وقد ضمت لجنة التعاون الوطني الاحزاب التالية الى جانب شخصيات وطنية .

١ــ حزب التحرر الوطني)[*] ٢ــ حزب الشعب .
٣ــ الجناح اليساري في الحزب الوطني الديمقراطي ٤ــ الحزب الديمقراطي الكردي .

وقد استمر هذا التعاون عدة شهور بعد الوثبة وكان يتركز في وضع الشعارات والاهداف المباشرة للوثبة وتوجيه وقيادة الاعمال المشتركة ولم يكن للجنة برنامج مشترك غير ذلك ولا اجهزة تنظيمية خاصة بالاعمال المشتركة . وكان المركز القيادي المباشر للوثبة هو (لجنة طلاب الكليات والمعاهد) الذي شكل بمبادرة الشيوعيين لتنسيق نشاط الطلاب وكانت هذه اللجنة تمثل جميع الاحزاب الوطنية ولعبت الطبقة العاملة دوراً مشرفاً في دعم الانتفاضة والمساهمة فيها[٤] .

ان عدم قيام الجبهة الوطنية الموحدة قبل الوثبة وبعدها انعكس سلباً على مجمل الحركة الثورية في البلاد وعلى المكاسب التي حققتها الوثبة حيث بدأ الاستعمار ينفذ خطته

من خلال تفرقة القوى الوطنية وتوجيه الضربات اليها وبخاصة الحزب الشيوعي العراقي حيث اعدمت السلطات الملكية قادته (فهد وحازم وصارم) في شباط ١٩٤٩ . لقد اكدت تجربة الوثبة على ضرورة تكاتف القوى الوطنية ووحدتها في جبهة وطنية وكان هذا أهم درس قدمته الوثبة .

وفي الاعوام ١٩٥٠ــ١٩٥١ جدد الحزب الشيوعي العراقي دعوته الى : التقارب بين ا لكتل والهيئات الوطنية في سبيل اسقاط حكومة نوري السعيد وحل المجلس النيابي وتحسين الاوضاع الاقتصادية[٥] . ووضع الحزب برنامجاً للجبهة الوطنية المقترحة في ايلول ١٩٥١ ودعا المنظمات والهيئات الوطنية الى التعاون ضمن هذا البرنامج[٦] والذي تضمن عشرة مطالب وأهمها : اسقاط وزارة نوري السعيد ، توسيع جبهة انصار السلام في العراق وابعاد العراق عن التكتلات والمواثيق العدوانية ، الغاء امتياز شركات النفط ، احباط مشروع الاتحاد العراقي ــ الاردني ، اطلاق الحريات الديمقراطية ، الغاء معاهدة ١٩٣٠ ، اسقاط المجلس النيابي واجراء انتخابات حرة ، وغيرها من المطالب[٧] .

واستمرت دعوات الحزب في سبيل قيام اوسع تحالف وطني حيث دعا أبان انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ الوطنيين المخلصين الى أن يتعاونوا ويوحدوا صفوفهم للدفاع عن الشعب .

لقد اتسم نضال الاحزاب السياسية في العراق في اوائل الخمسينات بالتطور النوعي حيث توفرت التجربة لها في قيادة المعارك الطبقية وتعمق فهمها المشترك لضرورة قيام الجبهة الموحدة وتطورت الاشكال غير المباشرة للتعاون الوطني الكامل للعراق والغاء حلف بغداد .

وقد دعا الحزب الشيوعي العراقي من جديد الى قيام تحالف بين القوى الوطنية من أجل تحقيق هذه الاهداف ، وقد حدد هذه المسألة بشكل واضح التقرير الذي قدمه سكرتير اللجنة المركزية في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في كانون الثاني ١٩٥٤ والذي اقرته اللجنة المركزية واعتبر اساساً لبناء سياسة الحزب العملية ودعوة لكافة الاحزاب والمنظمات والشخصيات الوطنية من اجل قيام جبهة كفاح وطني ضد الاستعمار، كضرورة وطنية لا تقبل التأجيل وقد اشار التقرير الى ضرورة الجبهة مؤكداً : (يجب أن نتحد نحن الذين نعادي الاستعمار والحرب بمختلف عقائدنا وميولنا السياسية ، من مختلف القوميات والاديان والاحزاب والمنظمات والشخصيات الوطنية التي يهمها انقاذ

الوطن)[٨] .

كما حدد التقرير مستلزمات قيام الجبهة ومهماتها وأهدافها وأكد على الشعار التالي :

يا أعداء الاستعمار اتحدوا ! ، ليس ثمة طريق آخر للخلاص سوى الاتحاد في جبهة وطنية .

الجبهة الوطنية الموحدة (الانتخابية) ١٩٥٤ .

بعد اتصالات واسعة قام بها الحزب الشيوعي العراقي مع ممثلي الاحزاب والقوى الوطنية تم التوصل الى تشكيل جبهة وطنية في ايار ١٩٥٤ يقتصر نشاطها على الانتخابات النيابية وقد ضمت الجبهة (حزب الاستقلال ، الحزب الوطني الديمقراطي ، ممثلين للعمال والمنظمات الجماهيرية للشباب والطلاب) وقد تضمن ميثاق الجبهة المهام التالية التي اتفقت عليها القوى الوطنية .

١ـ اطلاق الحريات الديمقراطية ٢ـ الدفاع عن حرية الانتخابات .

٣ـ الغاء معاهدة ١٩٣٠ ورفض المحالفات العسكرية الاستعمارية بما فيها الحلف التركي الباكستاني .

٤ـ رفض المساعدات العسكرية الامريكية .

٥ـ العمل على الغاء امتيازات الشركات الاجنبية .

٦ـ ازالة آثار كارثة الفيضان ٧ـ التضامن مع الشعوب العربية واستقلال البلاد العربية وتحرير فلسطين ٨ـ العمل على ابعاد العراق عن ويلات الحرب .

واستطاع الشعب العراقي من خلال الجبهة لاول مرة ان يوصل ممثيله الى البرلمان ويخوض معركة انتخابية ارعبت القوى الرجعية التي واجهت القوى الوطنية بالارهاب ورغم كل ذلك فقد فازت الجبهة بعشرة مقاعد .

وقد حيا الحزب الشيوعي العراقي قيام الجبهة في جريدته المركزية (القاعدة) في عددها الصادر في اواخر ايار ١٩٥٤ بقوله : انتصار عظيم تحرزه قوى شعبنا الديمقراطية بعقد الجبهة الوطنية .

ولم يكتف الحزب الشيوعي العراقي بما تحقق حيث أن التطورات السياسية اللاحقة

والمعارك الطبقية ظلت تطرح مهمة قيام اوسع وحدة للقوى الوطنية . ففي معارك الشعب الوطنية ضد حلف بغداد في ١٩٥٥ قاد الشيوعيون والقوى التقدمية النضال الشعبي ضد الحكم الملكي وربط البلاد بحلف بغداد الاستعماري . وبمناسبة الذكرى الثامنة لوثبة كانون اصدر الحزب الشيوعي بياناً جماهيرياً في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٦ يدعو فيه الى الاتحاد الوطني الشامل لاسقاط وزارة نوري السعيد وتضمن تحليلاً للوضع السياسي ومهام القوى الوطنية ومن أجل سياسة وطنية مستقلة ، سياسة تضامن عربي ، ومن أجل حماية الاقتصاد الوطنى وتحسين أحوال الجماهير .

واستمر الحزب الشيوعي في نضاله وسياسته الداعية الى اقامة تحالف واسع من اجل اسقاط النظام الملكي الرجعي العميل وقد أكد ذلك بشكل خاص الكونفرنس الثاني للحزب الذي عقد في ايلول ١٩٥٦ واقراره الوثيقة البرنامجية (في سبيل تحررنا الوطني والقومي) حيث أكد على تعبئة القوى ا لوطنية في جبهة واسعة مشيراً الى أن : مسألة التحرر الوطني والقومي والتحرر من السياسة الاستعمارية التي تتمثل في حلف بغداد وغيره من القيود الاستعمارية تأتي في مقدمة المهام المشتركة الخطيرةو الملحة التي تهتم بها جميع الطبقات والفئات الاجتماعية المتضررة على اختلاف قومياتها واديانها[٩]

وقد حدد التقرير طبيعة الجبهة وقواها المحركة واهدافها الآنية والمستقبلية .

لقد اتسم الوضع السياسي آنذاك في العراق وفي البلدان العربية بالتعقيد الشديد وبنهوض الحركة الوطنية وتجسد ذلك في انتفاضة ١٩٥٦ أثر الهجوم الاستعماري على مصر ، اذ اكدت هذه الانتفاضة من جديد ضرورة الجبهة الوطنية الواسعة وتطوير اساليب النضال .

جبهة الاتحاد الوطني

في اواخر عام ١٩٥٦ اشتد الصراع بين القوى الوطنية والنظام الملكي والاستعمار وتعززت مواقع الحركة الوطنية . ان هذه الأوضاع جعلت من قيام الجبهة الوطنية غاية في الاهمية ، ونتيجة لجهود الحزب الشيوعي العراقي الدؤوبة والمتواصلة تكللت اشكال التعاون الوطني غير المباشرة بقيام جبهة الاتحاد الوطني التي اعلن عنها في ٩ آذار ١٩٥٧ باعتبارها أول شكل منتظم في التعاون الوطني المشترك حيث توصلت القوى الوطنية الى ضرورة تحويل التنسيق فيما بينها الى تنظيم جبهوي يعمل لتحقيق أهدافها المشتركة لقد كانت

جبهة الاتحاد الوطني ثمرة نضال طويل وشاق لجميع الاحزاب الوطنية أملتها ضرورات الكفاح الوطني حيث ادركت القوى الوطنية ووجدت في الجبهة السلاح الاكثر فعالية للخروج من الازمة . ومما له أهمية خاصة هو قيام الجبهة في ظرف اتسم بتعاظم النضال الجماهيري ضد النظام الملكي وبنهوض حركة التحرر الوطني العربية وبعزلة خانقة كان يعاني منها النظام الملكي عن جماهير الشعب .

ضمت الاحزاب والقوى التالية :

الحزب الشيوعي العراقي ، الحزب الوطني الديمقراطي ، حزب الاستقلال ، حزب البعث العربي الاشتراكي اضافة الى شخصيات وطنية مستقلة . وقد انضم الحزب الديمقراطي الكردستاني الى جبهة ثنائية مع الحزب الشيوعي العراقي لتنسيق نشاطه مع اطراف جبهة الاتحاد الوطني .

وكان التركيب التنظيمي للجبهة يتكون من الهيئات التالية .

١ـــ اللجنة العليا للجبهة : وهي الهيئة المسؤولة عن قيادة النشاط السياسي للجبهة وتضم ممثلا واحداً لكل من الاحزاب السياسية المؤتلفة في الجبهة .

٢ـــ لجنة التنظيم المركزية للجبهة : وهي مؤلفة من ممثلي الاحزاب المؤتلفة في الجبهة الى جانب بعض العناصر المستقلة وكانت مهمة لجنة التنظيم تأمين الاتصال المباشر بين اللجنة العليا للجبهة ومنظمات وقواعد الاحزاب المختلفة .

كما تشكلت العديد من لجان الاختصاص التابعة للجبهة ، وتم توفير مطبعة سرية تقوم بطبع البيانات الخاصة بنشاط الجبهة ومواقفها من الاحداث السياسية واصدرت اللجنة العليا مع بيان اعلان تشكيل الجبهة في ٩ آذار منهاج عملها الذي اقرته الاحزاب المؤتلفة وكان برنامجاً مرحلياً هدفه الاساس اسقاط النظام القائم ويحدد المطالب التالية :

١ـــ تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي .

٢ـــ الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلدان العربية المتحررة .

٣ـــ مقاومة التدخل الاستعماري بشتى اشكاله ومصادره ، وانتهاج سياسة عربية مستقلة اساسها الحياد الايجابي .

٤ـــ اطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية .

٥ـــ الغاء الادارة العرفية واطلاق سراح السجناء والمعتقلين والموقوفين السياسيين

واعادة المدرسين والموظفين والمستخدمين والطلاب المفصولين لاسباب سياسية[١٠] .

كما يتضمن المنهاج تحليلاً لكل واحدة من هذه المطالب .

وفي مطبعة الحزب الشيوعي العراقي السرية تم طبع البيان الاول للجبهة وقد وزع منه أكثر من ٢٠ ألف نسخة[١١] .

وقد فاق صدى الاعلان عن تأسيس واصدار البيان الاول التصور ولف جماهير واسعة حول الاحزاب وكسبت الحركة الوطنية جماهيرية عظيمة وبلغ تأثير البيان الفصائل الثورية في الجيش مما خلق الارضية لالتقاء هذه الفصائل وتعاونها مع جبهة الاتحاد الوطني وبذلك تحققت في هذه الجبهة وحدة الشعب العراقي وهذه اعظم تعبئة حدثت في تاريخ العراق الحديث مهدت لدحر النظام الملكي المدجج بالسلاح والى اسقاطه في فترة زمنية قصيرة .

وتكونت بعد ذلك اللجان المحلية لجبهة الاتحاد الوطني في المحافظات، وفي بغداد تألفت العديد من اللجان المهنية للجبهة في مجالات العمال والمحامين والمهندسين والادباء والمعلمين وغيرهم وساهمت في تنشيط فعاليات الجبهة وتوسيع جماهيريتها وكانت جميع لجان الجبهة تعقد اجتماعاتها بصورة دورية لبحث طرق واساليب النضال من اجل تحقيق برنامج الجبهة كما لعبت الجبهة دوراً هاماً في توحيد القوى الوطنية داخل الجيش العراقي من خلال تنسيق نشاطها وتوجيه نضالها المشترك[١٢] .

كما عقدت الجبهة صلات مع القوى الوطنية في البلدان العربية وخاصة في مصر وسوريا ولبنان وتضامنت مع النضال العادل الذي تخوضه الشعوب العربية من اجل الاستقلال والحرية والتقدم الاجتماعي وقد اكدت الجبهة في احدى بياناتها حول الوضع العربي والتضامن مع الشعوب العربية الشقيقة : تجتاز الامة العربية مرحلة خطيرة في صراعها مع الاستعمار وتجابه مختلف اشكال التآمر .. (ان مسؤوليتنا في العراق كبيرة وواجبنا عظيم وشعبنا قادر على تحمل المسؤولية واداء الواجب المقدس)[١٣] .

ان جبهة الاتحاد الوطني تمثل القاعدة السياسية لثورة تموز ١٩٥٨ واستطاعت أن تلف اوسع الجماهير حولها وتتحول الى حركة جماهيرية فاعلة ضد الحكم الملكي .

يقول الدكتور ابراهيم كبة احد المساهمين في جبهة الاتحاد الوطني : اما اسقاط النظام القديم وبناء النظام الجديد فقد بدأت شروطه الذاتية تكتمل وتنضج قبيل الثورة

عندما نجحت القوى السياسية الوطنية في تأليف جبهة الاتحاد الوطني في بداية عام ١٩٥٧ بعد مخاض طويل وعسير وعندما تم الاتصال بوسائل مختلفة بين عناصر الجبهة ومنظمات الضباط الاحرار لغرض تفجير تلك الثورة العظيمة[١٤] .

لقد اصبحت الثورة بعد اعلانها مثالاً رائعاً للوحدة الوطنية ورفعت معنوية الجماهير ومهدت الجو السياسي للانتصار الساحق الذي تمثل بثورة تموز باعتبارها ثمرة تحالف القوى الوطنية .. هكذا ولدت جبهة الاتحاد الوطني في خضم الاحداث العاصفة التي شملت العراق والمنطقة العربية .

وبعد انتصار ثورة ١٤ تموز لم تواصل الجبهة جهودها من اجل تعزيز المكاسب الثورية التي حققتها حيث رأى العديد من اطراف الجبهة ان مهمتها قد انتهت وبذل الحزب الشيوعي العراقي محاولات عديدة من اجل أن تكون الجبهة اداة فاعلة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد الا ان هذه الجهود قوبلت بعدم الاهتمام من جانب القوى الاخرى .

ان ميثاق جبهة الاتحاد الوطني لم يحتو على برنامج اجتماعي متكامل لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ولم يتطرق الى شكل وتركيب الحكومة التي تناضل القوى الوطنية المؤتلفة في الجبهة من اجلها ، والمؤهلة للنهوض حتى بالمهام الآنية التي طرحها الميثاق . اي ان الاحزاب لم تتفق على برنامج لاحق لتطور الثورة .

ان هذا الامر لا يقلل من أهمية جبهة الاتحاد الوطني ودورها حيث أن قيامها يمثل انجازاً تاريخياً للقوى الوطنية تجسد في توحيدها وجمعها على برنامج مشترك وتنسيق جهودها واساليب عملها وتنسيق خطط الكفاح الوطني وتبادل الخبر والتجارب . لقد قامت الجبهة حقاً بدور اساسي في التمهيد لقيام ونجاح ثورة الرابع عشر من تموز .

يمكننا التوصل الى جملة من الاستنتاجات بصدد تجربة التحالفات خلال الاعوام ١٩٤٨ـــ١٩٥٨ في بلادنا وهي :

أولاً ـــ الظروف الموضوعية في بلادنا اكدت الضرورة التاريخية لقيام الجبهة الوطنية الواسعة من اجل اسقاط النظام الملكي الاستعماري حيث أن النضال ضد الامبريالية وفي سبيل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي يكون الاساس الموضوعي لاقامة اوسع ائتلاف في سبيل الاهداف المشتركة .

لقد اكدت تجربة الحركة الثورية في بلادنا على ان انتصارات شعبنا

وقواه الوطنية مرتبطة على الدوام بوحدة هذه القوى .

ثانياً ــ لعب الحزب الشيوعي العراقي دوراً طليعياً في توحيد القوى الوطنية في العراق ولم تخل اي تجربة من التحالفات في تاريخ العراق السياسي المعاصر دون الوجود الفعال للحزب الشيوعي باعتباره المبادر والمنظم لها وفي بلادنا اول من طرح شعار الجبهة الوطنية هو الحزب الشيوعي العراقي .

ثالثاً ــ ان الجبهة الوطنية في الوقت الذي هي اطار للتحالف بين قوى طبقية وسياسية مختلفة فهي ايضاً ميدان للصراع بين القوى المتحالفة وهي تتطور وتتعمق من حيث الأهداف والتركيب الاجتماعي والسياسي من خلال هذا الصراع الذي لا يمكن ان تتطور بدونه العملية الثورية .

رابعاً ــ اكدت التجارب الملموسة في التحالفات التي قامت في بلادنا ، على ضرورة مراعاة المبدأ اللينيني الذي يؤكد دوماً ان ضمان حلف العمال والفلاحين هو الضمانة الاساسية والقوة الرئيسية في الجبهة الوطنية .

خامساً ــ اكدت تجارب التحالف وخاصة تجربة جبهة الاتحاد الوطني بان قوة الجبهة وتحويلها إلى أداة سياسية لتأمين انتصار الثورة تكمن في استعداد احزابها المؤتلفة لمواصلة النضال من اجل تحقيق الاهداف المشتركة التي تم الاتفاق عليها والانتقال الى اهداف أخرى أكثر جذرية .

سادساً ــ لقد انتصرت ارادة جماهير الشعب بقيادة جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧ ورغم انتكاسة الجبهة فانها حققت هدفها الرئيسي وبررت الضرورة التاريخية لقيامها . لقد اكد هذا الشكل المنظم من التعاون فعاليته وجدواه من خلال انتصار ثورة ١٤ تموز واكدت بذلك أن الوحدة شرط الانتصار .

(*) حزب التحرر الوطني : هو الواجهة العلنية للحزب الشيوعي العراقي حيث طرح برنامجه عام ١٩٤٦ وطلب اجازته رسمياً للعمل العلني ولكن السلطات الرسمية رفضت ذلك .

(١) عزيز محمد : مقدمة كتاب (دراسات في الجبهة الوطنية)

(٢) جريدة الفكر الجديد العراقية العدد (٤) ١٩٧٢/٧/١٦

(٣) حسين محمد الشبيبي — الجبهة الوطنية الموحدة طريقنا وواجبنا التاريخي ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) سعاد خيري : من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق (١٩٢٠ــ١٩٥٨) الجزء الأول . ص١٦٦ــ١٦٧ .

(٥) جريدة القاعدة ، لسان حال الحزب الشيوعي العراقي العدد ١٢ السنة التاسعة ، اوائل آذار ١٩٥١ .

(٦) جعفر عباس حميدي : التطورات السياسية في العراق ١٩٤١ــ١٩٥٣ ص٣٩٣ .

(٧) جريدة القاعدة : العدد ١٦ السنة التاسعة اواخر ايلول ١٩٥١ .

(٨) كراس جبهة الكفاح ضد الاستعمار والحرب . مطبعة القاعدة ، اوائل آذار ١٩٥٤ .

(٩) خطتنا السياسية في سبيل التحرر الوطني والقومي : تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي الذي ناقشه وصادق عليه المجلس الحزبي (الكونفرنس) الثاني للحزب في ايلول ١٩٥٦ .

(١٠) بيان اللجنة العليا لجبهة الاتحاد الوطني بغداد ٩/آذار ١٩٥٧ .

(١١) جريدة الفكر الجديد العراقية العدد ٢٣٠ ١٩٧٧/٣/٥ .

(١٢) مجلة الثقافة الجديدة العراقية العدد ٩١ آذار/١٩٧٧ ص٢٥ .

(١٣) بيان جبهة الاتحاد الوطني (حول الوضع الراهن ومهام حركتنا الوطنية) بغداد ١٩٥٧/٩/٥ .

(١٤) د . ابراهيم كبة : هذا هو طريق ١٤ تموز بيروت ١٩٦٩ ص٨ .

(١٥) سعاد خيري : ثورة ١٤ تموز ص٢٢٤ .



عمل المستقبل ومستقبل العمل

رد على مشوهي افكار ماركس

أرنست فيمر *

احتدم في البلدان الرأسمالية المتطورة صناعياً نقاش حاد نسبياً حول الدور الاجتماعي للعمل. يتلخص فحواه في نهاية المطاف بالسؤال الآتي: « هل للعمل مستقبل ؟ » .

يصعب على المرء تحديد ما هو الغالب في هذا السؤال : الاستخفاف أم الصفاقة . ففي البلدان الرأسمالية المتطورة صناعياً مجموعة لا تحصى من القضايا التي تحتاج إلى حل ـــ من قضايا العناية الطبية والتعليم وتأمين سكن مريح بثمن معتدل إلى حماية البيئة وإزالة البؤس الجديد ، ناهيكم عن خلق ظروف لتمضية أوقات الفراغ بصورة مفيدة وممتعة . كل ذلك يتطلب عملاً هائلاً على امتداد فترة طويلة من الزمن .

ومع ذلك فهذه المسألة ليست مسألة نظرية صرف ، وينبغي عدم التهرب منها كأنها لغز . فهي تعكس ، وإن بصورة مشوهة ، قضايا بالغة الأهمية للواقع المعقد تمس أعداداً كبيرة من الناس . وكثيراً ما تناقش هذه القضايا بحدة في الحركات الاجتماعية الجديدة . فمنذ فترة غير بعيدة كان الانسان الالي يعتبر ثمرة للخيال . ولكن ما كان في السابق مجرد خيال ، يصبح اليوم للمرة الأولى أمراً ممكناً بفضل الثورة العلمية التقنية

* عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي النمساوي

والتكنولوجيات الموفرة للعمل : ويحل الوقت الذي لا تعود فيه الثروة الاجتماعية في البلدان المتطورة تكنولوجيا تتوقف بقدر كبير على العمل المباشر ، ونؤكد : العمل المباشر .

لقد كانت الحركة العمالية دائماً تعني بالتحرير الاجتماعي تحقيق هدفين : أولاً ، تذليل نظام العبودية المأجورة ــ الرأسمالية ، وثانياً ، تقليص وقت العمل الضروري اجتماعياً بفضل الانتاجية العالية من أجل أن تتفجر ينابيع الثروة الاجتماعية كلها بكامل قوتها ، ولكي يتحول العمل من الوسيلة الأساسية للحياة إلى حاجة حياتية طبيعية .

إن إنتاجية العمل الأعلى بحد ذاتها لا تؤدي إلى تحسين المجتمع . والدليل على ذلك البطالة الجماعية والبؤس الجديد ، والمظاهر الكثيرة المتنوعة للانهيار والتفسخ والانحطاط الأخلاقي ، وتزايد الجريمة وتقليص الديمقراطية في البلدان الرأسمالية . ويؤكد برنامج الحزب الشيوعي النمساوي أن التقنية والعلم بحد ذاتهما لا يحددان أبداً الأهداف التي يخدمانها : « ان الثورة العلمية التقنية لا تجعل الأنظمة الاجتماعية متشابهة.اطلاقاً ، بل على العكس تضاعف التناقض فيما بينها . وهي تفاقم التناقضات في ظل الرأسمالية إلى درجة غير معقولة ، خطيرة جداً »[١] . واليوم بعد سنوات عدة من وضع برنامجنا ، يجري الحديث ليس في البلدان التي تعاني البطالة الجماعية بشدة فحسب ، بل وفي النمسا أيضاً ، عن الافاق المخيفة « لمجتمع الثلثين » ، أي المجتمع الذي يكون فيه ثلث القادرين على العمل ، إذا لم يكن أكثر ، عاطلين عن العمل . إن زيادة الانتاجية تفاقم بصورة فظيعة المعضلات الاجتماعية في كل مكان لم يتحقق فيه بعد هدف الحركة العمالية الأول ــ التحرر من الرأسمالية ــ ويسود فيه الربح .

إن المزاعم القائلة بأنه ينتظرنا عالم من دون عمل تخفي حتماً المساعي إلى الاعلان مجدداً عن موت « حفار قبر الرأسمالية » ، أي الطبقة العاملة . لنأخذ ، على سبيل المثال ، كتاب الفيلسوف البولندي الأصل آدام شاف « إلى أين تفضي الطريق ؟ »[٢] . يصف المؤلف كتابه بأنه « دراسة اقتصادية سياسية مستقبلية » ، « تشمل السنوات العشرين ــ الثلاثين القادمة » ، ومما له دلالته أن المؤلف يعلل « استناداً الى ماركس » المنحى التكنوقراطي المعروف القائل بأن الثورة العلمية التقنية تلغي الحاجة إلى الثورة الاجتماعية . فما الذي يتوقعه شاف ؟ إنه يتوقع بالدرجة الأولى « اختفاء العمل » والانسان العامل ، وبالتالي ، الطبقة العاملة . وانطلاقاً من ذلك يحاول أيضاً رسم مصير رأس المال .

يتصور آ . شاف أن « الرأسمالية المحدودة » هي الشكل الأكثر احتمالاً لتطور المجتمع . فما الذي يعنيه هذا المفهوم ؟ إنه مزيج من « الرأسماليين المتبقين » و« الرأسماليين الجدد » — أي الرأسماليين المعلوماتيين ! ووفقاً لشاف يصبح مفهوم « الملكية » مفهوماً نسبياً ، شرطياً أكثر فأكثر تحت تأثير القوة الاجتماعية الجديدة — المعلوماتية التي يزعم انها تحل محله . ويربط شاف الاشتداد المطرد لـ « نسبية » الملكية بإعادة توزيع الدخل . وعلى هذا النحو يغيّب علاقات الملكية بوصفها أساس عملية الانتاج وضابطها . وهذا هو موقف أعداء الماركسية على مختلف ألوانهم . فهم يجعلون دائماً مسألة الملكية في مرتبة ثالثة ، تقع في مكان ما على أطراف العلاقات الاجتماعية . فعلى سبيل المثال ، يصورون الترابط الوثيق بين السلطة الاقتصادية والسياسية للاحتكارات ، ذلك الترابط الذي يتجلى في نشاط الشركات العملاقة فوق القومية ، وكأنه « حالة خاصة » لا تمارس أي تأثير في نظرياتهم الاجتماعية . إن النظرية القديمة القائلة بانخفاض أهمية الملكية يدحضها بصورة جذرية تطور العلم والتقنية نفسه ، الذي تستند إليه . فالشركات التي غدت تجسيداً لأعلى درجات تركز رأس المال تستخدم التقدم العلمي التقني كأداة في التنافس على مجالات النفوذ الاقتصادي والسياسي وتوطيد علاقات الملكية وتشديد الاستغلال .

وإذ يتناول شاف العواقب الاجتماعية لـ « الثورة الصناعية الثانية » ، فإنه يجعل التقنية كبش الفداء . فتزايد جيش العاطلين عن العمل يشكل بالنسبة له نتيجة لادخال الانسان الالي في الانتاج وليس للعلاقات الرأسمالية . وتراه يركز الاهتمام على قضية كيفية إعالة الأعداد الضخمة من الناس المحرومين من العمل . فإذا كان تقليص وقت العمل الحتمي في المستقبل لن يؤدي إلى تحسين الوضع فينبغي ، برأيه ، اقرار « الأجرة القاعدية » أو « الدخل الاجتماعي » ، وهو بمثابة ريع لمدى الحياة يقتطع من العمل المنتج . ويعتقد شاف بأن الرأسماليين سيقبلون بهذا المخرج من أجل الحفاظ على سيطرتهم الاقتصادية (انظر ص ٣٨) . ويتساءل : هل سيبقى المجتمع الذي يدفع فيه أجر للعاطلين عن العمل مجتمعاً رأسمالياً ؟ (انظر ص ٤٢) .

يفرض شاف على الدولة « البحث عن السبل والوسائل للاشراف بصورة أشمل على استقرار هذا النظام مع الحفاظ على مجال أوسع للمنافسة والمبادرة الخاصة » (ص ٤٦) . فما هي « الجدة » في هذا المجتمع ، إذا بقي فيه مجال واسع للمنافسة الرأسمالية

والمبادرة الخاصة ؟ تكمن في أنه يوجد فيه ، بالرغم من انعدام التأميم كلياً (لأن الاشتراكية القائمة قدمت على ذلك ، كما يزعم ، مثالاً سيئاً) ، « تدخل في حق الملكية الخاصة المقدس ، في أقل تقدير » (ص٤٤) . وباختصار ، لا يضيف شاف شيئاً جديداً إلى مزاعم أنصار حرية رأس المال الأكثر غيرة ، بأن كل تدخل للدولة البرجوازية في الاقتصاد ، كل تخطيط على نطاق واسع ، حتى ولو كان لصالح الاحتكارات الرئيسية في نهاية المطاف ، إنما « هو اشتراكية » .

وتجد فكرة «الأجرة القاعدية» أو « الدخل الاجتماعي » أنصاراً عديدين اليوم . فتدعمها ، أو حتى تجدها جديرة بالنقاش شخصيات ومنظمات ذات انتماءات سياسية متنوعة ، تشمل المحافظين المتطرفين والاصلاحيين الوجلين و« البدائليين » ، الذين وإن كانوا يعتبرون أنفسهم راديكاليين جداً ، لا يعون ضرورة استئصال الشر من جذوره المتمثلة بتشابك سلطة رأس المال الاحتكاري مع سلطة الدولة . فما الذي يكمن وراء هذه الوحدة الغريبة ؟ فالشباب المحرومون من العمل ومن أية إمكانات متواضعة للتعبير عن الذات ، يعلقون أحياناً آمالا معينة على مثل هذه الأفكار المبهمة . ومفهوم أيضاً السبب الذي يجعل الاصلاحيين الذين يرفضون الصراع الطبقي والاشتراكية بالطبع ، يعتقدون أن « رأسمالية الأجرة القاعدية » هي أفضل عالم ممكن وذروة محبة القريب والتضامن في المجتمع اللاانساني . ولكن ما الذي يدفع المحافظين الى تبني هذه المشاريع ؟

ينشأ هنا ، كما في كل مكان ، السؤال الأزلي : من يدفع ؟ هل ينبغي أن يمول « الدخل الاجتماعي » من النفقات الاجتماعية الأخرى ومكتسبات الشغيلة ؟ إن هذا الحل يمكن أن يسهل إلى حد كبير التفكيك الاجتماعي الشامل الذي يتوخاه المحافظون . وهم موافقون تماماً على أن يجري توفير الأموال من الضرائب الاضافية على كل من يحصل على مرتب أو أجرة .

بديهي ، أنه من المستحسن التفكير بإمكانية توحيد وتقارب العاملين والعاطلين عن العمل إذا ما تم تأمين « الدخل الاجتماعي » من رأس المال . ولكن ينبغي عدم الابتعاد عن الواقع ، عن ظروف النضال الفعلية . فمن المستبعد اثبات أنه يمكن ، حتى في ظل توازن القوى الأكثر ملاءمة ، إعالة العاطلين عن العمل بفضل اعادة التوزيع على حساب رأس المال فقط . إن التجربة تعلم حتى الذين على استعداد لدخول معترك

النضال ، إن « الدخل الاجتماعي » سيقتصر في نهاية المطاف على إعادة التوزيع على حساب العاملين . فلماذا يا ترى سيناضلون من أجل ذلك ، إذا كان العاطلون عن العمل سوف يحصلون تحت اسم « الدخل الاجتماعي » ، على تعويضات بطالة أدنى ؟ كل ذلك سوف يؤدي إلى التخلي العملي عن مطالبة الطبقة الحاكمة باحترام الحق في العمل .

ولا يمكن الاشتباه برغبة انصار « الأجرة القاعدية » في تقسيم المجتمع إلى طبقات . في حين أن ذلك جرى منذ زمن بعيد . ولكن يمكن أن تساهم أعمال من هذا النوع في تعميق الانقسام بين العاملين والعاطلين عن العمل ، بل وحتى اظهار استغلال العمال وكأنه امتياز اجتماعي يتمتعون به .

إن السبب الرئيسي في طرح السؤال عمّا إذا كان للعمل مستقبل يكمن في أن الرأسمالية ، في ظروف الارتفاع الحاد في انتاجية العمل الناجم عن الثورة العلمية التقنية ، عاجزة أكثر من أي وقت مضى عن تأمين الحق في العمل ــ حتى بالقدر الذي تعترف به عموماً . وهذا ما يرغم رأس المال على تمويه استغلال الشغيلة بعناية فائقة . ولكن ثمة عوامل أخرى لا تقل أهمية . فالتكنولوجيات الجديدة تمنح الاحتكارات الوسائل لتوفير رأس المال المتغير ، ولتكثيف العمل وتنظيمه بقسوة وإلغاء مهارة اليد العاملة . وتعجل رأسمالية الدولة الاحتكارية استغلال العمال والمستخدمين والمثقفين . ومع ادخال التكنولوجيا الجديدة يشتد الاغتراب في عالم رأس المال . وفي النتيجة يصب في الحركات الاجتماعية الجديدة ضد العمل بحد ذاته بالشكل الذي يطلبه المجتمع الرأسمالي من العامل ويعرضه عليه . من هنا يأتي العناد الذي يتسم به طرح منظري هذه الحركات لمطلب العمل الغني المحتوى ، المحدد بصورة مستقلة .

من هذه القضية ينطلق ، على سبيل المثال ، الفيلسوف وعالم الاجتماع الوجودي أندريه غورتس في كتاب « الطريق إلى الجنة »[٣] . إذ تتلخص فكرته الأولية في أن المجتمع القديم ــ الصناعي ــ في حالة احتضار . ولا أثر للجديد . وبالتالي ينبغي اختراع البديل . فيدعو بتشاؤم وبأشكال طوباوية في آن إلى انشاء « جزر فردوسية » في وسط المجتمع القديم ، حيث لا وجود للاكراه ولا حتى للقواعد المنظمة . بيد أن هذه العوالم الصغيرة ستكون في حالة حصار يهددها دائما الاستغلال والاغتراب .

يرى غورتس الشر الرئيسي في كون القرارات بشأن الانتاج والاستهلاك والنفقات

الاجتماعية منفصلة عن بعضها . ومثاله في أن يجري ربطها بشكل يجدد فيه المستهلك المباشر بدرجة متزايدة مايتم إنتاجه ، ويصبح فيه الانتاج والاستهلاك والمواطن كلا متكاملا . ويقول بأن هذا « الجمع » ليس ممكنا للجميع ولكل مكان . وبالطبع ، يغادر غورتس تماماً أرض الواقع عندما يحاول ، ذهنياً في الأقل ، أن يجمع في عالم موحد « الجزر الفردوسية » ، الغارقة دائماً في بحر العلاقات الرأسمالية . وتتسم حساباته النظرية بالاستخفاف التام بمسألة من هي القوى القادرة على القيام بتحويل المجتمع . (إذ لا يمكن اعتبار أن الـ « لاطبقة اللاشغيلة » التي يتحدث عنها كتابه : « وداعاً للبروليتاريا »(٤) ، هي هذه القوة .)

وهكذا ، فإن غورتس يختزل قضية تحويل علاقات السلطة والملكية التي ظل النقاش يدور حولها على امتداد أجيال كثيرة في الموضوعة التالية : « ان تذليل الرأسمالية يعني بالدرجة الأولى القضاء على تسلط العلاقات السلعية ، بما في ذلك بيع العمل ، من أجل الأنواع الطوعية من النشاط وعلاقات التبادل ، التي تكمن أهميتها فيها نفسها » (ص ٨٥) . وينبغي أن تؤمن ذلك أتمتة الانتاج التي يزعم أنها تحرم علاقات التبادل من أسسها ، من جهة ، ونشر « شبكة » التعاضد العفوي والتضامن وتنشيط العلاقات بين البشر ، التي تتفسخ ، تفسد أو تدمر بسبب العلاقات السلعية ، من جهة أخرى . (يردد العديد من منظري « البدائليين » مثل هذه الأفكار) .

يسعى غورتس كذلك إلى تعليل مطلب الريع لمدى الحياة ، الذي لا يرتبط بالعمل ، فقد أصبح الحصول عليه مستحيلاً بالنسبة للكثيرين . فيكتب قائلاً : « ان يوم العمل الكامل بالذات هو الذي يمنعه (أي يمنع الانسان) من اختبار قدرته على الابداع والاستقلالية . ولكنه يعتقد أن ميدان النشاط المستقل لا يمكن أن يوجد إلا على أساس العمل الخاضع .

يستند غورتس في أحاديثه عن النشاط المستقل والعمل الخاضع إلى ماركس . ولكنه يخلط هنا بين أمرين مختلفين تماماً . ففي المجلد الثالث من « رأس المال » يعطي ماركس وصفاً بالغ الأهمية للمجتمع المقبل ، حيث كتب يقول أن ميدان الانتاج المادي الصرف « يبقى مع ذلك مملكة الضرورة . وعلى جانبه الآخر يبدأ تطور القوى البشرية الذي يشكل هدفاً بحد ذاته ، تبدأ مملكة الحرية الحقيقية ، التي لا يمكن أن تزدهر إلا في مملكة الضرورة هذه بوصفها قاعدة لها . وتقليص يوم العمل هو الشرط الأساسي

لذلك »[٥] .

بالرغم من أن غورتس يعترف بحتمية « مملكة الضرورة » ، إلا أنه يتجاهل ما يعتبره ماركس الشرط الضروري الذي لا بد منه في هذه المملكة . فالحرية في ميدان الانتاج المادي نفسه ، حسب ماركس ، لا يمكن أن تتمثل إلا في كون الانسان الجماعي ، المنتجين المتحدين ينظمون بصورة عقلانية تبادل المواد بينهم وبين الطبيعة ، ويضعونه تحت الرقابة العامة ، بدلا من أن يسيطر عليهم كقوة عمياء ، ويمارسونه بأقل قدر ممكن من انفاق القوى وفي ظروف ملائمة ومناسبة أكثر لطبيعتهم البشرية »[٦] . وهكذا ، فإن ماركس يطالب بإلغاء الاستغلال في « مملكة الضرورة » ، وإعادة التنظيم الاشتراكي للمجتمع هي التي تخلق المجال الممكن في هذه المملكة للحرية .

وإذ يرفض غورتس هذا التحويل ، يقبل مع « مملكة الضرورة » ما تتضمنه من استغلال واغتراب غير ضروريين بتاتاً . ويتفق هذا تماماً مع موقفه الوجودي القائل انه بالرغم من إمكانية الحد من الاغتراب من المستحيل من حيث الجوهر ازالته بصورة نهائية . فهو سمة مميزة للمجتمع بصرف النظر عن نظامه الاجتماعي : « كل مجتمع ينطوي في داخله على شيء ما من الالة الكبيرة » (ص١٠٤) . وباختصار ، أن الاغتراب شرط وجودي . ولا مفر منه .

في « الايديولوجيا الألمانية » أشار ماركس وانجلز إلى أن للاغتراب جذوراً اجتماعية ملموسة (وليس وجودية) . وعرفاه بأنه « دمج لناتجنا الذاتي في قوة شيئية ما تسيطر علينا ، تخرج من رقابتنا ، تتعارض مع توقعاتنا وتلغي حساباتنا ... »[٧] .

سادت بين الماركسيين في فترة معينة أفكار مبسطة لا تراعي تماماً الديالكتيك المعقد للتغلب على الاغتراب في المجتمع الاشتراكي . وقد كان ذلك مميزاً بصورة خاصة لنقاد الأفكار الغريبة عن الماركسية . وقد أتاحت دراسة هذه القضية استخلاص استنتاج مفاده أن عواقب اغتراب العمل ، حتى بعد توطد علاقات الانتاج الاشتراكية بصورة نهائية ، « لا تتبخر بصورة تلقائية ومفاجئة من الوعي ، بالرغم من أن الاغتراب نفسه قد تم القضاء عليه »[٨] .

إن الاغتراب مقولة فلسفية معقدة وفي الوقت نفسه ظاهرة يومية ، جماهيرية إلى أقصى حد وخانقة من ظواهر الرأسمالية . إنه يعني في الحياة العادية أن كل عامل بأجر ، إذ يشارك في إنتاج هذه السلعة أو تلك أو في ترويجها في السوق ، إنما يعيد بذلك انتاج

تبعيته ، إنتاج نفسه بوصفه سلعة تأخذ شكل « قوة العمل » ، انتاج وضعه الخاضع في ظل سيطرة القوى المعادية ، انتاج بنى السلطة والسوق التي يصعب التعرف عليها .

لقد ظهر الاغتراب بأشكاله المختلفة قبل الرأسمالية . وهو موجود في ظل الرأسمالية وله أثر محسوس في المجتمع الاشتراكي كنتيجة للتناقضات غير المدروسة أو التي لا تولى الاهتمام بدرجة كافية . وتذليل الاغتراب عملية طويلة تبدأ مع استئصال جذوره العميقة في الاقتصاد . وفي مجرى تطور الاشتراكية يصبح العالم الاجتماعي ومكان وموقع كل فرد فيه أكثر وضوحاً وقابلية للرقابة . وتنمو قدرة المجتمع على جعل النتائج تستجيب أكثر فأكثر لأماني وحاجات الناس وأهدافهم .

لذا من الخطأ العميق الاعتقاد بأن الاغتراب سمة مميزة للنظام الاشتراكي . ويروج هذه التصورات الخاطئة ، في الآونة الأخيرة ، أنصار نظرية « التقارب السلبي » (التي تزعم وجود تشابه متنام بين التشكيلتين الاجتماعيتين المتناقضتين في الجوانب السيئة) . ويعتبر هؤلاء الاغتراب ظاهرة اجتماعية تقف فوق الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية . ويزعمون أن الاشتراكية لا تختلف في هذا المجال عن الرأسمالية بشيء . ويصورون الاغتراب أمراً أشد وطأة من الاستغلال الذي يكادون يعتبرونه شيئاً تافهاً . ولا يلاحظون في هذا المجال (أو ينفون) أن اضفاء الطابع العام الاشتراكي للانتاج يشكل شرطاً حاسماً لأمكان انهاء الوضع الذي يخرج فيه « الناتج » من تحت سيطرة الناس ويقضي على حساباتهم . إما مجتمع المستقبل الذي يرسمه غورتس — مع الاستغلال في « مملكة الضرورة » والاغتراب الذي يستحيل استئصاله على حد زعمه — فهو ليس بعيداً عن الجنة فحسب ، بل وكذلك عن العوالم القائمة فعلا والممكنة .

ان انصار موضوعة اختفاء الطبقة العاملة وسلطة رأس المال نتيجة الثورة العلمية التقنية من أمثال شاف وغورتس ، يقفون ضد الماركسية . ولكنهم يستندون كما رأينا ، إلى ماركس . وتشكل « المخطوطات الاقتصادية لأعوام ١٨٥٧ — ١٨٥٩ » (الصيغة الأولى لـ « رأس المال ») هدفاً دائماً لابتزازاتهم النظرية اليوم . فكما أشار ماركس ، « ان اتجاه رأس المال يتلخص في اضفاء طابع علمي على الانتاج ، أما العمل المباشر فيختزل إلى مجرد لحظة في عملية الانتاج »[٩] . ثم يتنبأ ببعد نظر لا مثيل له بتلك الدرجة من الأتمتة حين « يصبح العامل إلى جانب عملية الانتاج بدلاً من أن يكون وسيطها الرئيسي »[١٠] .

لنر إذا كانت مزاعم شاف وغورتس التي يسعيان إلى تدعيمها بهيبة مؤسس الماركسية ، تنبع من الدراسات التي أجراها ماركس . بديهي أن العودة إلى المصدر تشكل الحجة الأكثر اقناعاً في الجدل المتعلق بأفكار هذا المؤلف أو ذاك . لذا سنعود بالقارىء إلى الفصل المعني من الصيغة الأولى لـ « رأس المال » (المؤلفات ، المجلد ٤٦ ، القسم الثاني ، ص ٢٠١ ـــ ٢٢٢) ، وسنورد ـــ في حدود ما تسمح به مقالة في مجلة بعض الموضوعات من هذا النص المعقد والغني جداً بالأفكار . فهي ستسمح للقارىء ، كما نعتقد ، بأن يحكم بنفسه على موقف ماركس من القضية التي نحن بصددها .

إذ يدرس ماركس عملية تزايد المستوى العلمي للعمل يقول : « ... مع تطور الصناعة الكبيرة يصبح خلق الثروة الفعلية أقل تبعية لوقت العمل ولكمية العمل المبذول ، بالمقارنة مع قدرة أولئك الوسطاء الذين يتحركون خلال وقت العمل والذين هم بدورهم ... لا يقعون في أي توافق مع وقت العمل المباشر اللازم لانتاجها ، بل هم بالأحرى في حالة تبعية لمستوى العلم العام ولتقدم التقنية ، أو لتطبيق هذا العلم في الانتاج »[١١] .

ما هي آثار هذه العملية على الشغيلة ؟ في « نظريات القيمة الزائدة » يشير ماركس إلى أن وسائل الانتاج ، شروط العمل الشيئية ، « لا تبدو خاضعة للعامل ، بل على العكس يبدو العامل خاضعاً لها . إنه لا يستخدمها ، بل هي التي تستخدمه » . كما ان استخدام قوى الطبيعة والعلم في أهداف انتاجية يقف في مواجهة العمال أيضاً[١٢] . وتصبح التبعية لرأس المال أكثر فأكثر واقعية بمقدار القضاء على القدرة المستقلة لكل فرد في الانتاج خارج العلاقات الرأسمالية .

وهكذا ، لا يتحدث ماركس أبداً عن الـ « اختفاء » ولا عن سلطة رأس المال ولا عن العمل نتيجة التطور العلمي التقني . ليس العمل هو الذي يصبح فائضاً بل « العامل هو الذي يصبح فائضاً إذا لم يكن نشاطه يتحدد بحاجة (رأس المال) »[١٣] . يعرف ملايين الناس اليوم بتجربتهم الخاصة أن رأس المال يرفض « تشغيل » قوة العمل إذا لم تعده بالأرباح ـــ حتى ولو وجدت مجموعة كبيرة من الحاجات التي لا تلبى،وجيش هائل من الفقراء الجدد ، كما هو الأمر مثلا في أغنى بلد رأسمالي ـــ الولايات المتحدة .

فهل يفقد رأس المال اليوم الحاجة إلى النمو الذاتي من خلال استغلال العمل ؟

هل من الممكن توقع حدوث مثل هذه المعجزة ؟ يكتب ماركس : « أن رأس المال يشكل بحد ذاته عملية متناقضة ... فمن جهة يبعث رأس المال الحياة في كل قوى العلم والطبيعة وكذلك في قوة التركيب الاجتماعي والمعاشرة الاجتماعية ... لكي يجعل خلق الثروة مستقلاً (نسبياً) عن وقت العمل المبذول فيه . ومن جهة أخرى يريد رأس المال قياس هذه القوة الاجتماعية الهائلة المصنوعة بهذه الطريقة ، بواسطة وقت العمل وحشرها في الحدود الضرورية لابقاء القيمة المصنوعة بوصفها قيمة . إن القوى المنتجة والعلاقات الاجتماعية ليست بالنسبة لرأس المال سوى وسيلة ، ولا تشكل بالنسبة له إلا وسيلة من أجل الانتاج على أساسه المحدود . ولكنها في الواقع تشكل شرطاً مادياً لنسف هذا الأساس »(١٤) .

ماذا يبين تحليل الواقع الرأسمالي بعد أكثر من مئة عام على ماركس ؟ ألا يخضع الانتاج ، مثلاً في المؤسسات المؤتمتة في اليابان أو الولايات المتحدة ، لقانوني القيمة والقيمة الزائدة ؟ هل من الممكن القيام بأي تنظيم لعملية إعادة الانتاج في التشكيلة الاجتماعية القائمة على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، يكون « متحرراً » من هذين القانونين ؟ لا توجد أية أمثلة على ذلك .

إن الواقع يؤكد صواب رأي ماركس : إذ تنضج الظروف المادية لنسف الرأسمالية . وقد وصف لينين رأسمالية الدولة الاحتكارية كرأسمالية « انتقالية » تنظر إلينا الاشتراكية من نوافذها كلها(١٥)

هل للعمل مستقبل ؟ يبقى هذا السؤال بلاغياً ، تفضي إليه النظريات المستخلصة بتسرع وتحامل من النظرة السطحية إلى العمليات الموضوعية . بديهي أن العمل ـــ سواء الجسدي أو الذهني ـــ لا يمكن أن يبقى خارج التحولات . ولاسيما اليوم . حيث تجري في العالم المحيط بنا تحولات عميقة لا مثيل لها . فالانسان يغير سطح الأرض والفضاء المحيط بها ، ويسبر غور الفضاء الخارجي والميكركوسموس ، وعالم الذرة والجسيمات الأولية والجينات . وتتغير جميع عناصر القوى المنتجة ـــ من وسائل ومواد العمل حتى أشكال الطاقة .

إن عمل عبيد العصور القديمة والفلاح القن في القرون الوسطى والعامل الأسود من السخام في عنابر الالات الهادرة في القرن التاسع عشر ، لا يقارن من حيث شكله بعمل العاملين « ذوي الأردية البيضاء » في قاعات الانتاج المؤتمت شبه الخالية من البشر

في أواخر القرن العشرين . ولكن من المستبعد أن يكون هناك من استخلص استنتاجاً حول اختفاء العمل عموماً في هذه المرحلة أو تلك من مراحل التاريخ . ولا أساس لمثل هذه الاستنتاجات اليوم أيضاً .

لقد كان العمل — بأشكاله المتغيرة بالطبع — ويبقى هو والطبيعة مصدراً للثروة الاجتماعية . والانسان يخلق في مجرى العمل وتكون علاقاته بالطبيعة القوى المحركة للمجتمع ويطور الثقافة المادية والروحية ومواهبه ومهاراته وسماته الخلاقة وشخصيته . وقد كانت مختلف أشكال العمل على الدوام وتبقى تتمثل في بذل الطاقة العضلية والعصبية واستخدام المعارف والخبرة ولو بنسب مختلفة .

إن التقنية الجديدة لا تزيل العمل . بل هي تمنحه فقط انتاجية أعلى بما لا يقاس وتتطلب تغيير أشكاله ، ومهارة جديدة ، ويخص هذا أيضاً التقنية الحاسبة الأكثر تطوراً وهي المعلوماتية . فمنظوماتها تبقى بلا حياة ، عديمة النفع من دون عمل البرمجة والادارة .

من المستحيل ، بالطبع ، التنبؤ بجميع التغيرات التي تطرأ على أشكال العمل ووظائفه . ولكن يحق لنا أن نقول بكل ثقة أن الانسان كان ويبقى القوة المنتجة الأساسية . ويمكن أن يعترض البعض أنه تصنع الان في ميدان المعلوماتية منظومات تقوم بعمليات تفوق امكانات الانسان حتى في ميدان النشاط الروحي . ولكن هل يصبح الانسان نتيجة صنع هذه المنظومات أسوأ من الالة ؟ لا ، فالانسان وعمله ، كان ويبقى القوة المنعشة للانتاج . ومنظومات الالات تقوم بوظائف وضعها فيها الانسان ، حتى ولو كان هو غير قادر على القيام بها ، ولا يمكن أن تتحرك إلا في الاتجاه الذي يرسمه هو .

تؤدي التكنولوجيات الجديدة إلى تقليص العمل المباشر ، الذي لا يضع بين نفسه وبين الخامات الطبيعية ومادة العمل سوى الأداة أو الآلة . وهذه تتطلب نوعاً آخر من العمل . ما هو ؟ إنه ، بدرجة متزايدة ، العمل العام »[١٦] . ولكن ليس هو وحده .

يستخدم في العالم المعاصر العمل على مستويات تكنولوجية مختلفة . فهنا تجر المياه إلى الحقول بواسطة العجلات ، وهناك تعالج طبقات الفحم بواسطة تيار الماء المضغوط . وفي اليابان — بلد رأسمالية الدولة الاحتكارية المنظمة بدقة ، حيث تطبق الابتكارات التقنية الجديدة بسرعة بالغة بغية اكتساب أسواق جديدة أو الحفاظ عليها في الصراع مع المنافسين — لا يزال الانتاج يسير حتى الآن على ثلاثة مستويات تكنولوجية مختلفة تاريخياً : الحرفي والآلي والقائم على الأتمتة .

إن زيادة انتاجية العمل بفضل العلم والتقنية تعني وفق التناول الاشتراكي أن المداخيل الحقيقية الأعلى تنسجم تماماً مع تقليص وقت العمل . ولا يريد الرأسماليون حتى سماع ذلك . إنهم لا يصدقون أبداً « انهيار قانون القيمة » الذي ينذر به منظرو « المجتمع المعلوماتي » . فعندما لا تؤمن الرأسمالية وتائر للنمو الاقتصادي أعلى من الزيادة في انتاجية العمل ، تجري « برمجة » القضاء على فرص العمل . لذا ، فإن وجود جيوش العاطلين عن العمل لم يعد يتأثر بدرجة كبيرة بدورة الأزمات . وفضلاً عن ذلك ، فإن الكثير من التكنولوجيات الطليعية يمكن أن تستخدم تقريباً في جميع الميادين الاجتماعية ــ في الادارة وقطاع الخدمات ، وليس في الانتاج المادي وحده .

إن الرأسمالية سوف تستخدم بفظاظة متزايدة التكنولوجيا الجديدة كوسيلة لمكافحة الشغيلة . فالتحولات التي طرأت على ظروف توظيف رأس المال أرغمتها على تغيير استراتيجيتها . إذ أن الهزات والثورات التي جرت في العالم جعلتها تفضل على مدى عقود ، تحت ضغط الحركة العمالية ، اللجوء إلى تهدئتها واستمالة قسم منها بتقديم التنازلات والوعود له كطريقة رئيسية لضمان سيطرتها .. أما اليوم فإن رأس المال ينتقل بالدرجة الأولى ، نتيجة تردي ظروف توظيفية وتفاقم الأزمة العامة للرأسمالية ، عادة إلى الهجوم على مكتسبات الحركة العمالية ، ويلجأ إلى « الاصلاحات المضادة » . وهكذا فإن التحول نحو « التدابير المحافظة » يعبر عن ضيق امكانات الرأسمالية . وبالتالي يرتدي النضال من أجل الظروف الملموسة لاستخدام العلم والتقنية وإعادة توزيع الدخل الوطني لصالح الشغيلة وتقليص وقت العمل بصورة تدريجية مع الحفاظ على الأجر كاملة ، أهمية أكبر بالنسبة للحركة العمالية على المدى البعيد . ولا يمكن تحقيق ذلك بـ « الوسائل النقابية الصرف » . فالنضال من أجل المفاهيم الاقتصادية الملموسة والاصلاحات الاجتماعية السياسية والحيلولة دون إغلاق المؤسسات والبرامج لتأمين العمل على حساب رأس المال ــ وصولاً إلى طرح البدائل الاقتصادية السياسية الكبيرة كرد على « الاصلاحات المضادة » ــ كل هذه تشكل بدرجة كبيرة مسائل للنضال السياسي .

وهكذا ، لا يطرأ أي تغيير على تلك الحقيقة الماثلة في أن الانسان بقدرته التي لا تنضب على التكيف والابتكار والطموح إلى الهدف يشكل القوة المنتجة الرئيسية للمجتمع . وبالتالي ، فإن المعضلة الفعلية تتمثل فيما يلي : أي مجتمع يساهم في تطوير صفاته هذه ، وأي مجتمع يكبح ارتقاء الانسان أو حتى يشوهه ؟ أي مجتمع يتوقع بحق

من الشغيلة درجة أعلى من الانتاجية لأنه يضمن لهم إمكانات التطور ويخلق الأسس المادية والروحية الضرورية لذلك ؟ وأي مجتمع قادر على جعل العمل ــ هذا الشكل الملازم لجميع التشكيلات الاجتماعية من « تبادل المواد مع الطبيعة » ــ يعتني كـ « أب »[١٧] طيب بالحفاظ عليه وتجديده ؟ وأخيراً ، أي مجتمع يختزل إلى الحد الأدنى امكانية تحول نتائج العمل الاجتماعي ضد قسم من أفراده أو حتى غالبيتهم ، ويضع هذه النتائج في خدمة تطور الانسان ؟

إن الكثيرين يستمدون الاجابة عن هذه الأسئلة من تجربتهم الذاتية في العالم الرأسمالي ، حيث لا تتوفر لجميع القادرين على العمل حتى فرصة أن يكونوا مستغلين (بالفتح) . إن المجتمع الذي نتحدث عنه هو الاشتراكية التي يصبح العمل في ظلها حاجة ، وفي الوقت نفسه ــ بشكله المتطور ــ المخفف ، الانساني ــ وسيلة لوضع امكانات الفرد بمجموعها في خدمة حياة أفضل للجميع .

---

(١) Das Programm der KPO. Wien, 1982.

(٢) A dam schaff. Wohin führt der Weg? Wien, 1985.

(٣) Andre Corz. Wege ins Paradies. Berlin, 1984.

(٤) انظر : A Gorz. Abschied vom Proletariat. Köln - Frankfurt am Main, 1980.

(٥) ماركس وانجلز . المؤلفات ، المجلد ٢٥ ، القسم الثاني ، ص ٣٨٧ . (باللغة الروسية) .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٣٢ .

(٨) ي . ف . أندرويوف . تعاليم كارل ماركس وبعض مسائل البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفييتي . موسكو ١٩٨٣ ، ص ٩ .

(٩) ماركس وانجلز . المؤلفات ، المجلد ٤٦ ، القسم الثاني ، ص ٢٠٦ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) انظر المصدر السابق ، المجلد ٢٦ ، القسم الأول ، ص ٣٩٧ ــ ٣٩٨ .

(١٣) ــ المصدر السابق ، المجلد ٤٦ ، القسم الثاني ، ص ٢٠٦ ، نشير إلى أنه يمكن الوصول إلى احتمال « إخفاء العمل » إذا تجاهلنا مفهوم ماركس حول « العامل الاجمالي المنتج » الذي يعكس تفاعل واقتران مختلف أنواع العمل ــ من أبسطها حتى أكثرها تعقيداً ــ وإضفاء طابع عام عليه . وليس من قبيل المصادفة إن الشك في ما إذا كان للعمل مستقبل أم لا لا يمكن أن ينشأ أبداً في ظل الاشتراكية ، حيث إضفاء الطابع العام على وسائل الانتاج يتفق فعلاً مع إضفاء الطابع العام على العمل . ويبقى مطروحاً فقط السؤال الهام حول تركيبة « العمل الاجمالي » .

(١٤) المصدر السابق ص ٢١٤ ـــ ٢١٥ .

(١٥) انظر : لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٤٢٤ ، المجلد ٣٤ ، ص ١٩٣ . (باللغة الروسية) .

(١٦) يكتب ماركس : « إن العمل العام هو كل عمل علمي ، كل اكتشاف ، كل اختراع . إنه يتوقف بجزء منه على تعاون المعاصرين ، وبجزء آخر على استخدام عمل الأسلاف » (ماركس وانجلز . المؤلفات ، المجلد ٢٥ ، القسم الأول ، ص ١١٦) .

(١٧) في « رأس المال » يذكر ماركس قول الاقتصادي الانجليزي وليم بيتي . « العمل أب الثروة ... والأرض أمها » (ماركس وانجلز ، المؤلفات ، المجلد ٢٣ ، ص ٥٢) .



المسائل المنهجية في الدعاية

الدعاية الشيوعية ، جوهرها وتعريفاتها

عرض وتلخيص ضياء مجيد

القسم الثاني

في تضاد جذري مع التفسيرات والممارسة اللاعلمية للدعاية البرجوازية يتطور باستمرار مفهوم الدعاية الشيوعية والفهم العلمي لدورها ووظائفها.

كان مؤسسو الماركسية اللينينية دائماً يولون اهتماماً متميزاً للدعاية الاشتراكية العلمية، واظهروا فهماً معمقاً، ، وبذلوا جهداً هائلاً في عملية تنظيم النشاط النظري والعملي للحزب بهدف توسيع التأثير الايديولوجي وسط الجماهير وابداع الافكار والآراء الماركسية اللينينية في أعمال هادفة للطبقة العاملة والشغيلة.

ان الدعاية في نظام الحركة الشيوعية وبناء الاشتراكية الواقعية ينظر اليها دائماً كحلقة جوهرية في العملية الايديولوجية وتتمثل الجوانب الرئيسية في هذه العملية بانتاج الافكار والآراء والنظريات ونقد الايديولوجيا البرجوازية، وتطبيق الافكار في ممارسة اجتماعية معينة، واغناء الايديولوجية بتجربة الجماهير التي جرى عليها تحليل ماركسي لينيني علمي متعمق.

تتطور العملية الايديولوجية وتطبق في اطار الوحدة والتداخل الديالكتيكي المتواصل لعناصرها المكونة. وهنا بالذات وفي منظومتها العامة هذه، ينبغي البحث عن موقع الدعاية.

والدعاية عادة تعرف بانها «نشر للافكار والآراء والنظريات». الا ان مثل هذا الفهم يبسط جداً مفهوم هذه الظاهرة ويضيق منه.

فنشر الافكار لا يمثل إلا جانباً واحداً من الدعاية. وان تبني الافكار هو درجة جديدة ارقى من بين مستلزماتها. أما التطبيق الخلاق لها في الممارسة الاجتماعية فهو حلقة ثالثة ذات مسؤولية أعلى. هذا بالاضافة الى انه لا وجود لعمل ايديولوجي من دون وجود ما يسمى «بالرابطة العكسية». والرابطة العكسية في حالتنا هذه تمثل مسألة اغناء الدعاية نفسها من خلال تأثير موضوعها المتمثل بوعي الجماهير وخبرتها عليها، ونقل او تقديم هذه التجربة المستخلصة بشكل أفكار وآراء ونظريات.

وبالتالي فان الدعاية لا تعتبر مجرد نشر للافكار، بل عملية معقدة. فهي المجال الحي والمؤثر والخلاق في حركة الايديولوجية سواء من جانب الذات باتجاه الموضوع أو بالعكس. وتعمل الايديولوجية في هذه الحركة على اداء وظائفها الاجتماعية، وسوية مع ذلك تغتني بتجربة الجماهير الجديدة والمتولدة.

لم يقم أي من ماركس او انجلس أو لينين باعطاء تعريف دقيق لمفهوم الدعاية، وبغض النظر عن ذلك فان هناك العديد من المسائل في أعمالهم، التي تعمل على كشف وظائفها الهامة ومميزاتها وسماتها والمستلزمات الخاصة بها. وكان اهتمام وعناية مؤسسي الماركسية اللينينية يتسم بالمسؤولية البالغة ازاء تطوير واستكمال الدعاية الشيوعية. وقد تم القيام بالكثير جداً في هذا المجال سواء من الناحية النظرية أو على نطاق الممارسة. فهم يعتبرون الدعاية بمثابة جزء هام في عمل الحزب، وسلاح في عملية الاستحواذ على وعي الطبقة، ووسيلة فعالة في التأثير الايديولوجي والنفسي.

ويتجلى النهج العلمي الابداعي ازاء قضايا الدعاية متجسداً في فهمهم لنظرية الدعاية وممارستها. فانجلس في مقالته «أدب المهجر» يقول: «إذا شئت القيام... بدعاية، وكسب المؤازرين، فان الصياح لن ينفع، بل ينبغي اللجوء الى اعطاء الحجج، وبالتالي ان تعالج المسألة نظرياً، أي علمياً في نهاية المطاف».

هناك الكثير من المبادىء والمستلزمات التي يحددها كل من ماركس وانجلس أمام العمل الصحفي والصحافة، باعتبارها لسان حال الدعاية الحزبية في وقت معين تنطبق أيضاً على عملية الدعاية نفسها. فالاعلان عن صدور مجلة «نوينه راينيشة تسايتونغ» يتضمن مجمل الميثاق المتعلق بجوهر ومبادىء الدعاية الحزبية. إذ عمل ماركس وانجلس فيه على بلورة احدى اهم المستلزمات التي يجب توفرها في الصحيفة، وبالتالي في الدعاية حيث يقولون: «بانها تدخّل يومي في الحركة وامكانية ان تكون صدىً مباشراً لها، وتعبيراً عن التاريخ القائم بكليته التامة وتفاعلاً حياً متواصلاً بين الشعب وصحافته اليومية».

بامكاننا ان نجد طرحاً أوسع وأشمل وأتم حول جوهر الدعاية كعملية وكمضمون لهذه

العملية في ابداع لينين. فما من قائد سياسي وايديولوجي للبروليتاريا تناول الدعاية بشكل ملموس سواء كنظرية او كممارسة كما تناولها لينين. وهذا الشيء يعود الى طبيعة العصر التاريخي نفسه وابعاد المهمات التي كان ينبغي على الثورة انجازها، وحدة الصراع الطبقي والضرورة الملحة في جذب أوسع جماهير الشعب في التحولات الثورية.

في «مهمات الاشتراكيين الروس» ومنذ الخطوات الاولى للحركة الاشتراكية الديمقراطية المنظمة في روسيا كان فلاديمير ايلتش لينين يعمل بحرارة على اقناع الشيوعيين الروس في الحاجة الى الدعاية الواسعة لتعاليم الاشتراكية العلمية حيث كان يقول: «ان العمل الاشتراكي للاشتراكيين الروس يتمثل في الدعاية لتعاليم الاشتراكية العلمية ونشر الفهم الصائب للنظام الاجتماعي الاقتصادي المعاصر، ولأسسه وتطوره وسط العمال».

ترتبط الدعاية بشكل وثيق بمضمون فكري محدد بالملموس تاريخياً، وتستخدم في انجاز مهمات سياسية أو تنظيمية عامة أو خاصة معينة. فلينين لا يدعو الى مجرد «نشر» عام غير مفهوم للافكار بل الى مساهمة للدعاية في الصراع الطبقي ودخولٍ فيه «واندماج لنشاطنا بالمهمات التطبيقية للعمل».

ومغزى العمل الايديولوجي في «التأثير» ونشر الافكار يبرز في مدى انجاز المهمات المرتبطة بالتحول الثوري للمجتمع، والمساعدة في خلق النظرة العلمية والتوجه نحو الجماهير: «ان مهمة الاشتراكية الديمقراطية تظهر، بالذات، من خلال تنظيم العمال، ومن خلال الدعاية والتحريض بينهم في تحويل نضالهم العفوي ضد المضطهدين الى نضال للطبقة بأكملها والى نضال لحزب سياسي باكمله من أجل مُثل سياسية واشتراكية معينة.»

ان لينين يتبنى فهم بليخانوف الذي يعتبر ان «الداعية يطرح الكثير من الافكار أمام شخص أومجموعة من الاشخاص، أما المحرض فيطرح فكرة واحدة أو بضعة افكار فقط، ولكن الى جمهرة كاملة من الاشخاص». ويعتبر لينين ان مهمات الدعاية هي التوضيح لطبيعة ظاهرة معينة، ورسم اتجاهات، وميول تطورها. بمعنى آخر، انه يعطي «الكثير من الافكار» بهذا القدر بحيث ان عدداً صغيراً نسبياً من الافراد يستطيع فهمها دفعة واحدة بمجموعها. أما المحرض فهو عندما يتحدث عن مسألة، فانه يطرح على السامع ما هو معروف عنها واسطع مثال عليها، ويوجه الجهود نحو ذلك الشيء الذي يستطيع استناداً الى تلك الحقيقة المعروفة للجميع ان يطرح «للجماهير» فكرة واحدة، ويحاول ان يبث في نفوسها مزاجاً ملائماً، متيحاً للداعية ان يوضح بشكل تام هذه الحقيقة. ولهذا فان الداعية يعمل بشكل اساسي عن طريق الكلمة المكتوبة أما المحرض، فعن طريق الكلمة الحية.

يتضمن الفهم المعاصر للدعاية، باعتبارها عملية تأثير موحدة على الوعي الاجتماعي، في

طياته بدرجة كبيرة جانبين هما: أفكار كثيرة على دائرة محدودة من الناس، وفكرة واحدة على الكثير من الناس، أي وحدة ما بين الوسائل الدعائية والتحريضية وطرق التأثير، من دون ازالة الحدود ما بينها تماماً وفقدان خصوصيتها كلياً.

في العديد من الخطابات للينين يتبين بوضوح موقفه الفعال ازاء عملية الدعاية المتمثل بضرورة ان تؤثر الدعاية على مسألة خلق سلوك اجتماعي محدد لدى الشغيلة: «ان قمنا في الماضي بالدعاية لحقائق عامة، فان علينا الآن ان نقوم بالدعاية بالعمل. فهذا هو أيضاً تبشير، الا انه مصحوب بالعمل».

لقد ظهرت في الاتحاد السوفييتي خلال الستينات مجموعة من المنشورات التي صاغت بروح ايجابية القضية المتعلقة بنظرية الدعاية بالاضافة الى أعمال مكرسة لنقد الدعاية البرجوازية. وقد جرت فيها محاولات لاعطاء تعريف يوضح جوهر الدعاية مع الاخذ بنظر الاعتبار منجزات علم الاجتماع الاشتراكي المعاصر. فقد ظهر في أولى مؤلفات /يادوف/: «بأن جوهر الدعاية الشيوعية يتمثل في توضيح الافكار الماركسية اللينينية وسياسة الحزب وتسليح الجماهير بالنظرة الشاملة والفهم الصائب للواقع الاجتماعي».

اما /جيفينوف/ فيذكر: «بان دور الدعاية في فهمنا هو دور معروف. فالدعاية مدعوة لنشر معارف وآراء وأفكار ونظريات سياسية وكذلك علمية موجهة نحو بلورة الايديولوجيا الشيوعية، وتوضيح أسس سياسة الدولة السوفياتية والحزب الشيوعي، وتربية المبادىء الانسانية والاخلاقية السامية».

ويعتبر /ستيباكوف/ ان الدعاية تظهر كموضوع مستقل في الدراسة العلمية. اذ يقول: «ان القيام بالدعاية يعني العمل صحفياً وشفهياً وبالاذاعة أو بمساعدة وسائل اخرى على نشر الافكار والآراء والنظريات. الا ان جوهر الدعاية الشيوعية بالنسبة لنا ـ كما يقول ـ هو أوسع من أن يجري فقط توضيح النظرية الماركسية اللينينية وسياسة الحزب الشيوعي. فهذا هو أحد جوانب المسألة. أما الآخر فيتمثل في ان تصبح الافكار المنشورة عقيدة لدى الناس، وتتجسد في أعمالهم، وتتحول الى قواعد لسلوكهم. وجوانب الدعاية هذه ترتبط وثيق الارتباط فيما بينها، وتتفاعل مؤثرة على بعضها البعض بنشاط».

وبغض النظر عن التعريفات المشار اليها، او على وجه التحديد، المحاولات لاعطاء تعريف للدعاية كظاهرة، والتي لم تكن تمتلك أي توجه في ان تكون تعريفات كاملة او دقيقة او مضبوطة، فانها تتضمن عناصر هامة بامكانها ان تدخل ضمن بنية التعريف للدعاية الشيوعية. فالدعاية في المرتبة الاولى ينظر اليها على انها «نشر للآراء والافكار والنظريات»، كما يجري تحديد مهمتها للتربية بالايمان الفكري وبلورة قواعد معينة في السلوك والفعل الاجتماعي.

وفي المؤلفات الحديثة في قضايا الدعاية يجري البحث عن تحديد أدق للظاهرة، وظهر نهـج منتـظم ومتكامل ازاء ظاهرة الدعاية نفسها، وتم الكشف عن العديد من جوانب وصفات العملية الدعائية. وان البحث العلمي والمعرفة العلمية لهذه العملية اخذت ترتبط بمنجزات علم الاجتماع السوفييتي المعاصر ونظرية ادارة المجتمع.

فمثلاً ان يوزديناكوف يعتبر «الدعاية ظاهرة معقدة الجوانب. يمكن النظر اليها كعملية تتكون من عدد من الحلقات المتفاعلة: ذات وموضوع الدعاية، مضمونها ووسائلها وأشكالها وطرقها».

والـدعاية الشيوعية هي «عملية نشر الايديولوجيا الماركسية اللينينية». وهي مرتبطة في الاساس ببلورة الملامح الفكرية ـ السياسية للناس ونظرتهم الشاملة ومعتقداتهم. وعملية الدعاية هي وحدة ديالكتيكية للظروف الموضوعية والعوامل الذاتية التي تم التوصل، في مسيرة تفاعلها المعين، الى فاعلية الدعاية».

أما /ليفين/ فيعتبر النشاط الايديولوجي والدعاية الشيوعية على وجه الخصوص بمثابة «تأثير موجه على وعي الفرد او مجموعة من الناس بهدف تطوير الوعي والنفسية، ومن خلالها العمل على رفع النشاط الاجتماعي للشغيلة». وهو يلفت الانتباه الى ضرورة الاخذ بنظر الاعتبار للخصائص النفسية الاجتمـاعية والسكـانية للجمهـور، واهتماماته ومطاليبه بغية اتاحة بلورة النظرة الشاملة العلمية والتطور المتناسق للناس السوفييت، ورفع نشاطهم في العمل وفي المجال الاجتماعي السياسي.

ومن الآراء الهـامـة في هذا المجال هو رأي بايكوفا التي تعتبر ان الدعاية الحزبية هي: «عملية نشر وتطبيق الايديولوجيا بأشكال متميزة من العمل السياسي والتثقيفي للحزب». وتعتبر ان الجـزء والشرط الضروريين للعمل الفعال في الدعاية الحزبية هو الاعلام السياسي. فمن دون الاعلام المنتظم والدائم لا يمكن للفرد ان يتطور تطوراً متكاملاً. وبهذه الطريقة يجري النظر الى الدعاية الحزبية والاعلام السياسي كعملية موحدة لنشر الايديولوجية الماركسية اللينينية وتوضيح سياسة الحزب. والهدف يتمثل في بلورة النظرة الشاملة الشيوعية لدى الشغيلة ورفع نشاطهم في العمل وفي المجال الاجتماعي السياسي.

ومن جهـة اخـرى يحظى النهج الذي يتبعه /بروخوروف/ ازاء الدعاية والاعلام باهمية أصيلة. فالكاتب يتناول الدعاية والاعلام باعتبارهما جزءء مكملاً لعملية ادارة المجتمع الاشتراكي على أسـاس التعاليم الماركسية اللينينية. ومن المسائل الهامة في النظرية العامة حول الاعلام والتي تنعكس بشكـل جوهري على الصحافة تتمثل حسب رأي /بروخوروف/ في ان الاعلام يرتبط بشكل وثيق بالتوجيه، وانه من خلالها فقط تتحقق عملية التوجيه. وانطلاقاً من فهم حقيقة ان التوجيه بالمعنى الـواسـع هو «إبعـاد للاختـلافات بين الاوضاع القائمة والمفروضة في المنظومة

التي يجري التأثير عليها» فان الكاتب يتفق مع تعريف /جرنيش/ القائل بان «التوصل الى الطابع المفروض في سلوك الموضوع الجاري توجيهه هو الهدف من التوجيه. مع العلم ان مهمة التوجيه هذه توحد في رابطة مباشرة مع البنية الداخلية للتأثير والطابع القائم لسلوك الموضوع الذي يجري توجيهه. وهذه المسائل في نظرية الاعلام العامة بالنسبة /لبروخوروف/ «يمكن ترجمتها» بسهولة كافية الى لغة نظرية الصحافة. وبهذا فان التوجيه في مجال الصحافة يمكن تعريفه كميل نحو بلورة الوعي لدى الجمهور، آخذين في الحسبان مستواه وتأثير المصادر الاخرى. . . الخ. بيد ان مثل هذه المهمة تطرحها الدعاية البرجوازية أيضاً. وهذا ما يتطلب دقة اضافية تتماشى والنظرية الماركسية اللينينية لتوجيه المجتمع علمياً.

والمؤلف في هذا النص يتناول الدعاية بالطريقة التالية: «ان الدعاية الماركسية اللينينية هي توجيه للوعي، تمتلك هدف تحويل نشاط الناس فيما يتوافق مع مستلزمات القوانين الموضوعية والتوجهات التقدمية». في هذه الحالة يستند /بروخوروف/ على فكرة افانا سييف المعروفة ازاء مهمات الادارة العلمية للمجتمع: «ان مهمة الادارة العلمية في نهاية المطاف تتمثل في تحويل النشاط الذاتي للناس في توافق مع مستلزمات القوانين الموضوعية والاتجاهات التقدمية. ولهذا فان من الضروري في المرتبة الاولى التعرف على القوانين وعلى مستلزماتها والقدرة على تنفيذ هذه المستلزمات، وسوية مع ذلك، العمل على استخدام هذه القوانين في صالح المجتمع».

مما تم طرحه حتى الآن من آراء ومفاهيم حول الدعاية تتبين بعض الامور الجوهرية العامة وهي:

١ ـ ينظر الى الدعاية كعملية معقدة، متعددة الجوانب ومتكاملة.

٢ ـ تتمثل المجالات الاساسية في هذه العملية بـ الذات، الموضوع، المضمون، الطرق، والاشكال وألوان التأثير.

٣ ـ علاقة عملية الدعاية بالواقع الفعلي.

٤ ـ مساهمة الدعاية في عملية ادارة المجتمع الاشتراكي.

وفي نفس الوقت فان ما يجذب الانتباه ويخلق نوعاً من التحفظات هو تعريف الدعاية على انها «توجيه الوعي» والذي اعطاه /بروخوروف/ فالدعاية بحد ذاتها ليست «توجيهاً للوعي»، بل هي تأثير على الوعي. فهي تشغل، في نظام الادارة العلمية للمجتمع حيزاً جوهرياً، وأكثر منه في فترة تنامي دور الايديولوجيا، والعامل الذاتي في تطوير وتوجيه العمليات الاجتماعية. اذ انها وسيلة، وسلاح وجسر هام في ادارة المجتمع الاشتراكي، والطريق الرئيسي في تطبيق النظرة الشاملة الماركسية اللينينية، وبلورة الرأي العام والامزجة الاجتماعية التقدمية، وخلق المناخ النفسي الاشتراكي وتنشيط السلوك والعمل الاجتماعيين المحددين. بيد انها في الوقت نفسه

لا تظهر ولا يمكن ان تكون «توجيهاً للوعي»، وخاصة اذا تم قبول ذلك بالمعنى الحرفي. وان موضوع تأثير الدعاية هو الوعي الفردي والاجتماعي. غير ان الوعي يتشكل بعيداً عن مجرد التأثير الناجم عن الدعاية، ناهيك عن الدعاية نفسها. فالعوامل التي تحدد مضمونه ومستواه والعمليات النفسية الجارية فيه هي عوامل متعددة كالواقع الموضوعي والخبرة الذاتية والجماعية والتقاليد والتراكمات. . . الخ. وان تأثير الدعاية يحصل بواسطة معينة وبشكل معقد ماراً عبر حواجز العديد والعديد من المفاهيم المتراكمة وأساليب التفكير وطبائع السلوك. وعلى الرغم من كافة التأثيرات الممكنة فان الوعي يحافظ على استقلاليته النسبية، وانتقاديته وحرية الاختيار. وعندما تتوقف هذه الآليات عن التأثير عندها يمكن «لتوجيه» الوعي ان يؤدي الى نجاحات موقتة، بيد انها في غالب الاحيان في غير صالح التطور التقدمي للبشرية. فالوعي البشري يقوم بمقارنة المعلومات التي تم كسبها عبر الدعاية مع خبرته الذاتية وخبرة الاجيال، ومع الانطباع المباشر الحاصل من الواقع المحيط به، ويعمل على تبني القيم الجديدة التي جرت الدعاية لها بشكل انتقادي. وينبغي الا يجري اهمال الوظيفه الانتقادية للعقل البشري حتى لو كان الامر يتعلق بطرح أكثر الافكار تقدمية. ولهذا بالذات فان الدعاية الشيوعية تبني تأثيرها، في المرتبة الاولى على المعتقدات، وعلى تطور العقل البشري ورقي العمليات النفسية وآليات التفكير. ولا يمكن حتى الحديث أبداً عن التوجيه المباشر، اذ حتى المنظرين البرجوازيين في مجال الدعاية، وعلى الرغم من الطموح الواضح في المجتمع البرجوازي نحو الادارة والتوجيه المباشرين لوعي الجماهير باتجاه ما هو ضروري للطبقة السائدة في السلوك والعمل، فانهم يتحفظون عن التحديد القاطع لوظائف الدعاية، حيث يتحدثون عن «وسيلة التحكم الاجتماعي» «ووسيلة العمل الاجتماعي» و«محاولة التأثير» و«الجهود من أجل النفوذ». . . والخ.

ولكون الدعاية الشيوعية تتطور بالذات، على أسس علمية، وترتبط بأكثر الايديولوجيات انسانية وتقدمية، ولانها تحتضن، في مركز اهتمامها، الانسان ومصالحه المادية والروحية فانها تمتلك المصلحة لا في «توجيه» الوعي، بل في «تطوير» الوعي، وانمائه، وبلورة الوعي العلمي التحليلي والانتقادي، وهي تنطلق من مواقف المصالح الطبقية للشغيلة ولبناة ومبدعي الانظمة الاجتماعية التقدمية، الاشتراكي والشيوعي.

ارتباطاً بذلك تعتبر الصيغة التي طرحها /ستويان ميخايلوف/ حول الدعاية أكثر نجاحاً. فالدعاية للنظرية الماركسية اللينينية والمقررات الحزبية تلقي الضوء أمام الفرد او المجموعة وتسلحهم بما هو ضروري من معارف ومعتقدات وآراء، وتولد فيهم شعوراً معيناً ونبضات مثمرة للعمل المتحمس والنضال في سبيل تنفيذ سياسة الحزب. ويؤكد المؤلف «وبهذه الطريقة تبرز الدعاية كوسيلة للادارة الاجتماعية أكثر دقة في توجيه الطاقة العملية للجماهير الشعبية».

ومن الصور التي تم تقديمها بشكل واسع ومتعدد الجوانب حول العملية الدعائية في الظرف المعاصر من التطبيق الداخلي والدولي للدعاية الشيوعية هو ما ورد في البحث الجماعي «الدعاية الشيوعية، مسائل في النظرية والمنهجية». فمن الصياغات الهامة التي جاءت فيه حول مفهوم الدعاية هو: «ان الدعاية ظاهرة متعددة الجوانب. وهي بالمعنى الحرفي تعني نشر الافكار والآراء لطبقة معينة او حزب سياسي. ويتمثل الغرض المتميز في الدعاية الشيوعية في توضيح النظرية الماركسية اللينينية وسياسة الحزب الى الجماهير الواسعة وأمام الشغيلة وتسليحهم بالمعارف حول قوانين التطور الاجتماعي ورفع ادراك الجماهير الشعبية ونشاطها الاجتماعي في النضال من أجل الاشتراكية والشيوعية».

يتمثل الهدف الاساسي من العمل الايديولوجي للحزب، والدعاية الشيوعية، حسب رأي مؤلفي هذا الكتاب في بلورة الانسان الذي يساهم، بشكل حرٍ وواعٍ ونشيط وخلاق في العملية التاريخية الطبيعية من التحول الشيوعي للعالم. وهذا الهدف الشامل بالنسبة للمرحلة الحالية يظهر بالملموس بالطريقة التالية: بلورة النظرة الشاملة الشيوعية، وتربية الناس السوفييت بالروح الشيوعية الجديدة ازاء العمل وتعزيز وعي الجماهير بمبادىء المثل الشيوعية وقواعد الاخلاق بما في ذلك الوطنية والاممية الاشتراكيتين والنضال ضد المخلفات في وعي الناس وضد الايديولوجية البرجوازية المعاصرة.

يبرز في هذا المؤلف الجماعي عدد من عناصر الدعاية المكونة مثل ذات وموضوع الدعاية، المضمون والوسائل في الدعاية وأشكالها وطرقها. كما يجري التأكيد على المضمون كحلقة أساسية بين العناصر هذه. إذ انه هو بالذات ما يحدد سمة الدعاية وتوجهها الهادف. وقوة الدعاية الشيوعية تتمثل في المرتبة الاولى، بالطابع العلمي للافكار والآراء المنشورة، وبالرابطة المتينة للدعاية بالممارسة الثورية، وبالمصالح الحيوية للشغيلة.

ويجري تناول عملية الدعاية ككل مترابط، ووحدة عضوية ما بين الشكل والمضمون. كما يجري التأكيد على الرابطة المتبادلة للدعاية مع العناصر الاخرى من العمل الايديولوجي للحزب الشيوعي من نشاط نظري الى تحريض الى اعلام سياسي. وباعتبار الدعاية الشيوعية وسيلة متميزة للتحول المادي للافكار الشيوعية وتجسيدها في الواقع العملي للملايين، فهي مرتبطة، وثيق الارتباط بالوسط الاجتماعي، وبحياة المجتمع ككل في مجاله الانتاجي المادي والسياسي والاجتماعي والروحي.

وهناك معالجات علمية لقضايا الدعاية الشيوعية في العديد من المنشورات لمؤلفين بلغار أيضاً، ويكتسب علم الاجتماع البلغاري قوى متزايدة في تناوله لقضايا الدعاية. ففي الفترة الاخيرة تم نشر العديد من الكتب التي سجلت مرحلة جديدة في تنامي الاهتمام بالدعاية. وهناك نهج

جدي ومعمق ازاء قضايا النظرية بالاضافة الى مسائل التحقيق العملي للدعاية نفسها. ففي مؤلف /فينجوسيموف/ «الدعاية في نظام الحياة الحزبية» يجري البحث عن موقع الدعاية في البنية الاجتماعية والروحية للمجتمع الاشتراكي، والقيام بتشريح اجتماعي لعناصر العملية الدعائية، وتوجيه النقد الى نظريات البرجوازية حول الدعاية. وفي مؤلف «الدعاية والعصر» الذي كتبه عدد من المؤلفين حيث يتم فيه تدقيق مفهوم الدعاية ووظائف الدعاية الشيوعية، جاء فيه «ان الدعاية الشيوعية هي نشاط اجتماعي متميز لنشر وشرح الافكار الماركسية اللينينية والمعارف العلمية والاسس العلمية لسياسة الحزب الشيوعي ونمط الحياة الاشتراكي، وهي وسيلة متينة لتعبئة قوى الشغيلة بغية تغيير الواقع الفعلي، وعامل فعال في تربيتهم الشيوعية».

توصف الدعاية الشيوعية هنا بانها تتميز بالوظيفة التعليمية والتربوية والتنظيمية والادارية. وينظر الى النشاط الدعائي «باعتباره نشاط تظهر نتيجته النهائية بنشوء قيم روحية معينة لدى الفرد، وبأنه مرتبط بخلق الثورة الروحية لديه».

ان الهدف الرئيسي والوظيفة الاجتماعية الاساسية للدعاية الشيوعية يبرز في «بلورة النظرة الشاملة الماركسية اللينينية لدى كافة الشغيلة والارتقاء بنشاطهم العملي والاجتماعي. والدعاية الشيوعية تحقق مهمتها الاجتماعية هذه من خلال توجهها نحو وعي الانسان ونظرته الشاملة ومعتقداته».

فيما تم تناوله حتى الان من تعريفات حول مفهوم «الدعاية» في النظرية الاشتراكية حول الدعاية يتبين بشكل واضح المنهج الطبقي الحزبي والماركسي اللينيني ازاء هذه الظاهرة المعقدة فهي:

١ ـ بخلاف الدعاية البرجوازية، التي تخفي الذات الطبقي للدعاية، تشير بشكل دقيق وواضح الى ذات الدعاية. وبالنسبة للمجتمع الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية تتمثل الذات هذه بالحزب الشيوعي كقوة محركة رئيسية للتحولات الاجتماعية وللعملية الثورية العالمية.

٢ ـ يظهر مضمون الدعاية بشكل مكشوف وهو: الافكار والآراء والنظريات الماركسية اللينينية والسياسة الحزبية القائمة على اساس علمي، ومبادىء الاخلاق الشيوعية وقواعد السلوك ونمط الحياة الاشتراكي. وان الدعاية الشيوعية هي دعاية حزبية مرتبطة بشكل وحيد مع الايديولوجية الماركسية اللينينية.

٣ ـ يتمثل موضوع الدعاية بالطبقة العاملة وجماهير الشغيلة. والدعاية بذاتها وموضوعها هي دعاية طبقية موجهة نحو بلورة الوعي الطبقي الحزبي لدى الشغيلة.

٤ ـ ينظر الى التأثير الدعائي بانه عملية مقصودة وموجهة ومتماشية مع الاهداف التاريخية والملموسة للحركة الشيوعية، وكأحد الاجزاء المكونة للعملية الايديولوجية بأكملها.

٥ ـ يجري التحديد الملموس لمهمات الدعاية ببلورة النظرية الماركسية اللينينية والاخلاق الشيوعية وقواعد السلوك وبمكافحة المخلفات والايديولوجية البرجوازية.

٦ ـ تحدد العلاقة المباشرة بين بلورة النظرية الشاملة والارتقاء بنشاط الجماهير اجتماعياً وسياسيا وفي العمل. ويتم ربط عملية التأثير بسلوك اجتماعي وفعل محدد.

٧ ـ يولى الاهتمام الى المحددات، أي الى تلك العوامل التي تحدد مسبقاً وبدرجة كبيرة ابعاد التأثير كالواقع الموضوعي والعمليات الاجتماعية الجارية موضوعياً، والمصالح الطبقية للشغيلة والقضية الاجتماعية الملموسة وخصائص الجمهور النفسية.

٨ ـ يتحدد هدف الدعاية بشكل واضح وقاطع وهو: خلق الانسان من نمط جديد يستطيع المساهمة بشكل حر وواع ونشيط وخلاق في عملية التحول الشيوعي للعالم. ويتضمن هذا التعريف الافق التاريخي للبشرية.

ومن الممكن الاشارة الى عدد من نقاط الضعف والنواقص في تحديد عناصر الدعاية الشيوعية. وهذه الهفوات تتعلق، في المرتبة الاولى، بمسألة تعيين الطرق والأشكال والوسائل في التأثير الدعائي. وعلى عكس النظرية البرجوازية حول الدعاية التي توجه اهتمامها أولاً وقبل كل شيء نحو الكشف عن آليات التأثير والالمام بها (لهذا يوجد تنوع كبير في تعريفات الدعاية حول هذه النقطة)، فان الادب الاشتراكي غالباً ما يحوي طروحات مشتركة من قبيل: «الطرق والاشكال المتميزة» و«الطرق العلمية» وغيرها. اذ يلاحظ اهتمام غير كافٍ بصياغة مثل هذا القطاع الهام في دائرة الدعاية. بيد ان ذلك لا يعني انه لم يجر القيام بشيء حتى الان لا في مجال النظرية ولا في مجال الممارسة خاصة، بل لا يمكن عدم الاقرار بوجود تخلف معين في النظرية الاشتراكية بصدد الدعاية في معالجة القضايا الخاصة بطرق التأثير وآلياته الداخلية، وأشكال وطرق الاستيعاب، ومن هنا، في البحث عن فعالية واقعية أكبر. وفي هذا المجال تعتبر آراء مؤسسي الماركسية اللينينية وممارساتهم بذاتها، بالاضافة الى الخبرة المتكدسة والهائلة للحركة الشيوعية العالمية بمثابة كنز غني لنظرية الدعاية الشيوعية.



أبحاث

الأزمة الاقتصادية :

موقف الشيوعيين منها

جرت في براغ ندوة عالمية حول موضوع . الأزمة العامة للرأسمالية : اشتداد عدم الاستقرار الاقتصادي والمالي ونضال الشيوعيين .

افتتح الندوة سرغي تسوكاسوف ، السكرتير المسؤول لمجلة «قضايا السلم والاشتراكية» . ثم قدمت التقارير التي اعدها فيكتورُ بيرلو (الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة) ، أميل بيارناسون (الحزب الشيوعي الكندي) هانس غيرزيبين (الحزب الشيوعي الالماني) ، ستانيسلاف مينشيكوف (الاتحاد السوفيتي) ، فيرينتس غازداغ (المجر) ، ايفان كوروليوف (الاتحاد السوفيتي) . وشارك في النقاش : خوسيه ماريا لاناو (الحزب الشيوعي الارجنتيني) ، دافيد موريس (الحزب الشيوعي البوليفي) ، انطونيو ريبيرو غرانجا (الحزب الشيوعي البرازيلي) ، بيرت راميلسون (الحزب الشيوعي البريطاني) ، اوني كريشنان (الحزب الشيوعي الهندي) ، ويليم سومرسيت (الحزب الشيوعي الايرلندي) ، الفارو اوفيدو (الحزب الشيوعي الكولومبي) ، فرانسيسكو غامبوا (حزب طليعة الشعب في كوستاريكا) ، رفيق سمهون (الحزب الشيوعي اللبناني) ، مصطفى عزاوي (حزب التقدم والاشتراكية المغربي) ، اوغو كامبوس (الحزب الشيوعي في باراغواي) ، سيمو باتي غي (حزب الاستقلال والعمل السنغالي) ، علي احمد الطيب (الحزب الشيوعي

السوداني) ، خوسيه لافا (الحزب الشيوعي في الفيليبين) ، اوريل فيسياني (الحزب الشيوعي الشيلي) ، فوسيزفي سيميه (الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا) .
وننشر أدناه عرضاً للنقاش .

يؤكد عصرنا بصورة مقنعة ان الازمة العامة للنظام الرأسمالي تواصل تعمقها . فالرأسمالية المعاصرة تختلف الى حد كبير عما كانت عليه في مطلع القرن العشرين وحتى في اواسطه . وعلى خلفية الثورة العلمية التقنية يتجلى بحدة اكبر النزاع بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج . وتتفاقم مجموعة المعضلات الاجتماعية بكاملها وازمة المؤسسات السياسية والازمة في المجال الروحي . ويتجلى بقوة متزايدة ضغط الرجعية وتتزايد النزعات الاستبدادية .

اولى المشاركون في اللقاء تزايد عدم الاستقرار الاقتصادي والمالي للرأسمالية اهتماماً رئيسياً . فهو يؤثر الى حد كبير في تعمق النزاع بين العمل ورأس المال والتنافس بين الدول الامبريالية ، وفي التناقض بين الشركات فوق القومية وشكل الدولة الوطني للتنظيم السياسي للمجتمع . وتؤثر عمليات التأزم في ميدان الاقتصاد والمال في علاقات الامبريالية مع البلدان والشعوب النامية ، وفي القضايا العالمية الشاملة التي يتوقف على حلها مستقبل الحضارة البشرية .

دورة جديدة من الازمة ؟

يتسم الوضع الاقتصادي في المراكز الرئيسية للرأسمالية العالمية بتشابك المراحل الاولية من الركود الجديد في الانتاج ، وبالدرجة الاولى في الولايات المتحدة واليابان ، مع الازمات البنيوية المستمرة في جميع البلدان الرأسمالية المتطورة صناعياً . فقد بلغ الانتاج الصناعي في الولايات المتحدة الذروة في كانون الثاني (يناير) من العام الماضي ، وبعد ذلك بقي على المستوى نفسه عملياً حتى بداية عام ١٩٨٧ . وفي اليابان تقلص الانتاج السنوي للمنتوجات الصناعية في عام ١٩٨٦ بنسبة ٤ر٠ في المئة ، وذلك للمرة الاولى خلال الاحدى عشرة سنة الاخيرة . وتباطأ بصورة خطيرة الانتاج في كل من المانيا الاتحادية وفرنسا .

هل نواجه توقفاً في النهوض الاقتصادي العام الدوري الذي بدأ في عام ١٩٨٣ ، ام اعراض ازمة دورية جديدة على الصعيد العالمي ؟ يعتقد ف . بيرلو ، ف . غامبوا

و س . مينشيكوف انه يمكن الحديث عن مرحلتها الاولى . فالخاصية الاهم لهذه الازمات تتمثل في انخفاض التوظيفات في رأس المال الاساسي . فقد انخفضت عام ١٩٨٦ في كل من الولايات المتحدة واليابان ويتوقع ان تواصل انخفاضها . وثمة علائم فيض في انتاج السلع الاستهلاكية المعمرة ، بالدرجة الاولى السيارات . ولكن لم يحصل حتى الان هبوط عام في الانتاج الصناعي ، فاجمالي الناتج الوطني في البلدان الرأسمالية الصناعية يواصل ارتفاعه بنسبة ٢ــ٥ر٢ في المئة (سنوياً) .

توقف ف . بيرلو عند خصائص المرحلة الراهنة من الدورة الاقتصادية في الولايات المتحدة . فقد تجاوز دين الحكومة الفيدرالية التريليوني دولار . وتنوء ميزانية الدولة تحت عبء مدفوعات فوائد الديون المتضخمة ، الامر الذي يؤدي الى التهام رأس المال الذي كان من الممكن استخدامه لاغراض انتاجية . كما ان ديون الشركات ارتفعت بدرجة كبيرة . وخيم الخطر المالي على الكثير من البنوك ومؤسسات الصناعة النفطية والمزارع وصناعة صب الفولاذ وغيرها من فروع الصناعة الثقيلة . وارتفعت اسعار الاسهم بسرعة جعلت وضع البورصة غير مستقر ابداً .

ثمة عوامل تبعد الركود ايضاً ، كالارتفاع الحاد في النفقات العسكرية على سبيل المثال . فالعسكرة ، اذ تزعزع الاقتصاد على المدى البعيد ، تعوض جزئياً على المدى القصير التوظيفات ذات الطابع غير العسكري ويمكن أن تكبح لبعض الوقت الركود العام في الانتاج . وتفعل ادارة ريغان كل ما يمكن من أجل حفز الاقتصاد من خلال تخفيض اسعار الفائدة ، والضرائب المفروضة على مداخيل الاحتكارات .

قال غ . غيرزيبين ان الوضع في اقتصاد جمهورية المانيا الاتحادية يتسم بالتناقضات الحادة . فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل المسجلين خلال عام ١٩٨٦ في المتوسط ٢ر٢ مليون . وحتى دائرة العمل الفيدرالية تعتبر أن هذا الرقم لا يشمل ٢ر١ مليون عاطل عن العمل . وليس ثمة اماكن عمل أو دراسة لمليون شاب . وتتفاقم ظاهرة اطلقت عليها النقابات اسم الفقر الجديد ، وهي تشمل ٦ ملايين انسان .

استقر الوضع الاقتصادي بعض الشيء نتيجة الهبوط الحاد في اسعار المواد الاولية المستوردة ، وبالدرجة الاولى النفط . فقد ارتفع استيراد النفط في المانيا الاتحادية من الناحية الكمية ، غير ان نفقات شرائه انخفضت الى اكثر من النصف . وللمرة الاولى خلال الفترة الاخيرة ، طرأ في ١٩٨٦ ارتفاع محدود على الاجور الفعلية ، الامر الذي

يشكل نجاحاً لا شك فيه للنقابات . ولكن ينبغي ألا ننسى أن مداخيل السكان الفعلية انخفضت خلال السنوات الست الاخيرة اكثر من ٥ر٦ في المئة ، ولم يتم التغلب على هذا التخلف حتى الآن .

اعتبر ب . راميلسون البطالة الجماعية والتوظيفات غير الكافية من بين السمات الاكثر اهمية للازمة في بريطانيا . وقال أن الكثيرين يستغربون عندما يعرفون أن مستوى معيشة الشعب عندنا اليوم هو أدنى مستوى بين بلدان أوربا الغربية الصناعية . وتشمل فئة الفقراء ثلث مجموع السكان القادرين على العمل ــ أي ٨ ملايين انسان .

أما بخصوص التوظيفات فان حجمها بالمقارنة مع اجمالي الناتج الوطني في بريطانيا هو اقل مما في اي بلد رأسمالي كبير آخر . من هنا تأتي الوتائر الضعيفة للنمو الاقتصادي ، حيث تبلغ ٥ر١ في المئة سنوياً في المتوسط . والمعضلة الاكثر خطورة هي تراجع التصنيع ، اي اختفاء فروع صناعية بكاملها . وللمرة الاولى خلال تاريخ التطور الرأسمالي كله تشهد البلاد عجزاً في التجارة الخارجية بالسلع الصناعية .

وأشار ف . غامبوا إلى عدم الثقة السائدة بين الاقتصاديين البرجوازيين والمستشارين الماليين . فقد ازداد ، خاصة ، خطر التقلبات الحادة في اسعار الأوراق المالية نتيجة ادخال الكمبيوتر بسرعة وعلى نطاق واسع في عمليات البورصة . ويساهم ذلك في نشوء حالات الفرح غير المبرر تارة والذعر الجماعي تارة أخرى . ولم تعط محاولات التنسيق واعادة التوازن الى اقتصاد المراكز الامبريالية الكبرى الثلاثة النتائج المرجوة . ويمكن أن تكون الازمة عميقة جداً في الفترة الجديدة التي بدأت .

اشار المتحدثون الى ان الظاهرات ذات الطابع الدوري تضاف الى الازمة البنيوية الطويلة الأمد والركود في الفروع القاعدية لاقتصاد المراكز الرأسمالية الرئيسة .

واذ دقق ف . بيرلو مفهوم الأزمة البنيوية العالمية رصد سماتها الاساسية : انخفاض معدل وتائر نمو الانتاج الصناعي ، ضعف وانهيار الفروع التقليدية للصناعة الثقيلة ، عدم التوازن في التجارة الدولية والمدفوعات ، الجنون المالي والمضاربات المفرطة ، الاشكال الجديدة لنهب البلدان النامية وأزمة الديون العالمية ، الميل الى انخفاض مستوى معيشة الطبقة العاملة مع الاثراء الذي لم يسبق له مثيل للنخبة الرأسمالية والجهاز العسكري البيروقراطي ، الازمات المالية الحادة والاقتصادية العميقة في عدد من البلدان ، وأخيراً وليس آخراً من حيث الاهمية ــ عسكرة الاقتصاد .

واشار غ . غيرزيبين الى أن صناعة صب الفولاذ وبناء السفن وصناعة البناء في المانيا الاتحادية تعيش ازمة مستمرة ، ففي هذه الفروع تتقلص القدرات الانتاجية وتقفل المؤسسات ويسرح العمال بصورة جماعية ، ويقضى على رأس المال الانتاجي . ففي عام ١٩٧٤ كان يعمل في الميتالورجيا الحديدية ٣٣٤ الف عامل ، أما الان فان عددهم لا يزيد على ٢٠٧ آلاف ــ أي أقل بنسبة ٤٠ في المئة تقريباً . وستلغى خلال السنتين القادمتين هنا ١٥ الف فرصة عمل كحد أدنى . وتنوي ترسانات بناء السفن الكبرى تقليص قدراتها الانتاجية بنسبة ٣٠ في المئة ، وستلغى على الاقل ١٠ آلاف فرصة عمل من الاربعين الف فرصة الموجودة حالياً . ويرتبط بالميتالورجيا الحديدية وصناعة السفن مصير مناطق صناعية بكاملها في البلاد .

وقال أ . بيارناسون ان الأزمة البنيوية في اقتصاد كندا تجلت في الانخفاض المتواصل لمعدل الربح العام . ومن بين عوامل مجابهة هذا الميل ، التضخم النقدي واعادة توزيع المداخيل الجارية بواسطة الدولة لصالح الرأسماليين ، الامر الذي يحد من الطلب القادر على الدفع لدى السكان وينعكس بصورة سلبية على وتائر نمو الانتاج . وقد ارتفع معدل البطالة من ٤ في المئة في الخمسينات و ٥ في المئة في الستينات الى ٩ في المئة في بداية الثمانينات ، وبلغ الان ١٠ــ١١ في المئة .

العسكرة والهجوم المعادي للعمال

أوليت اهتماماً كبيراً في النقاش مسألة العسكرة وعواقبها الاقتصادية ــ الازمة المالية للدولة ، العجز القياسي في الميزانية ، ديون الدولة التي بلغت ارقاماً فلكية . ففي ظروف التباطؤ العام في وتائر النمو الاقتصادي يصعّد المجمع الصناعي العسكري الضغط ، ساعياً الى الزيادة المطردة في نفقات التسلح واقرار برامج طويلة الامد ترمي الى تمهيد الطريق للازدهار المستمر في صناعة الحرب خلال عقود قادمة . وبرنامج «حرب النجوم» اسطع تعبير عن هذا الاتجاه .

وكما أشار المشاركون في النقاش اصبح واضحاً بصورة خاصة في السنوات الاخيرة ان النفقات العسكرية المتنامية تشيع عدم الاستقرار في الوضع الاقتصادي العام . فحالات العجز القياسية في الميزانيات تسبب تقلص توظيفات رؤوس الاموال . وادى التركيز على النفقات العسكرية في عدد من الدول الامبريالية الى تقويض قدرتها التنافسية

في الاسواق العالمية وتقليص عدد فرص العمل في الصناعة الوطنية وتفاقم الأزمة البنيوية .

واشير في الندوة الى أنه تجلى في الازمة الراهنة للمرة الاولى بصورة كاملة سيطرة رأس المال الاحتكاري فوق القومي . فالشركات فوق القومية ، اذ ساهمت في تدويل الانتاج ، حققت في عدد من الحالات اعلى درجات انتاجية العمل ، وتمارس التحولات التقنية التي لا يمكن القيام بها في اطار بلدان منفردة . وفي الوقت نفسه ، بغية تحقيق الارباح على الصعيد العالمي ، تتجاهل غالباً حاجات ونسب الاقتصادات الوطنية وتلجأ الى الاغلاق الجماعي للمؤسسات والغاء مئات الالوف من فرص العمل ذات الانتاجية العالية . ويعتمد هجوم الاحتكارات على مواقع الشغيلة ، على السياسة الرجعية للدولة البرجوازية ولا سيما بشكلها المحافظ الجديد . فوصفةُ «اقتصاد التقشف» تؤدي الى انخفاض الاجور والحد من حقوق النقابات وتقليص اعانات الضمان الاجتماعي مع تصعيد النفقات العسكرية وتقليص الضرائب على مداخيل البرجوازية الاحتكارية .

وقدم ف . بيرلو معطيات عن الارتفاع الحاد في درجة استغلال قوة العمل في الولايات المتحدة . فمعدل القيمة الزائدة الذي كان يعادل ١٥٠ في المئة عام ١٩٥٠ ارتفع الى ٢١١ في المئة في عام ١٩٧٠ والى ٣٠٢ في المئة عام ١٩٨٤ . وبلغ معدل الربح في عدد من الحالات مستويات قياسية . وبالمقارنة مع عام ١٩٧٢ بلغ انخفاض الاجور الفعلية ١٤ في المئة وفقاً للاحصاءات الرسمية ، وأكثر من ٢٠ في المئة ، استناداً لمعطيات النقابات وتقلصت مخصصات الضمان الاجتماعي ، التي كان يعوضها في حدود معينة في الماضي المستوى الرفيع للاستغلال المباشر لقوة العمل . وتبلغ البطالة في جميع مراحل الدورة الاقتصادية ابعاداً كانت في الماضي مميزة لمرحلة الأزمة فقط .

واشار أ . بيارناسون الى ان محاولات مكافحة التضخم النقدي في كندا في السبعينات بواسطة تنظيم الأجور انزلت ضربة شديدة بالشغيلة ، وأدت الى تقليص السوق الداخلية وزيادة البطالة . أما بعد ان اعطت حكومة المحافظين «الضوء الأخضر» للسياسة النقدوية فقد ازداد الوضع سوءاً . فأسعار الفائدة المرتفعة التي عرقلت التوظيفات ادت الى ازدياد البطالة المطرد .

وأكد و . سومرسيت أن اغلاق مؤسسات الشركات فوق القومية ــ «تيليكترون» ، «فورد» ، «دانلوب» ، «اثاري» وغيرها من ايرلندا ، و«ميشلين» ، «ايمبريل كيميكيل انداستريز» ، و«كيرتودس» وغيرها في ايرلندا الشمالية ، الحق ضرراً

كبيراً بالبـلاد . فقد أفلس الكثير من الشركات المحلية ، التي كانت تخدم هذه المؤسسات وتقع في حالة تبعية لها . وبلغت البطالة نسبة ١٨ في المئة ، أما في ايرلندا الشمالية فوصلت الى ٢٣ في المئة . وينبغي أن نضيف هنا العدد الكبير من العاملين جزئياً ومؤقتاً ، ولا سيما النساء والشباب . والكثير من الشباب الايرلنديين لم يعملوا في حياتهم بتاتاً . والحل الوحيد الصفيق بصورة سافرة الذي تقترحه الاوساط الحاكمة لمواجهة البطالة الجماعية هو الهجرة .

واشار غ . غيرزيبين الى أن وضع الطبقة العاملة في المانيا الاتحادية تغير بصورة نوعية في ظروف الازمة . فالقسم الاساسي من السكان لا يثق بالمستقبل ، ويفقد عدد متزايد من الناس العمل والمهارة والتأهيل المهني . ومن بين الهجمات على حقوق الشغيلة يبرز اثنان بصورة خاصة . الاول ـــ هو قانون «المساعدة على التشغيل» الذي دخل حيز التطبيق عام ١٩٨٥ ويتلخص جوهره في تطبيق عقود العمل القصيرة الامد على نطاق واسع بما تنطوي عليه من حماية اقل من قبل القانون . والثاني ـــ هو ما يسمى بالمادة ١١٦ التي يتعرض بموجبها اعضاء النقابات للتسريح التعسفي ويحرمون من مخصصات البطالة . والهدف من ذلك استنزاف صناديق الاضراب لدى النقابات والحد من امكانات النضال الاضرابي .

وتحدث ب . راميلسون عن خصائص التكتيك المعادي للعمال الذي يمارسه المحافظون في بريطانيا . فحكومة تاتشر تعتبر تخفيض مستوى التضخم احد أهم انجازاتها . ومع ذلك فان ارتفاع الاسعار في بريطانيا أعلى مما هو عليه في البلدان الرأسمالية الصناعية الاخرى . وبالرغم من البطالة الجماعية فان الاجور الفعلية ترتفع . كيف يمكن تفسير هذه التناقضات ؟ ثمة مجموعة من العوامل تمارس تأثيرها في هذا المجال . فالطبقة العاملة الانجليزية عالية التنظيم وذات تقاليد كفاحية عريقة . ويعرف ارباب العمل ان العمال سوف يناضلون ضد النيل من حقوقهم وتخفيض معدلات الاجور . ولكن العمال ، اذ يحتجون على اغلاق المؤسسات والتسريحات الجماعية يوجدون في وضع غير ملائم . فقد ادركت الطبقة الحاكمة ان من الاسهل بالنسبة لها تركيز الجهود على رفع انتاجية العمل وتقليص عدد اليد العاملة ، مقدمة التنازلات للذين يواصلون العمل .

التبعية المتبادلة بين المراكز والاطراف

جرى التأكيد في الندوة بأن التحليل الكامل لازمة الرأسمالية يتطلب الكشف عن

آلية عدم الاستقرار ليس في المراكز الامبريالية فحسب ، بل وفي الاقتصاد الرأسمالي عموماً ، وكذلك عن الترابط بين عمليات التأزم في البلدان الصناعية والاطراف .

قال س . ب . غي أن الطبقة الحاكمة في البلدان الرأسمالية المتطورة اليوم تلجأ الى نوعين من الحلول لمواجهة عدم الاستقرار . فهي تحاول بالدرجة الاولى حشد الموارد الداخلية . وعندما تصطدم خطتها هذه بالعوائق ، تعمد الى نقل الانتاج الى دول «العالم الثالث» . ويسمح استغلال البلدان النامية المتزايد للرأسمالية بتقديم التنازلات في مراكزها . ولكن هذه السياسة ، التي اطلق احد الاقتصاديين الامريكيين اللاتينيين عليها اسم «تطوير التخلف» ، تصطدم ايضاً بالعقبات ، بأزمة الاستعمار الجديد . سواء دار الحديث حول تصدير رؤوس الاموال والسلع والمعرفة التكنولوجية او حول تشديد الضغط السياسي بغية خلق ظروف اكثر أمناً لرأس المال ، فهذان العنصران الرئيسيان لنظام استغلال «العالم الثالث» يواجهان الان مصاعب متزايدة . علماً بأن اي تغيير في الوضع هنا ينعكس حتماً على السياسة في مراكز الامبريالية .

وقال أ . فيسياني أن عواقب الازمات البنيوية والدورية تضاف الى ازمة آليات التبعية والسيطرة والنهب الامبرياليين . فتسرب رؤوس الاموال والتدهور الحاد في ظروف التبادل التجاري ومعضلة الدين الخارجي الحادة الى درجة لا تحتمل تخلق على كل الاصعدة تقريباً وضعاً ينذر بالانفجار .

وفي ظروف الازمة ضاعفت الشركات فوق القومية البحث عن اسواق ومناطق نفوذ جديدة ، حيث نقلت الى دول «العالم الثالث» فروع الصناعة التي تتطلب عملاً مكثفاً وتلوث البيئة . وهي تستخدم سنغافورة وهونغ كونغ وكوريا الجنوبية وتايوان كواجهات دعائية ونقاط انطلاق للتوسع اللاحق . وفي الوقت نفسه كشفت الازمة عن حقيقة أن «البلدان الصناعية الجديدة» هي بالنسبة لمراكز الرأسمالية عبارة عن منافسين اضافيين اكثر من كونها اسواق تصريف واسعة محتملة . لذا ، يلاحظ تدفق رأس المال الى البلدان النامية الاكبر والاكثر كثافة سكانية ، كالهند على سبيل المثال . وهذا الاتجاه يكشف عن ميدان جديد للتناقضات .

واشار أ . كريشنان الى أن التأثير السلبي لعمليات التأزم يتجلى ايضاً في الانخفاض العام لاسعار المواد الاولية ومصادر الطاقة الذي بدأ منذ مطلع الثمانينات . فتجري اعادة توزيع كبيرة للمداخيل في اطار الرأسمالية العالمية لصالح الدول الصناعية ،

وتنمو الارباح المفرطة الاتية من البلدان النامية التي تعاني بحدة عواقب اشتداد الحماية الجمركية في المراكز الرأسمالية . ويؤدي الوضع غير الملائم في التصدير الى تفاقم عجز ميزان المدفوعات في معظم بلدان «العالم الثالث» .

نشأ وضع مأساوي في سوق النفط العالمية ، حيث هبطت الاسعار بصورة كارثية ، وقد كرس رفيق سمهون مداخلته لهذه القضية . فأكد ان الانخفاض الراهن في اسعار النفط ناجم ، بالاضافة الى فعل العوامل الموضوعية (الأزمة الاقتصادية ، الانتقال الى التكنولوجيات الموفرة للطاقة) ، ناجم ايضاً عن سياسة الامبريالية الامريكية التي تسعى الى التأثير في الوضع في بلدان الاوبيك مستخدمة في ذلك نفوذها الشديد في العربية السعودية ، التي اغرقت خلال سنوات اسواق النفط العالمية بالمعنى الدقيق للكلمة . وبذلك جرى تقويض بنية نظام الاسعار المعمول بها داخل الاوبيك . وادى انخفاض اسعار النفط ما بين مرتين وثلاث مرات خلال عام ١٩٨٦ الى تفاقم ازمة الدين التي تعانيها المكسيك وفنزويلا ونيجيريا وعدد من الدول الاخرى . وقد حققت الولايات المتحدة ، بوصفها أكبر مستورد للنفط في العالم ، فوائد كبيرة من هذه السياسة . كما راهنت واشنطن ، في اطار سياستها الكونية الجديدة ، على أن يؤدي انخفاض اسعار النفط الى تفاقم قضية التجارة الخارجية والاقتصاد في الاتحاد السوفيتي . ولكن عندما انخفضت اسعار النفط دون المستوى الملائم لاستخراجه في الولايات المتحدة نفسها ، اخذت الادارة الامريكية تدعو الى «استعادة استقرار الاسعار» . وهذا ما يفسر جزئياً التغيير المفاجىء الذي حدث في النصف الثاني من العام الماضي في النهج السابق للعربية السعودية ، حين اقدمت على تقليص استخراج النفط فيها بالاتفاق مع بلدان الاوبيك الاخرى ، وعلى رفع الاسعار العالمية في حدود معينة .

وقد نشأ الوضع الجديد في الاقتصاد العالمي ايضاً نتيجة أزمة الدولار . فأكد أ . كوروليوف أن النظام النقدي للرأسمالية يثبت الوضع المسيطر للدول الامبريالية الكبرى واحتكاراتها في الاسواق العالمية . والسمة المميزة لهذا لنظام ـــ التبعية الشديدة للغاية للولايات المتحدة . وقد وسعت واشنطن نطاق استخدام عملتها في صالح سياستها الكونية الجديدة ، ولتسعير سباق التسلح .

ان الانخفاض الكبير في اسعار الدولار في فترة ١٩٨٥ــ١٩٨٧ يرتبط بضعف وتائر نمو الاقتصاد الامريكي وسعي وشنطن الى حفز تصدير سلعها والحد من تدفق السلع

الاجنبية . وقد ادى ذلك الى احتدام التنافس الامبريالي وانعكس بصورة سلبية حادة على المواقع التنافسية لالمانيا الاتحادية واليابان وعدد من البلدان الاخرى ، مما سبب تردي وضعها الاقتصادي .

كيف أثر تغير سعر الدولار على البلدان النامية ؟ من جهة ، تنمو ديونها الخارجية ببطء اشد على ما يبدو . ولكن ، بما أن اسعار السلع التصديرية لـ«العالم الثالث» تحدد عادة بالدولار ، فان انخفاض سعر العملة الامريكية يقلص القدرة الشرائية الفعلية لصادراتها ، اي يؤدي في نهاية المطاف الى تفاقم ازمة الديون الخارجية .

وكما اشار أ . أوفيدو تنخفض العملات الوطنية في معظم الحالات مع انخفاض الدولار واحياناً بنسبة اكبر . فعلى سبيل المثال ، ارتفع دين كولومبيا الخارجي بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٦ من ٩ الى ١٣ مليار دولار ، أي بنسبة ٤٤ في المئة ، ولكن بما أن قيمة البيسو مقابل الدولار انخفضت بمقدار ٣٠٠ في المئة خلال هذه الفترة فان الدين نفسه بالعملة الكولومبية ارتفع بمقدار ٤ر٤ مرات .

وتحدث ف . غامبوا ، أ . كريشنان و أ . بيارناسون و . خ لافا عن التناقض الكبير في علاقة الدولار الامريكي بعملات البلدان النامية . وفي الوقت نفسه تجني الولايات المتحدة بواسطة سياسة العملات الارباح على حساب الدول الصناعية الاخرى . ويشكل التلاعب بالدولار أحد مصادر تمويل سباق التسلح وبرنامج «حرب النجوم» ، ولكن بقاء العجز الهائل في الميزان التجاري وميزان المدفوعات في الولايات المتحدة يمكن أن يؤدي مع الوقت الى فقدانها مواقعها المسيطرة في العالم الرأسمالي ، وتفاقم الازمة المالية للرأسمالية .

الركود والتفاوت الاقتصادي في «العالم الثالث»

تنذر مؤشرات الركود العالمي بتفاقم معضلات البلدان النامية الاقتصادية المعقدة اساساً . وكما أكد خ . م . لاناو ، لا تسبب الازمات الدورية هنا مصاعب خطيرة ذات طابع آني فحسب ، بل وتساهم ايضاً في تعميق الازمة البنيوية .

اتخذ الركود الاقتصادي في الارجنتين طابعاً دراميا . فخلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة لم يطرأ أي نمو على حصة الفرد من الناتج الوطني . وفي عام ١٩٨٤ كان مستوى الانتاج الصناعي ادنى بنسبة ١٠ في المئة مما كان عليه قبل عشر سنوات . ويعيش اكثر

من ربع الارجنتينيين دون مستوى الفقر الرسمي . ويعاني ١٣ في المئة من السكان النشطاء اقتصادياً البطالة . وفي ظروف الدين الخارجي الهائل تتسرب الاموال الضرورية للتنمية الاقتصادية الوطنية الى المراكز الدولية الكبرى لرأس المال المالي .

ولفت أ . اوفيدو الانتباه الى الفرق العميق في الوضع الاقتصادي لبعض دول امريكا اللاتينية . ففي الارجنتين وبوليفيا وفنزويلا هبط الانتاج ، وفي البرازيل تجاوز النمو الوتائر المتوسطة ، أما في البلدان الاخرى فيجري بوتائر معتدلة جداً . فعلى سبيل المثال ، يتسم انتعاش الاقتصاد في كولومبيا بالتناقض . ويعاني قسم من الفروع الازمة . وبلغت البطالة نسبة ١٥ في المئة ، وهي أعلى نسبة في تاريخ البلاد . فقد أدى ارتفاع اسعار البن في عام ١٩٨٦ الى زيادة عائدات التصدير ، ولكن ٤٠ في المئة منها انفق على تسديد الدين الخارجي . ومنذ نهاية ١٩٨٦ عادت اسعار البن الى الانخفاض مجدداً ، الامر الذي شكل ضربة خطيرة للاقتصاد .

وقال ف . غامبوا ان النشاط الاقتصادي في دول امريكا الوسطى يعتمد بصورة اساسية على القروض والهبات الامريكية ، حيث تستخدم واشنطن بالمقابل اراضي هذه الدول وتطالبها بالمشاركة في المجابهة مع نيكاراغوا . وباستثناء هذا البلد الذي تحمل مصاعبه طابعاً مغايراً ، تعترف جميع الحكومات الاخرى في المنطقة صراحة انها عاجزة عن حل القضايا الناجمة عن الازمة الاقتصادية .

لا تبقى بلدان امريكا اللاتينية دائماً مجرد مراقب سلبي للازمة . وقد توقف أ . ر . غرانجا عند خصائص الوضع في البرازيل . ففي عام ١٩٨٥ سقطت الدكتاتورية في هذا البلد وتعهد الرئيس الجديد بتنفيذ البرنامج الذي حظي بدعم القوى الديمقراطية الواسع . والمحور الاساسي لهذا البرنامج يتمثل في ازالة عواقب الدين الخارجي وخضوع البلاد لمصالح امبريالية الولايات المتحدة . وقد اعلنت حكومة البرازيل مراراً انها لن تسدد الدين الخارجي بمضاعفة مجاعة الشعب وبؤسه وعلى حساب الديمقراطية والتنمية الاقتصادية .

وفي اطار ما يسمى «خطة كروزادو» اقر في بداية العام الماضي مرسوم يمنع المضاربات المصرفية ويحدد اسعار ثابتة للسلع الاستهلاكية . وساهم وقف التضخم في نهوض الانتاج ، حيث ارتفع اجمالي الناتج الوطني أكثر من ٨ في المئة . بيد أن كبار رجال الاعمال بالاتفاق مع العناصر اليمينية راهنوا على بلبلة الاقتصاد وخلق نقص مصطنع

في السلع ، ودعوا البرجوازية الى «العصيان المدني» . وفي الوقت نفسه مارس صندوق النقد الدولي الضغط مطالباً بتسديد الدين الخارجي . وفي نهاية العام اضطر رئيس الجمهورية الى التراجع ووضع «خطة كروزادو ــ ٢» التي اعادت البلاد الى الوضع السابق . فارتفعت اسعار سلع الاستهلاك الواسع مرتين ، وانخفضت قيمة العملة الوطنية بصورة حادة . لم يرض رفع الاجور بنسبة ٢٠ في المئة لـ«التعويض» عن ذلك ، الحركة العمالية التي أخذت تناضل ضد التضخم ومن أجل مصالح الشعب ورفض تسديد الدين الخارجي البالغ ١١٠ مليارات دولار .

ان القوى الخارجية لا تزال تحدد بصورة اساسية السياسة الاقتصادية للعديد من دول امريكا اللاتينية . فحكومة ايستنسورو في بوليفيا تعبر ، كما قال د . موريس ، عن مصالح الطغمة المالية التابعة والامبريالية، التي صاغها صندوق النقد الدولي والمستشارون الاقتصاديون من الولايات المتحدة . ويتلخص جوهر نهجه في اعادة البناء العامة لاقتصاد البلاد وتكييفه مع الازمة الرأسمالية والتقسيم الامبريالي للعمل . وينعكس تسديد الدين الخارجي ومحاولات القضاء على قطاع الدولة بصورة سلبية على صناعة التعدين والفروع الاخرى . وتؤدي التسريحات الجماعية وتقليص الاجور الى انخفاض حاد في مستوى حياة الشغيلة المنخفض اساساً .

واشار أ . كامبوس الى أن صندوق النقد الدولي يقف حارساً لمصالح البنوك الدولية التي تواصل نهب بلداننا . وقد ساهم هذا النشاط في باراغواي في تعميق الازمة الاقتصادية . ولا تعمل الصناعة الا بنصف طاقتها الانتاجية ، وانخفض الانتاج الزراعي بصورة حادة ، بينما بلغت البطالة ٢٣ في المئة . واصبح الدين الخارجي كبيراً الى حد ان من المستحيل تسديده .

وفي معرض الحديث عن الوضع في شيلي توقف أ . فيسياني عند النتائج الكارثية للسياسة الاقتصادية التي وضعتها الاحتكارات الاجنبية ويطبقها الطاغية بينوشيت باذعان . ان النهب الامبريالي الذي لم يسبق له مثيل وطفيلية الاوليجاركية المحلية المفرطة هما السبب المباشر لاكبر ازمة في تاريخ البلاد . فقد بلغ الدين الخارجي ٢٣ مليار دولار ، وفاقت مدفوعات خدمته في عام ١٩٨٥ عائدات صادرات السلع . وخلال سنوات الدكتاتورية ضخت اموال من شيلي تفوق اجمالي الناتج السنوي بـ٩ر١ــ٦ر٢ مرة (وفقاً لمصادر مختلفة) . وفي غضون السنوات الاربع الاخيرة جرى تحويل ٥ مليارات

دولار للبنوك الاجنبية الدائنة . ويضع رأس المال فوق القومي يده حتى على اموال الضمان الاجتماعي ، ولا يقوم تقريباً بأية توظيفات تتسم ولو بقيمة ضئيلة للاقتصاد .

وانعكست الازمة بصورة خطيرة على البلدان الافريقية . فكما اشار س . ب عي ادى انخفاض اسعار الخامات والنفط الى تفاقم وضع جميع الدول الواقعة جنوبي الصحراء . وهي بصورة اساسية بلدان زراعية ، بينما انخفضت الاسعار العالمية للخامات الزراعية مع هبوط قيمة الدولار ، علماً بأن الدين الخارجي لم ينخفض . وقد كان لانخفاض الاسعار العالمية نتيجة سلبية مزدوجة بالنسبة لدول مثل نيجيريا . فخلال الطفرة النفطية في السبعينات وقعت في تبعية شديدة لاستيراد السلع الزراعية ، اما الان فان نيجيريا تواجه صعوبات اكبر في تأمين حاجاتها من المواد الغذائية نتيجة انخفاض عائدات النفط . ويشير هذا المثل الى قضية بالغة الاهمية بالنسبة لافريقيا ، هي اقتران الدين الخارجي الكبير باشتداد المجاعة .

وتحدث علي أحمد الطيب عن تأثير الامبريالية السلبي في اقتصاد السودان . فتطوره الراهن يرتبط ارتباطاً مباشراً بشروط القرض المقدم من صندوق النقد الدولي الذي طالب ، على وجه التحديد ، بالتخلي ، في غضون عامين ، عن بناء المشاريع الكبيرة ، والتركيز في القطاع الزراعي على الزراعات التصديرية ، وتقليص الدعم لعدد من السلع الاستهلاكية ، وتسليم المؤسسات المؤممة للقطاع الخاص . واشترط الصندوق ايضاً ان يخصص ٤٦ في المئة من عائدات التصدير لتسديد الدين الخارجي وادت هذه السياسة الى تردي الوضع الاقتصادي بصورة حادة .

واشار مصطفى عزاوي الى أن نهج «اقتصاد التقشف» الذي فرضه صندوق النقد الدولي والبنك الدولي على المغرب يتحول ايضاً الى تقلص نفقات الميزانية وتقلص الدعم للسلع الاستهلاكية، وتجميد للاجور ، وانخفاض القدرة الشرائية للجماهير الشعبية ، وتقليص للتوظيفات الانتاجية . ويسرح العديد من المؤسسات عماله وينتقل الى التشغيل الجزئي . وتزداد الضرائب على الأجور والضرائب غير المباشرة . وارتفع بصورة حادة العجز في التجارة الخارجية .

وقال أ . كريشنان ، اشتد في الاونة الاخيرة تغلغل الشركات فوق القومية في اقتصاد الهند ايضاً . وأقدمت الحكومة على اشاعة الليبرالية في حدود معينة في الاستيراد . فتم توقيع حوالي ٢٠٠٠ اتفاقية مع الشركات فوق القومية الامريكية والبريطانية

والالمانية الغربية والايطالية وغيرها . ويقترن هذا كله بالهجمات على قطاع الدولة في الاقتصاد ومحاولات تفكيكه .

وهكذا ، اشتد سعي الامبريالية في ظروف الازمة الى حل تناقضاتها الداخلية على حساب بلدان «العالم الثالث» . وتشكل محاولات اركاع هذه الدول اقتصادياً ، جزءاً لا يتجزأ من الاستراتيجية الشاملة للاستعمار الجديد .

نضال الشيوعيين

اوليت المهام الملحة لنضال الشيوعيين من اجل تذليل الازمة الاقتصادية وعواقبها اهتماماً كبيراً في الندوة . واكد المتحدثون ان المخرج من الازمة مستحيل بدون النضال اليومي من اجل المطالب الاقتصادية الملحة وبدون تصعيد المقاومة ضد هجمات القوى الرجعية والكفاح العنيد من اجل الاصلاحات والتحولات الجذرية .

وتشكل قضية صيانة التشغيل وزيادته قضية رئيسية . فقد تصاعد النضال من اجل اقرار تدابير تشريعية دفاعاً عن الشغيلة ضد التسريح والفصل التعسفي ، ويزداد باطراد اقدام العمال على احتلال المؤسسات المعرضة للاغلاق ، وفي البلدان الصناعية قويت المطالبة بتقليص اسبوع العمل مع الحفاظ على الاجور ، وتوسيع نفقات الدولة على الحاجات الاجتماعية والتعليم الشعبي والرعاية الطبية واعادة بناء الهياكل الارتكازية ، وايجاد فرص عمل جديدة في فروع الاقتصاد السلمية . وتقترن التحركات دعماً لهذه المطالب بالاعمال الرامية الى وضع حد للتمييز والاستغلال في العلاقات الاقتصادية الدولية ، والحد من نشاط الشركات فوق القومية ، وتوطيد قضية السلام ، ووقف سباق التسلح . وقد كتب لينين : «ان كل نضال اقتصادي يتحول بالضرورة الى نضال سياسي» وعلى الشيوعيين أن «يربطوا بصورة لا تنفصم هذا النضال وذاك بنضال البروليتاريا الطبقي الواحد»[1] .

وتحدث ف . بيرلو عن مقاومة الطبقة العاملة في الولايات المتحدة ، المتنامية لهجوم الاحتكارات ، في الاونة الاخيرة حدثت اضرابات كبيرة . وقد حقق عمال شبكة الهاتف انتصاراً جزئياً بعد نضال طويل . وحصل عمال الفولاذ ، الذين سرحتهم شركة «يو ــ أس ــ اكس» بصورة تعسفية ، على مساعدة كبرى من النقابات الاخرى في البلاد ، وكذلك من عمال الميتالورجيا في المانيا الاتحادية والمانيا الديمقراطية . وقد استمر

النضال ستة اشهر ـــ من آب (اغسطس) ١٩٨٦ حتى مطلع شباط (فبراير) ١٩٨٧ وشاركت المنظمات المحلية للحزب الشيوعي في تنظيم الاعتصامات ولجان العاطلين عن العمل ، وفي حملة النقابات لجمع الاموال والمواد الغذائية للعمال ، واطلعتهم على الوضع من خلال صحافتها ، وقامت بعمل توضيحي بين السكان في المناطق التي تقع فيها المؤسسات المغلقة . وانتزع عمال الفولاذ بعض التنازلات في مسائل التقاعد والضمان وحصلوا على موافقة الشركة بدفع مخصصات للمسرحين . وبالرغم من انهم اضطروا للقبول بتقليص الاجور ، الا انهم تمكنوا من الحفاظ ، الى حين ، على القسم الاكبر من فرص العمل التي حاولت «يو ـــ أس ـــ اكس» الغاءها .

ان انجازات من هذا النوع ، وهي ليست قليلة في السنوات الاخيرة ، لا تخفف الا في حدود معينة من الضربات التي توجهها الازمة للشغيلة . ولكن في مجرى هذا النضال تتوطد روحهم الكفاحية وعزمهم على مقاومة هجمات رأس المال . وتنعكس التغييرات في امزجة الطبقة العاملة الامريكية ايضاً في ان «الابواب تنفتح» ،على حد تعبير غاس هول ، لمشاركة الشيوعيين الاوسع في نضال النقابات اليومي ، سواء على الصعيد القاعدي أو القيادي . ويساهم ذلك في تحول الطبقة العاملة نحو الاعمال النشيطة في الميدانين الاقتصادي والسياسي فعلى سبيل المثال ، اتخذ اتحاد العمل الامريكي ـــ مؤتمر المنظمات الصناعية قراراً بانشاء لجنة دائمة لدعم المضربين وللتضامن العمالي . ومن الهام بصورة خاصة أن العمال اخذوا يدركون الصلة بين هجمات الشركات فوق القومية والسياسة العدوانية للامبريالية الامريكية . ففي كونفرنس قسم النقابات الصناعية في اتحاد العمل الامريكي ـــ مؤتمر المنظمات الصناعية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٦ اتخذ قرار يدعو الى نزع السلاح ويعارض الميزانية العسكرية وبرنامج «حرب النجوم» . وتلعب النقابات اليوم دوراً اكثر استقلالية في الحملات السياسية .

وقال غ . غيرزيبين أن المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الالماني اقر شعار «العمل للجميع» . وهو يقترح تخصيص ١٠٠ مليار مارك خلال العامين القادمين لتنفيذ برنامج حكومي لتأمين التشغيل ، وتطبيق اسبوع عمل من ٣٥ ساعة للجميع مع الحفاظ على اجور العمل كاملة وعلى عدد العاملين ، ورفع القدرة الشرائية للجماهير وتعزيز الطلب في السوق الداخلية بواسطة رفع الأجور الفعلية ومرتبات التقاعد والاعانات الاجتماعية ، واقرار قانون يمنع التسريحات الجماعية ونقل المؤسسات الى الخارج . ويؤكد ضرورة تقليص

الانتاج العسكري وتحويل انتاج الاسلحة الى انتاج السلع المدنية المفيدة اجتماعياً .

وتنظم بمشاركة الشيوعيين الالمان النشيطة اعمال احتجاج ونشاطات تضامن جماهيرية ، موجهة بالدرجة الاولى ضد اغلاق المؤسسات ومن اجل الحفاظ على فرص العمل وايجاد فرص عمل جديدة . وهكذا ، فقد نظمت نقابة عمال المعادن في عام ١٩٨٤ اضراباً استمر ٤٥ يوماً من اجل الانتقال الى اسبوع عمل من ٣٥ ساعة . وبفضل هذا النضال تم التوصل الى تقليص اسبوع العمل الى ٣٨٫٥ ساعة والحفاظ على حوالي ١٠٠ الف فرصة عمل . وهاكم مثالاً آخر : ساهمت تحركات العمال بدعم من الفئات الوسطى في الحيلولة دون اغلاق مصنع اتحاد «اربيد ـــ سآرشتال» الاحتكاري . وفي كانون الثاني (يناير) واذار (مارس) من العام الحالي جرت مظاهرات جماهيرية في جميع المدن التي توجد فيها مؤسسات ميتالورجية . وقد شارك فيها في هاتينغين واوبيرهازون أكثر من ٦٥ الف شخص . واقفل الكثير من التجار متاجرهم ، تضامناً معهم ، وقرعت اجراس الكنائس وامتنع المدرسون عن التدريس . ويشارك جميع الشيوعيين عملياً في هذه التظاهرات ، وكأعضاء في مجالس المصانع واشخاص مكلفين يدافعون عن مصالح العمال ويحضرون الملصقات والجرائد في المصانع ويساعدون في تقديم العون المادي للمتظاهرين والمضربين ويساهمون في كل ما يسميه الحزب «الهياكل الارتكازية للنضال التضامني» .

وقال أ . بيارناسون ان الشيوعيين الكنديين يقترحون زيادة التشغيل بواسطة تنويع الصناعة وتأميم قطاعات الاقتصاد الاساسية ، وتحديداً فروع الشركات الامريكية ، وفرض الرقابة الديمقراطية على موارد الطاقة في البلاد . ونرى أن من الضروري أن تقوم الدولة بتخطيط التوظيفات من اجل تذليل التخلف التقني للصناعة الوطنية .

ويرى أ . سومرسيت أنه ينبغي مقاربة النضال ضد الشركات فوق القومية على اساس طويل الامد ، ويقصد بذلك بالدرجة الاولى التحركات المشتركة للنقابات الوطنية والتعاون بينها على مستوى مؤسسات الشركة فوق القومية التي تعمل في مختلف البلدان . وبما أن الاهتمام بحاجات الذين يفقدون العمل غير كاف في اطار النقابات ، فان الحياة ، كما يبدو ، تفرض انشاء اتحادات خاصة للعاطلين عن العمل . وقد نشأت بدعم الشيوعيين في بلفاست وعدد من المدن الاخرى مراكز للبطالة تقدم المساعدة في الحصول على اعانات وفي تدريب الناس على مهن جديدة ، وتقوم بعمل توضيحي وغيره في المناطق السكنية التي تكون البطالة فيها مرتفعة بصورة خاصة ، وتشارك في التظاهرات

العلنية المطالبة بزيادة التشغيل . ويساهم الشيوعيون في تنظيم اعمال التضامن المشتركة بين العاطلين عن العمل والنقابات ، كما حصل اثناء الاضراب الاخير الذي نظمته نقابات عمال المواصلات .

وقال أ . كريشنان أن النضال الفعال ضد الشركات فوق القومية في ظروف الهند يعني اجراء تغييرات جدية في السياسة الاقتصادية . ومن الضروري بالدرجة الأولى التصدي للهجوم الشامل على قطاع الدولة ، ولاشاعة الليبرالية في التجارة الخارجية ، ولنهج تفضيل استخدام التكنولوجيا الاجنبية . ولتحقيق ذلك يدعو الشيوعيون الهنود الى انشاء تحالف من جميع القوى الاجتماعية القادرة على توجيه السياسة الاقتصادية نحو توطيد استقلال البلاد . ويجري الحديث عن النضال المشترك مع النقابات ، بما فيها تلك التي يقودها الحزب الحاكم ، ومع العلماء وموظفي الدولة الوطنيين وقسم من البرجوازية ، ولا سيما الصغيرة والمتوسطة ، التي تتعرض للخسائر نتيجة اشاعة الليبرالية في الاستيراد وتواجه خطر الافلاس والخراب .

ويعتبر خ . لاناو أن الازمة في بلدان امريكا اللاتينية لا تقتصر على قضية التكنولوجيا والنقص في المؤسسات الحديثة . ان التخلف في تطور القوى المنتجة ليس سبباً ، بل أحد مظاهر الازمة . وثمة طريق واحد لتذليله هو اجراء تحولات عميقة في ميدان علاقات الانتاج ووضع حد لسيطرة الاحتكارات والاوليجاركية اللا تيفوندية على الاقتصاد الوطني والسياسة . وهذا هو موقف الشيوعيين . واشار أ . اوفيدو الى الاتجاه نحو تنسيق اكبر في اطار امريكا اللاتينية في النضال من اجل تسوية عادلة للدين الخارجي وحل قضية اسواق واسعار منتجات التصدير وغيرها من الجوانب الملموسة للنظام الاقتصادي الدولي الجديد . وذلك ليس على مستوى الحركة العمالية فحسب ، ان الحديث يجري عن ضرورة تعاون الشيوعيين مع الاحزاب السياسية المختلفة ، وانشاء التحالفات والقيام باعمال مشتركة مع القوى المناضلة من اجل المصالح الوطنية . وتبرز امكانية صياغة موقف وطني عام حول المسائل الاقتصادية الملحة وتطوير التعاون على مستوى الدول . وقد جرى مؤخراً في نيكاراغوا اجتماع لبلدان امريكا اللاتينية المصدرة للبن . والمثال الاخر هو لقاء بلدان السوق المشتركة الاقليمية لمناقشة قضية الدين الخارجي . ولقيت اعمال البرازيل التي رفضت دفع الفوائد للدائنين الخاصين صدى واسعاً . وقد حذت حذو البرازيل حتى حكومة الاكوادور المعروفة بعلاقاتها الوثيقة مع

الولايات المتحدة .

وكرس ف . غازداغ مداخلته لمواقف الاشتراكية الديمقراطية . فاشار الى ان الازمة البنيوية . المستمرة منذ زمن طويل قوضت اسس السياسة الاقتصادية السابقة للاشتراكية الديمقراطية ، المستندة بدرجة كبيرة على وصفات الكنزية و«دولة الرفاهية العامة» . ومن هنا تأتي اعادة النظر بالاستراتيجية والبحث عن بديل اصلاحي جديد من اعادة البناء البنيوية والازمة . وفي هذا السياق ينبغي أن نتناول تخلي عدد من الاحزاب الاشتراكية عن مطلب التشغيل الكامل والدعوات الى تطوير ما يسمى الديمقراطية الصناعية وانشاء «شراكة جديدة» بين الحركة العمالية ورأس المال .

وجرت تطورات واسعة في ميدان السياسة الدولية ، حيث ابتعدت غالبية الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية عن مواقع «الحرب الباردة» وتقدمت باتجاه الاعتراف بضرورة رفض سباق التسلح . وقد طرح «بيان ليما» للاممية الاشتراكية برنامج انعاش الاقتصاد العالمي بتخصيص ١٠٠ مليار دولار لمساعدة النمو الاقتصادي في البلدان النامية واصلاح النظام المالي الدولي ووضع قيود على عسف الشركات فوق القومية . وفي الوقت نفسه تبحث الاشتراكية الديمقراطية عن اساليب الدفاع عن مصالح رأس المال الاوربي الغربي في البلدان النامية ودعم مشاركة دولها في حلف شمالي الاطلسي .

وقال أ . اوفيدو ، بالرغم من هذا كله كثيراً ما تختلف ممارسة الاحزاب الاشتراكية عن البيانات البرنامجية . ولفت س . ب . غي . الانتباه الى أن الاشتراكيين الديمقراطيين يستغلون ازمة «دولة الرفاه العام» كذريعة للتخلي عن بعض وظائف الدولة في الميدان الاجتماعي .

واشار ب . راميلسون الى الخطر المرتبط بانتقال الدوائر اليمينية الى الهجوم الواسع على قطاع الدولة في اقتصاد بريطانيا . واشار كذلك الى ان حزب العمال اخذ يغير مواقفه متخلياً عملياً عن مطلب التأميم ، ويميل ، أكثر فأكثر ، الى الشراكة بين العمال والصناعة الخاصة والشركات فوق القومية ، وينبغي ألا نقلل من التأثير الايديولوجي لتشهير المحافظين الواعي بالملكية الاجتماعية ، واطرائهم لما يسمى بالرأسمالية الشعبية .

وعموماً ، قال المشاركون في الندوة ، ان عمليات التأزم في اقتصاد الرأسمالية يشكل عاملاً يساهم في نمو المعارضة الواسعة للحكومات المحافظة والرجعية . ولكن ينبغي أن يؤخذ في الحسبان ان الازمة يمكن أن تساهم أيضاً في تردي الوضع السياسي وزيادة

نشاط الاوساط العسكرية والرجعية الاخرى وهجومها المطرد على حقوق الشغيلة ، وتسعير سباق التسلح وتنظيم المغامرات العسكرية . وهي تؤدي الى تعمق التناقضات سواء داخل النظام الرأسمالي أو على الصعيد العالمي ، وتتطلب يقظة زائدة من جانب قوى السلام والديمقراطية والاشتراكية .

لينين : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤ ، ص ١٨٦ ، (باللغة الروسية)



أبحاث

نحو الذكرى الأربعين بعد المئة لانشاء عصبة الشيوعيين

حقائق قديمة ولكن فتية ابدا

في جميع القارات وفي كل البلدان تقريباً ثمة شيوعيون يعيشون ويعملون ويفكرون ويناضلون . وأحزابهم ، التي يناهز عددها المئة ، تختلف من حيث العدد والنفوذ . وتختلف أيضاً من حيث اللغات التي بها يتحدثون ومن حيث المهام الملموسة المطروحة أمامهم ، كما أن آراءهم لا تتفق دائماً . ومع ذلك يشكل الشيوعيون — مع كل تنوع ظروف النضال والأهداف الاستراتيجية والتكتيكية — مجموعة فكرية وكفاحية عظيمة مؤلفة من ملايين عديدة ، تشمل الكرة الأرضية كلها وتصبو إلى هدف واحد مشترك .

لقد أرسي حجر الأساس لهذه الحركة في لندن ، حين انعقد منذ ١٤٠ عاماً ، تحت التأثير المحدد لنظريات ماركس وانجلز العلمية ، المؤتمران الأول والثاني لعصبة الشيوعيين ، وتأسس أول حزب شيوعي ثوري في تاريخ العالم . وتماماً في منتصف الفترة

التاريخية التي تفصلنا عن هذه الأحداث ، وقعت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا ، التي حققت بالممارسة أفكار رواد عام ١٨٤٧ ومنحتها محتوى جديداً ملموساً وقوة محركة جبارة .

ولكننا لا ننوي تكريم أعمال مؤسسي الشيوعية العلمية بتعابير حماسية . بل نريد استرجاع أهدافهم وقناعاتهم وآمالهم لكي نحصل على الحوافز والدوافع ، على الدعم والقوة لحل المهام الراهنة . لذا ننشر للمرة الأولى في مجلة الأحزاب الشيوعية والعمالية ثلاث وثائق هامة من مرحلة نشوء الحركة الشيوعية العالمية ، لعلها غير معروفة إلى حد كبير لدى قرائنا . تعود الوثائق الثلاث إلى المؤتمر الأول لعصبة الشيوعيين (لندن ٢ ـــ ٩ حزيران / يونيو ١٨٤٧) وهي تعكس المعتقدات الأساسية لطليعة حزب الطبقة العاملة الناشىء وتعطي كذلك تصوراً معيناً عن طابعها الديمقراطي .

الوثيقة الأولى هي بمثابة مقاطع من مشروع برنامج صاغه المؤتمر الأول لعصبة الشيوعيين تحت عنوان « الرمز الشيوعي للعقيدة » ، وقد تم اكتشافه عام ١٩٦٨ . والمشروع مكتوب بخط يد انجلز ويحمل توقيعي ك . شابير ، رئيس المؤتمر ، وف . فولف ، سكرتير المؤتمر . وبناء على قرار المؤتمر أرسل إلى جميع منظمات العصبة لمناقشته .

الوثيقة الثانية هي عبارة عن رسالة دورية حول نتائج المؤتمر أرسلتها اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين في لندن إلى المنظمات القاعدية . وننشرها بصورة مختصرة .

الوثيقة الثالثة هي عبارة عن مقاطع من العدد الأول ، والوحيد للأسف ، الصادر في أيلول (سبتمبر) ١٨٤٧ ، من « المجلة الشيوعية » ، التي كانت اللجنة المركزية تنوي اصدارها لتكون ناطقاً بلسان العصبة . وقد طبع على صفحة الغلاف للمرة الأولى شعار « يا عمال العالم اتحدوا ! » الذي أقره المؤتمر .

كان محرر المجلة عضو اللجنة المركزية ك . شابير . ويبدو أنه هو صاحب المقالة الأساسية التي نعيد نشرها بإيجاز .

رونالد باوير
ممثل الحزب الاشتراكي الألماني الموحد في
مجلة قضايا السلم والاشتراكية

فردريك انجلز

مشروع الرمز الشيوعي للعقيدة

السؤال الأول . أنت شيوعي ؟

ــ أجل .

السؤال الثاني . ما هو هدف الشيوعيين ؟

ــ تغيير المجتمع بحيث يستطيع كل فرد من أفراده تطوير واستخدام مؤهلاته وقواه بحرية تامة ، دون أن يتطاول على الشروط الأساسية لهذا المجتمع .

السؤال الثالث . كيف تنوون بلوغ هذا الهدف ؟

ــ عن طريق إلغاء الملكية الخاصة ، التي ستحل محلها مشاعية الممتلكات .

السؤال الرابع . كيف تعللون وحدة الممتلكات التي تدعون إليها ؟

ــ أولاً ، بما ولده تطور الصناعة والزراعة والتجارة والاستيطان من وفرة من القوى المنتجة والوسائل الحياتية ، وكون الامكانات اللامتناهية لزيادتها دون حدود تكمن في الالات والأجهزة الكيمياوية وغيرها من الأجهزة المساعدة .

ثانياً ــ في أن الموضوعات المعروفة توجد في وعي أو شعور كل انسان كمبادىء وموضوعات راسخة تتشكل نتيجة للتطور التاريخي بمجمله ولا تحتاج إلى برهان .

السؤال الخامس . ما هي الموضوعات ؟

ــ مثلاً ، كل انسان يسعى إلى أن يكون سعيداً . إن سعادة كل فرد لا تنفصل عن سعادة الجميع ، الخ .

السؤال السادس . كيف تنوون التحضير لمشاعية الممتلكات التي تدعون إليها ؟

ــ بواسطة تنوير البروليتاريا وتوحيدها .

السؤال السابع . ما هي البروليتاريا ؟

ــ البروليتاريا هي تلك الطبقة من المجتمع التي تعيش بفضل عملها وحده[١] وليس بفضل الأرباح من رأس مال ما ، ولذلك فإنها الطبقة التي تتوقف سعادتها ومحنتها ، حياتها وموتها ، على تعاقب الوضع الجيد أو السيء للأمور ، باختصار ، على تقلب المنافسة .

السؤال الرابع عشر . لنعد إلى السؤال السادس . إذا كنتم تنوون التحضير

لمشاعية الممتلكات بتنوير البروليتاريا وتوحيدها ، فإنكم بالتالي ترفضون الثورة ؟

ـــ إننا على يقين من أن أية مؤامرات ليست عديمة النفع فحسب ، بل وضارة أيضاً[٢] . ونعرف أيضاً أن الثورات لا يمكن أن تصنع بسبق الاصرار وبصورة اعتباطية ، وأن الثورات هي في كل مكان وزمان نتيجة ضرورية للظروف التي لا تتوقف أبداً على ارادة وقيادة أحزاب معينة أو طبقات بكاملها . ولكننا نرى في الوقت نفسه أن الطبقات الحاكمة تقمع تطور البروليتاريا في جميع بلدان العالم تقريباً بالقوة وبذلك فإن خصوم الشيوعيين يعملون بكل قواهم في سبيل الثورة . وإذا ما دفع هذا كله البروليتاريا المضطهدة إلى الثورة في نهاية المطاف ، فإننا سندافع عن قضية البروليتاريا بالأفعال ، قدر دفاعنا عنها بالأقوال اليوم .

السؤال الخامس عشر . هل تنوون اقامة مشاعية الممتلكات فوراً مكان النظام الاجتماعي القائم الآن ؟

ـــ إننا لا نفكر بذلك . إن تطور الجماهير لا يجيز تطبيق الأمور بمراسيم . إنه يرتبط بتطور الظروف التي تعيش فيها هذه الجماهير ، ولذا فإنه يجري بصورة تدريجية .

السؤال السادس عشر . كيف ترون إمكانية تحقيق الانتقال من الوضع الحالي إلى مشاعية الممتلكات ؟

ـــ إن الشرط الأساسي الأول لتطبيق مشاعية الممتلكات هو تحرير البروليتاريا سياسياً بإقامة النظام الديمقراطي للدولة ....[٣] .

من اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين في لندن إلى جماعة العصبة في هامبورغ

لندن ، ٢٤ تموز (يوليو) ١٨٤٧

... نبعث إليكم رسالة المؤتمر الدورية إلى العصبة ، وكذلك النظام الداخلي الجديد ومشروع الرمز الشيوعي للعقيدة ونرجو أن تجيبوا بأسرع ما يمكن عن الأسئلة الستة الواردة أدناه ، لكي نبدأ منذ الان الأعمال التحضيرية الضرورية لتنظيم المؤتمر الثاني :

١) هل أنتم مرتاحون لعمل المؤتمر وهل توافقون على القرارات التي اتخذت فيه .
٢) هل توافقون على النظام الداخلي الجديد أم ترفضونه .
٣) هل بإمكانكم أن تبعثوا لنا ، للأهداف الواردة في الرسالة الدورية ، الأموال الضرورية عن ربع أو نصف سنة ، وتبلغونا ما هي المبالغ التي تستطيعون تقديمها .
٤) هل شكلتم دائرة ، وإذا كان الجواب بالنفي ، ففي أية منطقة من الأسهل والأفضل بالنسبة لكم تشكيلها ــ انظر المادة ١٤ من النظام الداخلي .
٥) هل ترغبون في أن نخصص لمنطقتكم أعداداً من مجلة العصبة التي ننوي البدء بإصدارها في آب (أغسطس) ، وكم هي الكمية التي تطلبونها .
٦) هل يجري وبأية وسائل نشر الأفكار الاجتماعية والشيوعية بين سكان منطقتكم وما هي الأصداء التي تلقاها .

كما نرجوكم ، من ثم ، أن تناقشوا بجدية بالغة مشروع الرمز الشيوعي للعقيدة واعلامنا في أسرع وقت ممكن بالاضافات والتغييرات ، التي ترون من المفيد إدخالها ، لكي نتمكن من ترتيبها وطرحها للمناقشة في المؤتمر القادم الذي سوف يضع النص النهائي لرمز العقيدة ...[٤] .

من العدد التجريبي لـ « المجلة الشيوعية »

إن مهمة هذه المجلة تتلخص في المساعدة على تحرير البروليتاريا ، ومن أجل أن يتحقق ذلك في أسرع وقت ممكن علينا أن ندعو جميع المضطهدين إلى الوحدة .

اننا نسمي مجلتنا « المجلة الشيوعية » لأننا على يقين من أن هذا التحرير لا يمكن أن يتحقق إلا بتحويل علاقات الملكية القائمة الآن تحويلا تاما . وباختصار ، لا يمكن أن يتحقق هذا التحرير إلا في المجتمع القائم على مشاعية الممتلكات ...

يفسر البعض الحركة الشيوعية بصورة مشوهة ، ويفتري عليها البعض الآخر ويشوه فحواها إلى درجة تدفعنا لأن نقول عنها بعض الكلمات لأننا من المشاركين فيها . ونشير هنا بالدرجة الأولى إلى ما يتفق مع آرائنا ، راغبين مسبّقاً في ازالة بعض الاتهامات الافترائية التي يمكن أن توجه إلينا .

إننا لسنا أنصاراً متعصبين للنظام ، لأننا نعرف من التجربة أن من العبث النقاش

ووجع الرأس بشأن التنظيم المقبل للمجتمع ، والالتهاء عن الوسائل التي يمكن أن تقودنا إلى هذا المجتمع ... فمهمة جيلنا هي في إيجاد وجمع مواد البناء الضرورية لتشييد المبنى الجديد ، أما بناؤه فمهمة الأجيال المقبلة ، وينبغي أن نكون مرتاحي البال فلن يكون هناك نقص في البنائين .

... على أقل تقدير نحن لا نريد ذر الرماد في عيون الشعب ، إننا نريد أن نقول له الحقيقة وأن نلفت انتباهه إلى العاصفة المقبلة ، لكي يتمكن من الاستعداد لها ـــ لسنا متآمرين يريدون في يوم محدد البدء بالثورة أو ابادة الحكام ، ولكننا لسنا أيضا حملان صبورين يحملون صليبهم ... ـــ ما زالت أمامنا معركة أخيرة وخطيرة ، وإذا خرج منها حزبنا منتصراً ، عندها فقط ربما سيكون بالامكان وضع السلاح جانباً .

لسنا من أولئك الشيوعيين الذين يعتقدون بأن مشاعية الممتلكات يمكن أن تطبق بلمح البصر بعد النضال المظفر . إننا نعرف أن البشرية لا تقوم بقفزات ، بل تتقدم إلى الأمام خطوة خطوة . لا يمكننا أن ننتقل في يوم من الأيام من المجتمع غير المنسجم إلى المجتمع المنسجم ، فهذا يتطلب مرحلة انتقالية تطول أو تقصر وفقاً للظروف . والملكية الخاصة لا يمكن أن تتحول إلى ملكية عامة إلا بصورة تدريجية .

لسنا من أولئك الشيوعيين الذين يريدون القضاء على حرية الفرد وتحويل العالم كله إلى ثكنة كبيرة أو بيت واحد كبير للعمل ...

لقد قلنا ما الذي يخالف آراءنا . وقلنا في رمز العقيدة الذي وضعناه من نحن وماذا نريد . ولم يبق إلا أن نقول بضع كلمات للبروليتاريين الذين ينتمون إلى الأحزاب السياسية أو الاجتماعية الأخرى . إننا نقف ضد المجتمع المعاصر الذي يضطهدنا ويجعلنا نعاني البؤس ، ولكن بدلا من أن نتوحد من أجل هذا الهدف ، فإننا ، للأسف ، غالباً ما نتصارع ، الأمر الذي يسر مضطهدينا . وبدلا من أن نوحد جهودنا ونقيم الدولة الديمقراطية التي تتوفر فيها لكل حزب إمكانية كسب الأكثرية إلى جانبه، سواء قولا أو كتابة ، فإننا نتشاجر حول ما ينبغي حصوله عندما ننتصر . وتخطر على بالنا ، دون قصد هنا ، حكاية الصيادين الذين تقاتلوا على جلد الدب قبل أن يصطادوه . لقد آن لنا أن نكف عن الخصومات وأن نتصافح لندافع معاً عن مصالحنا . ولكن ذلك يتطلب من الأدباء المنتمين إلى الأحزاب المختلفة أن يكفوا عن النقاشات الحامية فيما بينهم التي يصبون فيها على خصومهم أقذع أنواع الشتائم . أما بالنسبة لنا ، فإننا نحترم كل انسان ،

سواء كان أرستقراطياً أم متديناً ، إذا كان يدافع بعناد وحزم عن رأيه الذي يعتبره صائباً . اننا لن نرحم أولئك الذين يتسترون براية حزب سياسي أو دين ما ليدافعوا عن مصالحهم الخاصة . إن من واجب كل انسان شريف فضح هؤلاء المنافقين الوضيعين بأسرع ما يمكن ووصمهم بالعار . بوسع كل انسان الدفاع عن رأي خاطىء أيضاً ، ولكن ما دام يعتبره صحيحاً ويدافع عنه بنزاهة ، ينبغي عدم ازدرائه ... ونحن لا نرفض مصافحته . في الوحدة قوة ، ووحدها يمكن أن تقودنا إلى الهدف .

ولذا ، يا عمال العالم اتحدوا ــ اتحدوا علانية إذا كان القانون يسمح بذلك ، لأننالا نخشى العلانية أبداً ، أو سراً ، إذا كان تعسف الطغاة يمنع ذلك ...

وفي الختام نعلن أن صفحات مجلتنا لن تكون مكاناً لتصفية الحسابات ، ولا لمدح أشخاص معينين يقومون بواجبهم . ولكننا ندعو البروليتاريين المضطهدين والملاحقين لكي يتوجهوا إلينا ، وسندافع عنهم دون تردد فاضحين المضطهدين أمام الرأي العام الذي يهابه الآن أعتى الطغاة[٥] .

---

(١) قبل أن يضع ماركس نظرية القيمة الزائدة كان ماركس وانجلز يستخدمان مفاهيم من نوع قيمة العمل ، ثمن العمل ، بيع العمل ، التي ، كما أشار انجلز عام ١٨٩١ في مقدمة كراس مقال ماركس « العمل المأجور ورأس المال » ، « تشكل من وجهة نظر الأعمال التي أتت فيما بعد مفاهيم غير موفقة وحتى خاطئة » (ماركس وانجلز . المؤلفات . المجلد ٢٢ ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥) . وبعد أن اكتشف ماركس أن العامل يبيع للرأسمالي ليس عمله ، بل قوة عمله ، أخذ الاثنان يستخدمان مفاهيم « قيمة قوة العمل » ، « ثمن قوة العمل » ، « بيع قوة العمل » ــ المحرر .

(٢) على أساس مناقشة مشروع البرنامج بين أعضاء العصبة وضع انجلز عند اعادة صياغته في تشرين الأول ــ تشرين الثاني (أكتوبر ــ نوفمبر) ١٨٤٧ صيغة أكثر دقة ووضوحاً لهذه القضية .

سؤال . « هل يمكن القضاء على الملكية الخاصة بالطرق السلمية ؟

ــ يمكن أن نأمل بأن يكون الأمر كذلك ، والشيوعيون بالطبع هم آخر من يعارض ذلك . الشيوعيون يعرفون جيداً أن أية مؤامرات ليست عديمة النفع فحسب ، بل وحتى ضارة (المصدر نفسه ، المجلد الرابع ، ص ٣٣١) ــ المحرر .

(٣) عصبة الشيوعيين . مجموعة وثائق ، موسكو ، ١٩٧٧ . ص ١٦٦ ــ ١٧٠ .

(٤) عصبة الشيوعيين . مجموعة وثائق ، ص ١٨٦ .

(٥) عصبة الشيوعيين . مجموعة وثائق ، ص ١٨٨ ــ ١٩٣ .

الفيديو كوسيلة نضالية

فيتور نيتو *

يعرف الجميع في البرتغال اليوم ، ان الحزب الشيوعي البرتغالي يصدر اشرطة الفيديو الخاصة به وقد كتبت حول ذلك غير مرة الصحافة البرجوازية ، واشارت الى ذلك الشركة التي اشترى الحزب منها الاجهزة الحديثة لغاية تجارية بالطبع . وقبل أن أتحدث عن عملنا في مجال الفيديو ، اعتقد أنه يتوجب توضيح لماذا شعرنا بالاهمية الحيوية لذلك .

تقع وسائل الاعلام العامة القوية ـــ التلفزيون والراديو والصحف الكبرى في ايدي الحكومة والقوى اليمينية والرجعية ، التي تقوم يومياً بعملية «غسل أدمغة» الشعب ، وتعمل على استمالة الرأي العام لمصلحتها السياسية . فالتلفزيون الحكومي ، الذي يعتبر من حيث المبدأ ملكية عامة ، تسيطر عليه عملياً القوى اليمينية التي تتحكم فيه وتستخدمه للاهداف المعادية للشيوعية ، ولمختلف اشكال التمييز ضد حزبنا .

ضمن هذه الظروف يبرز امام الحزب الشيوعي البرتغالي الذي يعمل ليس فقط للدفاع عن قضية ثورة نيسان (ابريل) ١٩٧٤ بل ودفعها للامام ، سؤال هام جداً ،

* مرشح لعضوية اللجنة المركزية منذ عام ١٩٧٩ . مسؤول دائرة الدعاية في قسم الاعلام والدعاية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي البرتغالي .

كيف يمكن للحزب أن يوصل الى الجماهير افكاره ومواقفه واقتراحاته ؟ نحن واثقون من صحة النهج السياسي للحزب . غير أن ثقتنا وحدها ليست كافية ، بل يجب غرسها في الجماهير .

وأود أن أوضح كيف يفهم الحزب الشيوعي البرتغالي العمل الدعائي . نعتقد أن الوسيلة الاساسية لهذا العمل هو النشاط السياسي . من المستحيل حل قضايا الدعاية الثورية عن طريق الوسائل التقنية فقط مهما كانت متطورة . واذ نقيم عالياً الاهمية التقنية والقدرة على استخدامها بنشاط ، الا أنه يجب أن تبقى مسألة واقعية . فليس بامكان الحزب الشيوعي البرتغالي اليوم أن يدخل في مباراة مع البرجوازية في مجال الأعلام العام . لذلك يظل العمل السياسي اليومي للشيوعيين هو الشكل الاساسي لدعايتنا . واذا كان اعضاء الحزب ومنظماته سلبيين ، فلا يمكن لاية دعاية ، بغض النظر عن الوسائل المستخدمة ان تخدم القضية .

ان العمل الدعائي للحزب الشيوعي البرتغالي متعدد المواضيع ، فهو يقوم باصدار الملصقات والكراريس والمطبوعات ، وينظم بشكل دوري ايام عمل دعائية وطنية عامة ، حيث يشارك فيها عملياً الحزب بكامله . وتشجع اللجنة المركزية المنظمات الحزبية المحلية على انتاج وسائلها الدعائية الخاصة ، لان ما يجري اصداره في لشبونة ، لا يمكن أن يلبي جميع المتطلبات . وتواجه سكان المناطق المختلفة ، في بعض الاحيان ، قضايا مختلفة ، ولنشاط المنظمات الحزبية المحلية خصوصية ليست بالقليلة ، كما يتنوع المستوى الثقافي ومستوى المعارف العامة للناس . لذلك نعتقد انه من الهام جداً ، أن تضع المنظمات مهامها وظروف نضالها المحددة في الاعتبار في اثناء قيامها بعملها الدعائي . ويرى الحزب الشيوعي البرتغالي انه يجب استخدام جميع وسائل الدعاية . اذ لم تتقادم اية وسيلة ، وما زالت كل واحدة منها تحتفظ بأهميتها . «والسر» كله يتلخص في معرفة اين وكيف يمكن استخدامها .

يجب استخدام كل شيء ، السينما والفيديو والسلايدات والصحف والمعارض والكراسات والصور على جدران المنازل وغيرها . ان هذا الموقف المتكامل هو جوهر فهم الحزب لاعمال الدعاية . وأنا أؤكد ذلك لان المرء يسمع احياناً رأياً يقول بأن الفيديو هو «دواء لجميع الامراض» .

ان التفكير على هذا النحو وهم كبير . فالفيديو وسيلة هامة جداً ، لكن لا يجوز

استخدامه بصورة تلحق الضرر بالوسائل الاخرى بما فيها الاشكال التقليدية من الدعاية ، وينبغي بالطبع ، الا يؤدي الى اضعاف النشاط السياسي للمنظمات الحزبية .

ان الوسائل السمعية البصرية ، بسبب جاذبيتها وسهولة الحصول عليها ، تنتشر بسرعة وتكتسب شعبية ، وتلفت انتباه الناس اليها والشبيبة بشكل خاص . فمن المعلوم ، ان الكثير من الشباب البرتغالي يفضل اليوم التلفزيون والفيديو والراديو على الكتاب والصحيفة . من الممكن طبعاً ، شجب هذا الاتجاه في الحياة العصرية ومحاولة التغلب عليه ، ولكن لا يجوز أبداً عدم اخذه في الاعتبار كواقع .

تعود تجربتنا الاولى في ادخال الفيديو في عملنا الدعائي الى عام ١٩٧٦ ، عندما كان يستخدم فقط جهاز التلفزيون الذي يرسل الصور بالابيض والاسود . وهذا الجهاز المتخلف بالقياس للوضع الحالي ، لم ينطو على امكانات كبيرة ، وتجربة استخدامه كانت متواضعة جداً .

ولكننا اتجهنا في السنوات الاخيرة نحو الفيديو من جديد . والاهتمام به لم يكن مرتبطاً فقط بمزاياه الواضحة من وجهة نظر الدعاية ، بل وايضاً بالمتطلبات الملموسة في تحضير برامجنا للتلفزيون . فالحزب الشيوعي البرتغالي ، كبقية الاحزاب السياسية ، يملك الحق ، وفق الدستور ، بالاذاعة والبث التلفزيوني . والفترة المسموح لنا بها بالتلفزيون ليس طويلة ، حوالي ٦٠ دقيقة بث تلفزيوني في العام . ونقوم بجهودنا الخاصة بتحضير البرامج (وهي عادة ٥ـــ٦ برامج بمعدل عشر دقائق لكل منها) . ان القيام بذلك ليس سهلاً أبداً ، لانه يتوجب قول الكثير في بث قصير ، وايصال الحقيقة للرأي العام حول الخط السياسي للحزب الشيوعي البرتغالي ، وتوضيح مواقفنا حول المسائل الهامة .

لدى تحضير البرامج التلفزيونية استخدمنا بعض الوقت الاشرطة السينمائية ، ومن ثم انتقلنا الى اشرطة الفيديو ، لان الانتاج السينمائي بالنسبة لنا صعب جداً اليوم . فمن الضروري توفير اماكن خاصة وكوادر اختصاصية ماهرة ، واجهزة مختلفة وارشيف سينمائي . وهذا كله لا يعود بمردود مالي ، لان هدفنا ليس تجارياً .

ظهرت مصاعب شبيهة بذلك في مجال انتاج الافلام ، نكن فيما يتعلق بعرضها ، نحن نستمر في اعطاء السينما اهتماماً فائقاً جداً . ولدى الحزب الشيوعي البرتغالي اليوم رصيده من الافلام ، نحاول اغناءه بافلام جديدة . يعني أن الحزب لم يستغن عن استخدام السينما في عمله مع الجماهير . لان للسينما مزاياها الخاصة . فهي تشكل في

عدد من مناطق البلاد ، الزراعية بشكل خاص ، قوة جذب اكبر من الفيديو المخصص على الارجح للجمهور في المدن ، المعد بشكل أفضل من الناحية التقنية .

لنعد الى الفيديو ، حيث ظهرت في بداية عام ١٩٨٦ فكرة تحضير برنامج يحمل اسم «كونترابونتو» (هنا بمعنى «المواجهة» ـــ المحرر) . الحديث يدور حول انتاج اشرطة فيديو تتضمن الاخبار السياسية . وهدف البرنامج ، هو التحدث عن الاوضاع في البلاد ، والتطرق الى المسائل الحيوية في الحياة الداخلية والدولية ، وتوضيح موقف الحزب الشيوعي البرتغالي منها في غضون ذلك . ويواجه الاعلام الصادق الافتراءات المغرضة للدعاية البرجوازية ، ويذيع اخبار الثقافة والرياضة . ويعار في البرنامج اهتمام كبير للصراع الطبقي ، من بين المسائل التي تتعمد وسائل الاعلام العامة التي يشرف عليها اليمين السكوت عنها . ويسمح برنامج «كونترا بونتو» للكثير من الرفاق المحرومين من الامكانات الاخرى ، الاطلاع على أهم النضالات الاجتماعية في مختلف مناطق البلاد .

اول انتاج من اشرطة الفيديو مع «الكونترا بونتو» ظهر في نيسان (ابريل) من العام الماضي . وظهر التالي بعد شهر تقريباً . نقوم بتسجيل بعض المواضيع من التلفزيون ، والبقية نصورها نحن بشكل اساسي مع نص خاص بصوت المذيع ، ثم تجري عملية المونتاج . ومتوسط مدة البرنامج ٤٠ دقيقة ، ونفكر الان بتقليصه . فقد اكدت التجربة ان المشاهدين لا ينجذبون الى الاحاديث الطويلة والى الشريط السياسي العريض المعروض على الشاشة ـــ وان المواضيع الملحة التي تقدم بشكل مختصر وحي هي التي تثير الاهتمام .

لدى جميع المنظمات الحزبية ، عملياً ، اجهزة فيديو . وكل شريط من الـ«كونترابونتو» يتم اصداره بـ٦٠ــ٧٠ نسخة . وفي الواقع أن عدد اشرطة البرنامج أكثر بكثير من ذلك ، لانه غالباً ما يتم نسخه في المناطق . ولهذا السبب يستحيل حصر عدد نسخ اشرطة الفيديو . وللمنظمات الحزبية حق اعادة الاشرطة التي جرت الاستفادة منها لتسجيل برامج جديدة عليها . وفي هذه الحالة يدفع «الزبائن» قيمة التسجيل فقط .

في الأشرطة ذات الثلاث ساعات ، يتم تسجيل برنامج اخباري لمدة ٤٠ دقيقة . اما بقية الشريط فتخصص لتسجيل فيلم ما أو عرض موسيقي . ونستمر في البحث عن اشكال جديدة للاخراج . ففي العام الماضي احتوى البرنامج الصيفي من «كونترا بونتو» على عدد أقل من المواضيع السياسية ، ولكنه تضمن العديد من اغاني المطربين البرتغاليين

المشهورين في الاعياد التقليدية لمختلف المنظمات القطرية للحزب الشيوعي البرتغالي .

من ضمن خططنا لاستخدام الفيديو ، مثلاً ، تسجيل افلام روائية برتغالية واجنبية . ومن انتاج البلدان الاشتراكية بشكل خاص . ويمكن أن تكون الاشرطة ناطقة باللغة البرتغالية (بالدبلجة) أو ان تكتب الترجمة على الشريط . ولكن هذا الاتجاه في العمل ليس كثيفاً حتى الان . ونعتقد انه من الضروري تعزيز مكتبة الفيديو في غضون فترة قصيرة باشرطة تحوي الافلام الروائية الطويلة والافلام ذات المحتوى العلمي وافلام التسلية والافلام التاريخية والرياضية والرسوم المتحركة ، بهدف تلبية مختلف الأذواق .

ومن الخطط الاخرى التي نسعى الى تحقيقها ، اشير الى استخدام امكانية الفيديو في التعليم السياسي والتحضير الايديولوجي للكوادر . فمن الممكن تكوين مدارس تلفزيونية خاصة بالمناطق ، بحيث تصبح برامج ا لفيديو الحلقة الاساسية في التدريس . ولهذا الاسلوب مزيته ، حيث أن الرفاق سيتمكنون من الدراسة في اماكن اقامتهم ، عوضاً عن الالتحاق بالدراسة المركزية التي ينظمها الحزب الشيوعي البرتغالي .

لقد اشترينا اجهزة الفيديو للحزب منذ اقل من عامين . وفي هذه الفترة ، حققنا ، على الاغلب ، ما يزيد عشر مرات على ما احتوته خططنا الاولية . واشير مرة أخرى الى أن تقنية الفيديو تفتح آفاقاً واسعة ، غير أنها تتطلب تعاملاً مهنياً وتنظيماً مناسباً لكل الانتاج . وبالتالي يبرز سؤال حول الاختصاصيين .

ان المسؤول عن برنامج الـ«كونترا بونتو» هو قسم الاعلام والدعاية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي البرتغالي والذي يحدد خطط المواضيع التي ستنتج . أما تنفيذ هذه الخطط فتقوم به مجموعة من الفنيين والصحفيين الشيوعيين . ان الكوادر المؤهلة الدائمة قليلة لدينا . والحديث يدور بشكل اساسي حول الشباب الذين اكتسبوا عندنا بعض الخبرات المهنية وتراكمت لديهم معارف هامة . ثم هناك — وهذه ثروة كبيرة — العديد من المساعدين المهرة المتطوعين ، ومن بينهم اختصاصيرن بالفيديو ، ومخرجون ومصورون ، واختصاصيون بالانارة والصوت . وليس الجميع اعضاء في الحزب الشيوعي البرتغالي لكن كل واحد منهم يكرس ، عن طيب خاطر ، وقت فراغه للعمل في الفيديو . فمثلاً في العيد الاخير لصحيفة «افانتي» (ايلول /سبتمبر ١٩٨٦) عملت في وقت واحد عدة مجموعات من المصورين ، كانت تحت تصرفها اربع كاميرات تصوير فيديو . وفي الحالات الاستثنائية ، عندما تصل الحياة السياسية في البلاد الى درجة اعلى

من الغليان ، مثلا في فترة المعارك الانتخابية ، نعمل لتلبية حاجاتنا على توقيع عقود مؤقتة مع الاختصاصيين في مختلف مجالات الفيديو ، لان الحزب كله ، ان جاز التعبير ، يكون منهمكاً في النضال السياسي .

ان من احد اهتماماتنا تحضير كوادر خاصة لنا من بين الشيوعيين الشباب الذين يبدون اهتماماً بهذا العمل ، ولديهم نزعة ابداعية وقدرة على استيعاب الافكار الحديثة .

وواضح منذ الآن ، انه يتوجب في المستقبل ايضاً توسيع عمل الفيديو . اذ تتعاظم سيل الطلبات من المنظمات ويرغب العديد منها في تحضير برامج خاصة . وهذا مفهوم ، اذ تجري في مختلف انحاء البلاد نشاطات حزبية ، بحيث لا نتمكن من متابعتها في كل مكان .

ان عمل الفيديو ، وبشكل خاص برامج «كونترا بونتو» تجربة جديدة تماماً . وهي لم تستقر بعد تماماً . لذلك نستمر في البحث عن أفضل اشكال العمل للتعاون مع المنظمات . وعلى اية حال يمكن تلخيص النتائج الاولية .

ففي المنظمات الحزبية التي تستخدم باهتمام ونشاط هذا الشكل من الدعاية تم تحقيق نتائج هامة جداً . هكذا ، يمكن القول ، بأن مشاهدة برامجنا التي ننظمها مع هبوط الظلام في الشوارع مباشرة ، تجربة ايجابية كبيرة . ونحن نستغلها لتوزيع مطبوعاتنا الدعائية . في بعض المؤسسات الاجتماعية التي يتعاطف اصحابها مع الشيوعيين نعرض ايضاً «كونترا بونتو» . انا لا أتحدث عن المراكز العمالية للحزب الشيوعي البرتغالي ، حيث تعرض في ساعة الغذاء أو العشاء ، قبل الاجتماعات في غالب الاحيان نشرة الأخبار الدورية . وغالباً ما تتحول مشاهدة البرامج الى مقدمة لنقاش من نوع خاص .

ولكن هناك جانب آخر ايضاً سلبي للتجربة . اذ تشكل ، بعض الصعوبات الموضوعية ، والنقص في المبادرة ايضاً ، وقلة الكوادر والروتين في العمل احياناً ، عائقاً أمام استخدام الفيديو بالفاعلية المطلوبة . ان استخدام هذه الوسيلة الدعائية يتطلب تعبئة معينة للناس ، وتعزيز جهود المنظمات الحزبية . واذا لم يتم ضبط المسألة وتحديد المسؤول عنها ، واعلام الناس مسبقاً بالعرض ، ولم يكن الجهاز معداً ، فمن الممكن أن يتحول شريط الفيديو الى شيء غير مفيد مركون في رفوف المكتبات ، مغطى بالغبار كالملصقات والصحف .

باختصار ، لا يمكن تحقيق اي شيء دون عمل . وليس هناك سلاح دعائي مطلق . ويبقى الدور الحاسم في كل حالة للعامل الانساني وللمنظمات وللجهود السياسية في العمل مع الجماهير . وهذه الجهود تعطي ثماراً وفيرة . وتدل تجربتنا على الافاق الواسعة لاستخدام الفيديو كوسيلة حديثة للصلة مع الجماهير في النضال السياسي والايديولوجي .



لبنان

اغتيال كرامي محاولة اخرى لاغتيال الحل

بعد مرور شهر على جريمة اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية رشيد كرامي يبدو ان المنفذين والمستفيدين منها نجحوا في لفلفة جريمة واضحة المعالم لتقيد ضد مجهول وتضاف الى سابقاتها إبتداءً من إغتيال المناضل الوطني معروف سعد ومجزرة عين الرمانة حتى اغتيال شيخ المثقفين حسين مروة ورفيقه مهدي عامل ، والى مقتل آخر مواطن يسقط برصاص الحرب الأهلية . واذا كانت جريمة بحجم اغتيال كرامي لم تستدع حتى مجرد إجراء تأديبي بحق المقصرين والمهملين بدعوى عدم الاساءة لهيبة الجيش ، فأن إعلان الرئيس اللبناني أمين الجميل عن تخصيص جائزة بعشرة ملايين ليرة لمن يقدم معلومات من شأنها كشف الضالعين في جريمة الاغتيال ليس إعترافاً بالعجز إنما اشارة واضحة إلى أن المطلوب هو تجاوز موضوع إغتيال كرامي في أية محاولة لأعادة ترتيب الأوضاع ، فضلاً عن إن الجميل أعاد بذلك توكيد موقفه وموقعه ضمن التحالف الانعزالي ، بالرغم من بعض الخطوات التكتيكية ، داخلياً واقليمياً ودولياً ، تمليها استحقاقات العام القادم ، عام الانتخابات الرئاسية .

ومع المحاولات الحثيثة لتمييع جريمة الاغتيال ، وطمس معالمها ، واحتواء آثارها بما يخدم الجهات المخططة والمنفذة لها ، فان غايات الجريمة وآثارها ، بالاضافة الى حيثياتها الفنية تشير الى مرتكبي الجريمة ، قراراً وتنفيذاً . وغايات الجريمة لا تنحصر بتغييب شخص كرامي ، إنما في مراكمة التفاعلات التي تمنع قيام أي « حل » للحرب الأهلية . ولا شك في أن الامبريالية الامريكية التي اعلنت أن لبنان جزءاً من « مصالحها الحيوية » والاستراتيجية ، وسبق لها أن عملت بالاستفادة من معطيات الواقع اللبناني من

إضطهاد طائفي واستغلال طبقي على تفجير الاوضاع عبر أدواتها وعملائها ، على أمل تصدير الأزمة اللبنانية الى المنطقة بمجملها تمهيداً لاحكام هيمنتها وسيطرتها عليها ، هي المستفيد الاساسي من جريمة الاغتيال ومضاعفاتها ، خاصة وان الجريمة قد اقترنت بنشاطات وتصريحات أمريكية تؤكد العمل على الاستمرار في انقسام لبنان وتقسيمه من أجل خلق الظروف المؤاتية لعزله عن محيطه العربي . وإعادة إرتهانه باتفاقية جديدة مع اسرائيل ، تكرس لبنان قاعدةَ للتحركات الامريكية العدوانية ضد حركة التحرر الوطني العربية . وضمن هذا الأطار يندرج الدور الاسرائيلي الاكثر تحرراً من القيود السياسية والدبلوماسية في التعاطي مع الوضع اللبناني ، والاداة التي تعبر عن نفسها بكل وضوح تتمثل في « القوات اللبنانية » ووعائها السياسي « الجبهة اللبنانية » ، بعيداً عن أية أوهام تحاول أن تصطنع تمايزاً للدور او الموقف الامريكي ، او لهذا الطرف أو ذاك من أطراف التحالف الكتائبي .

إن اغتيال كرامي حلقة في المخطط الامريكي ـــ الاسرائيلي لتحقيق الأهداف المنوه عنها ، حاول طرفا المخطط و أداتهما المحلية « القوات اللبنانية » إستغلال حالة الأرباك التي أصابت الساحة الوطنية ، واستكمالها بالحلقات الأخرى من خلال طروحات ومواقف تفرض الأمر الواقع على الصعيد السياسي ، عبر تهديدات متصاعدة بأجتياح إسرائيلي جديد ، أوحت اسرائيل « براءتيه » من خلال تصعيدها لعملياتها العدوانية في جنوب لبنان ، أو بالتهديد بتسخين خطوط التماس في بيروت . واذا كان بعض هذه الطروحات يشكل جزءاً أساسياً من عقيدة « القوات اللبنانية » المعلنة ، كالحديث عن « تحرير » لبنان من « الاحتلال السوري » ، فأن إطلاق سمير جعجع دعوته بتشكيل حكومة « استقلال » تتبناها « الجبهة اللبنانية » ، تشكل طوراً خطيراً في المخطط التقسيمي ، بعد ان كانت القوى الانعزالية « تحرص » على الاستمرار الشكلي للمؤسسات الدستورية ، بصرف النظر عن مرامي هذه الدعوة وما اذا أريد منها أن تأخذ طريقها الى التنفيذ أو كانت لابتزاز القوى الوطنية اللبنانية من أجل خلق المناخ الملائم « لانتخاب » قائد القوات سمير جعجع رئيساً للبنان عام ١٩٨٨ ، أو على الأقل التجديد لأمين الجميل كرمز للهيمنة الانعزالية . ومن الملاحظ هنا أن سمير جعجع وعمقه السياسي والعسكري والتنظيمي التزم جانب الهجوم منذ اغتيال كرامي بالرغم من ان اصابع الاتهام المؤكد تشير اليه ، وفي هذا يستمد جعجع قوته من ارتباطاته الامريكية ـــ

الاسرائيلية في جانب ، ومن تخبط الساحة الوطنية وانقسامها وضعفها في الجانب الآخر .

لقد مارست الساحة الوطنية سياسة ضبط النفس بعد إغتيال كرامي ، وتجنيب ردود الفعل العجلى ، وفوتت الفرصة على محاولات جرها الى اغراق لبنان بالدم ، إلا أن هذا لا يمنع أن الحركة الوطنية تعاملت مع الحدث وأبعاده الخطيرة بارتباك واضح ناجم عن حالة الانقسام التي تسود الساحة الوطنية والتي تفاقمت بعد احداث شباط الماضي ، وغياب الثقة بين أطرافها ، جراء استمرار محاولات فرض السيطرة الفئوية ، وما نجم عنها من تشرذم او تفكك ، تحولت معه الساحة الوطنية الى مناطق ــ طوائف مغلقة ، تجمعها إتفاقيات فوقية ، وتفرقها ممارسات الميليشيات التي ترهق المواطن المثقل بهم التدهور الاقتصادي ، فضلاً عن تكريس الانعزال المذهبي الذي يتفاقم بشكل يصعب معه الحديث عن إعادة اللحمة للصف الوطني بشكل فاعل لا شكلي ، يضاف الى هذا الاختراق الحاصل للساحة الوطنية في جانبه المادي والذي عبر عنه الكشف عن مدبري حوادث التفجيرات الأخيرة في بيروت الغربية ، أو في جانبه المعنوي حيث يعاد إنتاج تصرفات وممارسات القوى الانعزالية بأداة « وطنية » . إن الاغتيال وارهاب المواطنين ، والاحتكام للسلاح في حل الخلافات ، واحلال صراع الرصاص محل تفاعل الأفكار اسلوب تميزت به القوى الانعزالية قبيل واثناء الحرب الاهلية ، وقبل ذلك في كل المنعطفات التي يصعب معها حصر أزمة النظام في حدودها ، ولا شك إن تمثل هذه الأساليب في الساحة الوطنية يمثل إختراقاً خطيراً لها يبرر إرتباكها في مواجهة المخططات التقسيمية ، وليس من مبالغة في القول بأن تكريس انغلاق المناطق ــ الطوائف بوجه التفاعل الوطني ، وافتعال الاقتتال ، واللجوء الى حملات القمع والاغتيال المنظمة ضد الشيوعيين والديمقراطيين هيأت المناخ الملائم لتنفيذ جريمة اغتيال كرامي .

وإذا كانت هذه الجريمة تمثل تطور خطيراً في السياق التقسيمي ، فلا شك أن جبهة وطنية فاعلة بمقدروها محاصرة نتائجها وردع الطرف الآخر عن المضي في مخططاته ، إنما لابد من التأكيد بأن جبهة تستهدف تحرير لبنان وتوحيده وتأكيد إنتمائه العربي وأعادة الحياة الديمقراطية فيه ، تقتضي تجاوز الاشكالات التي قادت الجبهات السابقة الى طريق مسدود . من الضروري طرح الخلافات الوطنية جانباً ، لكن ليس بتجميدها ، وإنما بمعالجة جادة لجذورها وأسبابها وفي طليعتها سيادة الاصطفاف الطائفي على حساب الوطني ، وعقلية الهيمنة الطائفية ــ المناطقية ، وإزاء الخطر المحدق فأن مهام جبهة وطنية

كهذه لا تنحصر في ممارسة الضغط من أجل متابعة التحقيقات بجريمة إغتيال كرامي وكشف الفاعلين ومن وراءهم وإلا فأن تحالف الاقطاب ودعمه بتجميع القوى الوطنية يكفي لانجاز هذه المهمة ، إن مواجهة المخاطر تقتضي مواجهة مصادرها واسقاط الأوهام عن دور «ايجابي» امريكي أو «تمايز» في صفوف «الجبهة اللبنانية» ومواجهة اسرائيل بتصعيد المقاومة اللبنانية وفك الحصار عن العمل الوطني في مناطق الجنوب المحررة ، وتلاحم المناطق الوطنية بتجاوز الحدود الطائفية ، والعمل على إنجاز مشروع عمل وطني يضمن تطوير الساحة الوطنية ويرفع من مقدرتها على مواجهة المخططات التقسيمية .

مصر

الاغتيالات السياسية .. حالات طارئة أم مقدمة لظاهرة عامة ؟

اهتزت العاصمة المصرية ، خلال شهر مايو/أيار ، والأيام الأولى من شهر يونيو / حزيران الماضيين ، بثلاث محاولات اغتيال ، تعرض لها ، على التوالي ، اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية المصري الأسبق ، ومسؤول الامن الاقليمي في المخابرات المركزية ، ومسؤول امن السفارة الامريكية في القاهرة ، ثم — أخيراً — مكرم محمد احمد رئيس تحرير مجلة « المصور » القاهرية شبة الرسمية .

لقد باتت معروفة الآن ، تفاصيل هذه المحاولات الثلاث ، بيد ان ما يبدو جديراً بالتوقف أمامه — هنا — هو علاقة الاغتيال ، أو العنف عموماً ، الذي يكاد أن يصبح ظاهرة في الحياة السياسية المصرية ، بما يجري من تطورات ووقائع هناك .

عمليات الاغتيال التي تكررت بصورة ملفتة للنظر منذ مقتل انور السادات ، عام ١٩٨١ ليست هي الشكل الوحيد للعنف ، وان كانت هي الشكل الأبرز .. ولعلنا لا نبتعد كثيراً عن الحقيقة ان قلنا ان اسلوب الاغتيالات ، هو — بمعنى ما — احد افرازات مجمل نهج وسياسات السلطة الحاكمة في مصر ، وعلى مختلف الصعد ، إزاء الجماهير الشعبية التي تفتقد ، في ظل ديمقراطية كامب ديفيد المزعومة ، كل حقوقها

الديمقراطية ، من الاضراب والاعتصام ، إلى حرية التعبير عن الرأي والتنظيم ، وتغتني ترسانة القوانين القمعية ، بما هو اكثر من « الأرهاب السلبي » — ان جاز مثل هذا التعبير وهو « ارهاب » يتمثل في قائمة طويلة من الممنوعات والمحظورات .. إلى « الفعل الأرهابي » ، المتمثل ، بالدرجة الأولى والأهم ، في قانون الطوارىء ، الذي يعطى السلطات الحاكمة — على سبيل المثال لا الحصر — « حق » الاعتقال لمجرد الاشتباه ، ويحرم المعتقل من حقه الطبيعي في التظلم ، إلا بعد مرور ستة اشهر على اعتقاله ، ثم تتفاقم المأساة الديمقراطية ، باعطاء الخصم ، وهو السلطة ، صورة الحكم ، بالنص على توجيه التظلم إلى رئيس الجمهورية !!! .

وتتسع دائرة المحظورات والممنوعات ، وتتسع — في الوقت نفسه — دائرة الفعل الأرهابي الذي تمارسه السلطة بحق الجماهير الشعبية المفتقدة لابسط حقوقها الانسانية والديمقراطية ، وتمزج الدائرتان معاً ، لتقدما لنا نموذجاً صارخاً لعنف السلطة ضد الجماهير الشعبية ..

ويتزاوج هذا العنف المنظم والمقنن بقوانين دستورية ، مع ازدياد احتدام الأزمة الأقتصادية الاجتماعية التي تمسك بخناق المجتمع ، تبرز « ظاهرة » الاغتيال السياسي ، كرد فعل على مجمل سياسات السلطة ، وهو رد فعل يبدو طبيعياً في ظل غياب ، أو في احسن الأحوال ضعف ، البديل الثوري القادر على تعبئة وتنظيم الجماهير الشعبية وقيادة نضالها ، وتوجيه طاقاتها وقدراتها إلى الوجهة الصحيحة ، وضمن برنامج ثوري ، قادر على تحويل حالات الغضب الشعبي ، التي تنفجر بين فترة وأخرى ، وبفواصل زمنية قصيرة ، إلى حالة فعل نضالي مستمر ومتواصل ..

هكذا تضعنا ظاهرة العنف في مصر ، وخصوصاً فيما يتعلق بعمليات الأغتيال السياسي ، في مواجهة المفصلين الاكثر أهمية على الساحة المصرية .. وهما : الأزمة الاقتصادية .. وغياب ، أو ضعف القيادة الثورية القادرة والفاعلة .

في تزامن لم تصنعه الصدفة ، بلغت ظاهرة الاغتيال السياسي ، والتي عادت الى الشارع المصري منذ حادثة المنصة في اكتوبر/تشرين اول عام ١٩٨١ ، ذروتها ، بتكرارها ثلاث مرات ، في غضون شهر واحد ، في نفس الوقت الذي كانت السلطة خلاله تنبطح أمام صندوق النقد الدولي انصياعاً لشروطه ، بالبدء في تعويم الجنيه المصري ...

وتخفيض الدعم المخصص للسلع الغذائية والاستهلاكية الأساسية .. وتوقيع الاتفاقية العسكرية مع الولايات المتحدة الامريكية ، والتي تعطى هذه الأخيرة ، « حقوق » اشراك بعض خبرائها العسكريين في تدريب بعض الوحدات العسكرية المصرية ، والحصول على المزيد من « التسهيلات » العسكرية في المياه والأراضي المصرية ، فضلاً عن اجراء المناورات المشتركة ، والمعروفة باسم « النجم الساطع » ، والتي تقرر بصورة نهائية اجراؤها في اغسطس/آب المقبل ، والمرشحة ــ هذه السنة . ــ للاستمرار لمدة ٤٥ يوماً ، وهي فترة قياسية ــ من حيث طولها ــ منذ بدأ مسلسل « النجم الساطع » في مصر عام ١٩٨١ ..

ويمكن وضع هذه الشروط في اطارها الصحيح ، عندما نعلم ان النظام الحاكم ، ومنذ عام ١٩٨٦ ، قد عجز عن سداد فوائد الديون المستحقة عليه ، واقساطها .. وان استجابة النظام ، او انصياعه ، لهذه الشروط ، كانت ثمناً لاعادة جدولة ما عجز عن سداده ، اضافة إلى حصوله على قرض اضافي من الصندوق الدولي بقيمة ٣٢٥ مليون دولار !!.. والسؤال : كيف يمكن للنظام ، عندما تحين الساعة ، أن يشرع في تسديد كل ما يترتب عليه من مستحقات ، قديمها وجديدها ؟!... ويجسد لنا هذا السؤال الابعاد الحقيقية لازمة النظام الاقتصادية .

بيد ان ما يسترعي الانتباه ــ هنا ــ هو ان عجز النظام هذا ، قد ترافق مع نجاح آخر ، لا يمكن تجاوزه او تجاهله ، حققه النظام ذاته ، متمثلاً في قدرته على اعادة ترتيب وتوسيع صفوف التحالف الطبقي الحاكم ، وهو النجاح الذي عكسته ،بوضوح شديد ، نتائج الانتخابات الأخيرة لمجلس الشعب ، والتي ادخلت القطاع الأقوى نفوذاً ، والأشد تأثيراً ، من الناحية الاقتصادية خصوصاً ، من الجماعات الاسلامية ، الى داخل دائرة التحالف الطبقي الحاكم !.. ويترافق مع هذا ، انغماس بعض قيادات المعارضة العلنية في محاربة مظاهر واشكال الأزمة ، مثل انتشار الفسادوتردي القيم ، وتفشي الرشوة والمحسوبية .. الخ ، دون التصدي للأزمة ذاتها .. او محاولة صرف الأنظار إلى عدو غير واضح المعالم او محدود الابعاد اسمه « الطفيلية » ... الأمر الذي ترتبت عليه سيادة برامج اصلاح وترقيع سياسات الحزب الحاكم ، على حساب البرامج الثورية التي تقدم نفسها ، بما تطرحه من حلول آنية واستراتيجية ، لمشاكل الجماهير ، وأزمة الوطن ، بديلاً لسياسات الحزب الحاكم وسلطته .

هكذا تضافرت كل هذه العوامل والاعتبارات ، لتهيئة الاجواء ، وتوفير المناخات الانسب ، لبروز وظهور عمليات الأغتيال تلك والتي حتى ولو كانت تعبر ، فعلاً ، عن مشاعر الشعب المصري ، ضد ثالوث كامب ديفيد (النظام الحاكم ، امريكا ، اسرائيل) ، إلا أنها ، مع ذلك ، لن تعدو كونها عمليات مغامرة ، تقفز فوق التطور الطبيعي للنضال الوطني ـــ الاجتماعي ، الذي تخوضه الحركة الجماهيرية ، فهي اما عمليات تتم بمعزل عن الحركة الجماهيرية ، مثل تلك التي نسبتها لنفسها منظمة «ثورة مصر» ، أو انها تنحصر في دائرة شديدة الضيق من الانتقام والاخذ بالثأر ، مثل محاولتي اغتيال حسن ابو باشا ومكرم محمد احمد ، اللتين تشير معظم القرائن إلى ضلوع الجماعات الاسلامية ، وخاصة تنظيم « الجهاد » المعارض للنظام ، في التخطيط لهما وتنفيذهما .. واياً كان الأمر ، فان مثل هذه العمليات تقدم الذريعة المناسبة للسلطة ، لممارسة المزيد من القمع والارهاب والتنكيل ، ضد القوى الوطنية والتقدمية والديمقراطية .

وهنا لا يبدو مجدياً كثيراً ، السقوط في دوامة شجب واستنكار مثل هذه العمليات ، على اعتبار ان الاغتيال السياسي لا يحل المشكلة ، بل قد يزيدها تعقيداً ، ذلك ان هذه الظاهرة ، ليست ـــ في الواقع ـــ سوى احد افرازات الأزمة الحادة التي يعاني منها النظام ، وتلك هي النقطة الاساسية التي يتعين الارتكاز عليها في تعبئة وتنظيم الجماهير وقيادة نضالها اليومي ضد هذا النظام العاجز ، بفعل أزمته الحادة ، عن حل أي من المشاكل التي تعاني منها الجماهير ، ويعاني منها الوطن ..

وبالعودة الى برنامج الحزب الشيوعي المصري وأدبياته ووثائقه ، والحديث الذي ادلى به الرفيق احمد عضو السكرتارية المركزية والمكتب السياسي للحزب لمجلة النهج (عدد ١٢) ، يتأكد ان حزب الطبقة العاملة المصرية ، هو الاقدر والأجدر على القيام بهذه المهمة النضالية ، عبر سسلسلة من التحالفات التكتيكية والاستراتيجية ، التي تخدم نضال الحركة الجماهيرية ، وتقطع الطريق ـــ فعلاً ـــ على مثل تلك الاعمال المغامرة ، وتصب في خدمة تحقيق هدف اقامة سلطة الجبهة الوطنية الديمقراطية ، على انقاض سلطة كامب ديفيد الحاكمة .

● **اشرف حلمي**




ادب وفن

حول القمع بالجملة

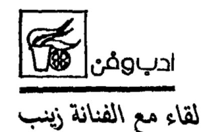
لم يكن قرار الحكومة الاردنية باغلاق (رابطة الكتاب الاردنيين) قراراً مفاجئاً ، قدر ما كان قراراً نوعياً في قمع الحريات — ورأسها الاهم الذي هو حرية الرأي والابداع — اذ لم تكتف السلطة بمحاربة المبدعين والمفكرين كل على انفراد ، أو ملاحقتهم ، فرداً فرداً ، بالجرم المحدد — حتى وإن كان ملفقاً ، ولكنها ، هذه المرة ، شاءت الاختصار فأمرت بغلق الرابطة ، والمنفذ شرطتها دون شك ... أمرت بقمع المبدعين والمفكرين بالجملة ، مرة واحدة ، حالمةً بانتهاء الامر كما يحلوها !

حتى هذا القرار النوعي في القمع لم يكن مفاجئاً في الظرف « العربي » الراهن ، انما العجيب الغريب ان التسويغ الرسمي للقرار يرى ، أن رابطة الكتاب الأردنيين لاتضم سوى نفر من الناس ليسوا مبدعين .. فتأملوا اي مسخرة تحدث ؟! ثم متى كانت السلطة هي التي تقرر انتفاء صفة الابداع عن رابطة للأدباء بأكملها ؟! في حين تزخر اجهزة الاعلام الحكومية بكل مامن شأنه ان يخرب أمزجة المواطنين ويشوّه وعيهم ويسلب راحتهم اليومية .

لسنا بحاجة الى القول بأن هذا القرار ، انما هو قرار تعسفي لا ينسجم إلا مع قمع الحريات ، في سبيل فرض اوضاع استثنائية لتمرير مخططات معادية للشعب الاردني وثقافته الوطنية ، خصوصاً ، ولشعوب المنطقة عموماً .. ولسنا بحاجة الى القول بأن هذا القرار لا ينسجم إلا مع القرارات التعسفية التي تتخذ ضد الحريات في كثير من البلاد العربية ، والتي لا تخدم سوى المرامي الامبريالية والصهيونية والرجعية .

بقي ان نطالب الادباء العرب الذين شاركوا في الفعاليات الثقافية الاردنية الرسمية ، و(مهرجان جرش) بالذات .. ان يحجبوا مثل هذه المشاركات ، رداً على قرار اغلاق الرابطة . فهم إن علّلوا مشاركاتهم الماضية بوجود « هامش » الرابطة ، فبم يعللون المشاركات القادمة ، بعد هذا القمع الجماعي ، وهذا الاعتداء السلطوي المقيت على الابداع والمبدعين ؟!

أدب وفـــن



لقاء مع الفنانة زينب

تموز في ذاكرة المسرح

احتفاءً بثورة الرابع عشر من تموز الوطنية ، وتقديراً للدور الذي لعبه مسرحنا العراقي في مسيرة الحركة الوطنية ، توجهت الثقافة الجديدة بالعديد من الاسئلة الى فنانتنا الكبيرة زينب حول تأثير ثورة ١٤ تموز على الحركة الثقافية والمسرحية ، ودور هذه الحركة في تشكيل الوعي الاجتماعي والسياسي لجمهور المشاهدين قبل الثورة وبعدها ، من خلال تجربتها الفنية الغنية التي تمتد الى الخمسينات ، وقد ارتأت فنانتنا أن تجيب عن اسئلتنا بسرد ذكرياتها التي جاءت تلخيصا لمسار اوسع هو مسار الحركة الثقافية في ارتباطها الوثيق بمسار حركتنا الوطنية التي طبعت ثقافتنا بطابعها النضالي الشعبي .

ان في حديث الفنانة زينب اضاءة لهذا الطابع الذي ظلّ علامة مميزة لمسرحنا العراقي في التصاقه الحميم بمشكلات انساننا العراقي وتطلعاته وهمومه في الوطن والمنفى .

ابرز ماتميّز به مسرحنا العراقي منذ تأسيسه هو ارتباطه بوشائج قوية بالحركة الوطنية العراقية بصورة تتفاعل صعودا وهبوطا مع تحقق الديمقراطية أو أنعدامها ، ففي سيادة

الديمقراطية يتنفس الفنان حياة حقيقية نشيطة ومبدعة ، وليس من الغريب أذن ان لايجد الفن طريقا الى الصعود قبل ثورة الرابع عشر من تموز حيث يسود جوّ من الارهاب والقمع وتصيّد الكلمة من أفواه المثقفين ، وسرت عدوى ذلك الى الجماهير لتتسامى الى تصيّد الكلمة الواعية الواعدة من خلال جملة حوارية من بين شفاه الممثلين حيث يحمل النص معاني وأفكار تدور بالاساس في ذهن المشاهدين ، كما حدث عند عرض فيلم (سعيد افندي) الذي أعدّه يوسف العاني عن قصة (شجار) للقاص العراقي ادمون صبري ، فقد أخذ الناس يرددون جملا وكلمات لم تكن موجودة اصلا في الفيلم ، لأن بعض الرموز في الحوار أوحت اليهم بتلك المعاني فتناقلوها من واحدٍ الى آخر ، فحظي الفيلم باقبال جماهيري لم تشهد له السينما العراقية مثيلا الا عندما عرض فيلم (الحارس) فيما بعد في الستينات، وكان الكثير من المشاهدين يسألونني هل حقا حذف الرقيب الجملة الفلانية من المشهد الفلاني وكان هذا يدعوني الى الضحك لأن تلك الجملة او الكلمة لم تكن موجودة اساسا في الحوار .

وهذا يدل على تعطش الناس في تلك الايام الى مايعبر عن همومها وأوجاعها وشوقها الى سماع مثل تلك الكلمات ، فتعمد الى استيحاء المعنى وتنتبه الى الرمز ، وكل ذلك بسبب فقدان الديمقراطية ، فالديمقراطية إذن في كل وقت هي المتنفس الارحب للناس وللفنان خاصة .

ولم يقف الفنانون مكتوفي الايدي في مواجهة اسلوب محاربة الابداع من قبل السلطة بل عمدوا الى الجمعيات والاندية العائلية والرياضية ونوادي النقابات ليتخذوا منها مكانا يمارسون فيه ابداعهم ، وهذا ماحصل عام ١٩٥٢ حين قدّمت فرقة المسرح الحديث مسرحية (فلوس الدوة) في نادي نقابة عمال السكك في الشالجية ... ومضمون المسرحية مفهوم من عنوانها حيث تكشف عن العوز والفاقة اللتين تتعرض لهما جماهير الكادحين في العراق .

وكانت السلطة قد قررت منع عرض هذه المسرحية على مسرح قاعة الشعب ، فتمّ الاتفاق بين الفرقة ونقابة السكك لتقديم العرض في النادي ، ولمّا علمت السلطة بذلك عمدت الى قطع التيار الكهربائي عن النادي وارسلت مفرزة من الشرطة لاعتقال الممثلين ، فما كان من عمال السكك الا ان شمروا عن سواعدهم لاحضار الفوانيس والشموع كي يتم عرض المسرحية ، كما قام آخرون منهم بصنع سياج طوقوا به النادي لمنع

قوات الشرطة من الدخول الى القاعة ، وبعد الانتهاء من العرض أخرجوا الممثلين من باب جانبي وصحبوا كل واحد منهم بسياراتهم الى داره .

وهذا التعاطف الكبير بين العمال والمسرحيين انما يدل على عظم الوعي الثوري في صفوف الطبقة العاملة العراقية . وجوهر العلاقات في المجتمع العراقي ، وقد افرز هذا الوعي الثوري عددا من المثقفين من مختلف مجالات المعرفة ، وأولهم المسرحيون الذين أمنوا ان المسرح مدرسة للشعب ، فجعلوا منه وسيلة تثقيف جماهيرية كبيرة ، وحاولوا في سبيل توصيل أفكارهم استخدام الرمز والايحاء ، بدلالات يفهمها الجمهور دون ان تعرضهم الى طائلة العقاب .

وقد كان لفرقة المسرح الحديث دورها البارز في هذا المجال ، إذ ضمت بين احضانها فنانين معروفين مثل يوسف العاني ، سامي عبد الحميد ، ابراهيم جلال ، خليل شوقي ، ناهدة الرماح ، ازادوهي صاموئيل ، محمد القيسي ، زينب ، نظيمة وهبي المحامية ، فوزية القطان الطبيبة ، واستمرت هذه الفرقة تتناول في اعمالها حياة الناس البسطاء ... همومهم .. متاعبهم ... افراحهم ... مسراتهم ... وقد خلقت بهذا مسرحا شعبيا محبوبا من خلال المسرحيات والحكايات الشعبية مثل : (فلوس الدوة) ، (حرمل وحبة سودة) ، (ست دراهم) ، (رأس الشليلة) ، فحظيت من جراء ذلك بتواصل الشعب معها واقباله على عروضها .

واحاط بالمسرحيين جمهور المثقفين والكتاب والرسامين والنحاتين والشعراء والصحفيين والنقاد وكتاب القصة ومنهم : عبد الملك نوري ، بلند الحيدري ، جواد سليم ، نوري الراوي ، فؤاد التكرلي ، عبد الوهاب البياتي ، بدر شاكر السياب ، سعدي يوسف ، ادمون صبري ، قتيبة الشيخ نوري ، غائب طعمة فرمان ، الفريد سمعان ، حسين مردان ، كمال وفائق بطي ، لطفي بكر صدقي ، خالد الرحال .. الخ من جمهرة المبدعين في الحركة الثقافية العراقية .

وتوطدت صلة الفنانين المسرحيين بالاحزاب السياسية العراقية : الحزب الشيوعي العراقي ، حزب الاحرار ، حزب الاستقلال ، الحزب الوطني الديمقراطي ، وقد فتحت صحافة هذه الاحزاب صدرها لنتاجات الفنانين ، وأوجدت لهم أبوابا خاصة اسبوعية أو يومية .

وفي تلك الفترة ساعدت جريدة البلاد على نشر اغلب القصص القصيرة التي

كتبتها (روى لي الشهيد حسين الهورماني انهم كانون يتداولون قراءة قصتي القصيرة «علج انكَريز» في السجن سرا عند ذهابهم الى الحمّام وقد نشرت في جريدة البلاد) .

كما صدرت مجلة فنون التي اخذت على عاتقها نشر كل مايهم الانسان التقدمي من نظرة تقدمية في الفن والابداع ، وكان من بين محرريها صادق الصائغ وكامران حسني مخرج فيلم سعيد افندي .

وكان للحزب الشيوعي العراقي دوره المؤثر في تحفيز الفنانين على الابداع ، وذلك من خلال المظاهرات التي يقودها في شوارع بغداد ، مما كان يذكي حماس الفنانين ليجعلوا من ذلك المدّ الثوري مادة خصبة للابداع والعطاء ، ولعل مسرحية (أني أمك ياشاكر) احسن دليل على ذلك ، فهنا يبرز التأثير المتبادل بين السياسة والفن ، فكما ان السياسة لعبت دورها في تثقيف الفنان وتوعيته ، كذلك لعب الفنانون دورهم في نشر الافكار التقدمية والسياسية وتثقيف الناس بها ، من خلال العروض المسرحية واللوحات الفنية والاغاني ذات الدلالة السياسية كأغاني عزيز علي أو مسرحيات جعفر لقلق زاده الانتقادية الكوميدية .

ولم تكن فرقة المسرح الحديث وحدها في الساحة ، فهناك الفرقة الشعبية للتمثيل بقيادة جعفر السعدي وفرقة المسرح الحر بقيادة جاسم العبودي بالاضافة الى الجمعية البغدادية حيث امكن لبعض المسرحيين تقديم عروضهم في صالتها .

ولم ينجُ الفنانون من المطاردة والملاحقة من قبل السلطة الرجعية اسوة بفئات الشعب الاخرى قبل ثورة تموز ، وقد زُجّ بعضهم في المعتقلات والمعسكرات التأديبية كمعسكر السعدية ، غير ان ذلك لم يمنعهم من مواصلة كتابة نتاجاتهم الفنية . ومن بين هذه النتاجات مسرحية (اني امك ياشاكر) التي تناولت دور المرأة العراقية ومساهمتها في المسيرة الثورية للحركة الوطنية ، ففي هذه المسرحية تلعب أم شاكر دور امرأة داعية تمثل في حقيقتها شخصية واقعية حّية هي أم المحامي الشهيد نعمان محمد صالح الذي استشهد في سجن بغداد عام ١٩٥٤ مضربا عن الطعام ، محتجا على اساليب البطش والقسوة التي تمارسها حكومة نوري السعيد تجاه المواطنين ، وضد حلف بغداد السيء الذكر .

وسجل عرض المسرحية نجاحا لامثيل له في تاريخ المسرح العراقي حيث استمر عرضها شهرا كاملا ، فانبرت الصحف تمجدّ عرض هذه المسرحية ذات المحتوى

الوطني .. الذي مثلت فيه دور «أم شاكر» وهي المرة الاولى التي اصعد فيها على خشبة المسرح ، وكتب النقاد صفحات مشرقة عن هذا الدور ... وكان ذلك موضع اعتزازي وفخري ، فأم شاكر ليست غريبة عني بل تعيش في اعماقي ، اشاهدها يوميا في مئات من صور النساء العراقيات اللواتي عذبهن النظام الرجعي بمطاردة ابنائهن واعتقالهم وقتلهم ، كما اني لم أكن بمنجاة من قسوة النظام فقد تعرضت للفصل والملاحقة والحجز . وعمَّق ماتطرحه المسرحية من مأساة في قلوب الناس عرضُها حقيقة استشهاد رفيقين من رفاقنا هما الشهيد عواد الصفار الذي اغتيل في باب المعظم والشهيد المحامي نعمان محمد صالح في اضراب سجن بغداد ، فحبّي لأم شاكر كان نابعا من احساسي بعمق مأساتها .. من هنا جاء تجسيدي لهذا الدور ملفتا للنظر .

ومما يجدر ذكره هنا ان مسرحية (أني أمك ياشاكر) سجلّت لأول مرة ، خلال عرضها لمدة ثلاثين يوما ، تلاحما بين القاعة والخشبة .. الشيء الذي لم أره بعد ذلك خلال مسيرتي الفنية ، فقد تحوّل الجمهور الى ممثل حقيقي داخل القاعة ملتحما بالممثل على الخشبة ، فقد كانت ولولة النساء ونحيب الرجال يعلوان في احيان كثيرا على صوتي .

لقد حرّكت أم شاكر ضمير المتفرج العراقي وحسه الوطني بصورة لم ار لها مثيلا في غيرها من المسرحيات ، ولشدّة تعاطف الجمهور معها فان البعض مايزال يقسم برأس ام شاكر عندما يراني ، أو حين يريد تحيتي قائلا (شلونج أم شاكر) .

وكان هذا يملأني اعتزازا بما قدمته لشعبي ووطني من خلال الخشبة ، فقد كانت ام شاكر تجسيدا لاصالة المرأة العراقية الثورية وعمق تضحيتها .

واجمل الايام تلك التي عشتها مع زملائي عند إجراء البروفات على المسرحية فقد كنا نشبه عائلة متحابة متعاونة .

وعند الحديث عن المسيرة الفنية علينا الا ننسى مالعبه فيلم (سعيد افندي) في إذكاء الحسّ الوطني لدى الجمهور، فقد كان في اغلب الاوقات ينتهي الفيلم بمظاهرة تخرج من صالة السينما وتطوف الشوارع لان سعيد افندي كان فيلما انتقاديا لمحتوى الحياة الاجتماعية العراقية ، وقد تم تصويره في محلة الحيدر خانة في الرصافة في احد البيوت الشعبية ، حيث كان الناس سعداء لاننا نعيش بينهم طيلة تصوير الفيلم ، فكانوا يصنعون لنا الشاي ويطبخون بعض الاكلات الشهية ويقدمونها الينا .

وأجمل ذكرياتي اثناء عملي في فيلم (سعيد افندي) هروبي من التصوير لالتحق

بالمظاهرات ، فكنت اتحيّن الفرصة لأقوم بواجبي الوطني في المسيرة الجماهيرية ، وكان ذلك يؤدي الى تعطيل التصوير للبحث عني ، وعندما اعود في اليوم التالي وقد بحّ صوتي من الهتاف ، يضطر المخرج الى تأجيل التصوير اسبوعا آخر لحين استعادة صحتي ونقاوة صوتي ، وبدلا من ان يغضبوا مني لتعطيلي عملهم ، كانوا يستقبلونني بالتصفيق والترحيب قائلين : «لقد عبرّ صوتك عن اصواتنا يازينب» .

وتحلّ ثورة الرابع عشر من تموز ... ولا ازال اتذكر صبيحة يومها الأول عندما خرجت مبكّرة مع البيان الاول لأطوف شوارع مدينة الحلة ادعو الناس الى مساندة الثورة وحمايتها من الرجعيين .

كنت انذاك مفصولة من الوظيفة اعيش في بيت طيني صغير في شارع غير مبلط تحيط بي الصرائف وأكواخ الفقراء .... وعندما سمعت البيان الاول طرت الى الشارع الرئيسي فشاهدت اربعة نسوة يهزجن في باب حامية الجيش ، فصعب علي الامر .. أيمكن ان يكون هذا ؟ أنها ثورة ضد الملكية والاقطاع فكيف لايعلو صوت الجماهير لمساندتها ، ووجدت عربة شلغم ارتقيتها وصرخت باعلى صوتي أنادي جماهير الحلة لتساند الثورة وتحافظ عليها من الرجعية والاقطاع ، فسمع بعض الناس صوتي كان الوجل والهدوء يسود جوّ المدينة وذلك ضاعف من قوة صوتي ، فعلم البعض «تعالوا.. هذه الممثلة:زينب تهتف تعالوا نهتف ويّاها» . والتف في البداية جمهور بسيط ولكن بعد اقل من ساعة تجمهر الناس وازداد الحشد وتضاعف ، وتقاطر الناس من كل صوب حتى بلغ عدد المتظاهرين ما يربو على ربع المليون وجاءت السيارات من اقضية الحلّة ونواحيها تغصّ بالناس ، وعندما حانت الساعة الثالثة كان المتظاهرون يتجاوزون ٤٠٠ الف متظاهر ، (ارسل أمر الحامية اربعة جنود لحراستي وقد صعدوا الى جانبي في عربة الشلغم وهم يحملون الرشاشات والبسوني خوذة عسكرية ومايزال اهل الحلة يحفظون لي صوري وانا وسط الجماهير) عندها اعلن منع التجول فتفرق الناس وبقيت اسبوعا لااستطيع الكلام فقد بحّ صوتي ، ومنذ ذلك الحين وسكان مدينة الحلّة يعتبروني واحدة من بناتهم .

لقد بدلت ثورة تموز وجه الحياة في المجتمع تبديلا جوهريا . لما حملته من مفاهيم قيمة ، وتوضح ذلك في مسيرة الثقافة العراقية حيث توفر جوٌّ من الحرية والديمقراطية فتح

الابواب امام المثقفين لكي يمارسوا ابداعهم في شتى المجالات . وكذلك أمام النساء والشباب والطلاب الى جانب العمال والفلاحين ، فتشكلت المنظمات الاجتماعية والاتحادات والجمعيات الادبية والفنية كاتحاد الادباء وجمعية التشكيليين واتحاد الادباء الاكراد وجمعية الخريجين واجيزت رابطة المرأةالعراقية فأخذت تمارس نشاطها في دعم الثورة واجيز اتحاد الشبيبة الديمقراطية الذي ضمّ ربع مليون عضو ، وكنت عضوا في لجنته التنفيذية ، ونشطت الاندية الرياضية والعائلية في إقامة الندوات الثقافية وتقديم المشاهد المسرحية كالجمعية البغدادية .

وفي مجال المسرح تم تشكيل عدد من الفرق المسرحية التي ظل اغلبها عاملا حتى انقلاب شباط وهذه الفرق هي : فرقة المسرح الحديث ، الفرقة الشعبية للتمثيل ، فرقة الشعلة للتمثيل، فرقة المسرح العراقي ، فرقة المسرح الحر ، فرقة بغداد للتمثيل ، فرقة ١٤ تموز ، وقد لعبت فرقة المسْرح الحديث و اليوم والشعبي ادوارها في تطوير المسرح العراقي ، وتميزت بالتصاقها بالجماهير والتصاق الجماهير بها فكانت حقاً فرقاً للشعب وبان جلياً دور المثقفين العراقيين في دعم الثورة من خلال ممارساتهم الابداعية في الشعر والقصة والنقد والمقالة والمسرحية والتمثيلية الاذاعية والتلفزيونية إذ حّفزت هذه الممارسات الجماهير وحثتهم على التمسك بالثورة والحفاظ على المكاسب التي تحققت من خلالها .

ومن أهم المجلات الادبية والفنية التي صدرت في تلك الفترة : المثقف والاديب العراقي . كما ساهمت الصحف الوطنية في فتح صفحاتها اليومية والاسبوعية لاقلام المثقفين والفنانين المبدعين مثل : إتحاد الشعب ، صوت الاحرار ، البلاد ، الاخبار ، ١٤ تموز ، الاستقلال ، الشعب ، الجمهورية ، الحوادث .. الخ

ولم يقتصر نشاط هؤلاء المثقفين على نشر نتاجاتهم في الصحف والمجلات العراقية إذ سعوا الى نشرها ايضا في الصحف والمجلات العربية في بيروت ودمشق والقاهرة .

وفي المسرح تطورت المضامين والاشكال في تقديم العروض المسرحية ولم تعد الاشارة أو التلميح كافية لتوصيل الافكار، فالديمراطية فتحت الطريق ليقول الفنانون كلمتهم فكان النتاج المسرحي نقدا صارخا لظلم السلطة البائدة حصيلة ثقافة عالية المضمون تنتصر للقطاع الواسع من العمال والفلاحين وفقراء الريف وسائر الكادحين ، وفيها تحفيز للشباب والنساء والطلبة ان يقولوا كلمتهم وان يمارسوا دورهم في الساحة الثورية .

وعمد المخرجون الى الاستفادة من التجارب المسرحية العالمية شكلا ومضمونا. فقدمت عروض لبيترفايس وبريشت وابسن وتشيخوف وروماں ، واستفاد الكتاب من الافكار العالمية في المسرح ، فمسرحية (أني امك ياشاكر) هي صورة شبيهة ، الى حدٍّ ما ، بمسرحية الام لبريشت المعدّة عن قصة (الأم) لمكسيم غوركي .

وشاهدت قاعة الشعب عروضا مثل : الخال فانيا ، ابن الشعب ، رسالة مفقودة ، موتى بلا قبور . الخ ، كما شاهدت مسرحيات محلية مثل: أني أمك ياشاكر ، اهلا بالحياة ، تؤمر بيك ، رأس الشليلة ، المقاتلون ، ست دراهم ... الخ ، وعقدت الندوات للفنانين في اتحاد الادباء والجمعية البغدادية والنادي الرياضي في باب المعظم وبذلك توثقت الصلة ين المسرحيين وعموم المثقفين .

وجرّ ذلك الى تحفيز النشاط في المحافظات كالبصرة والموصل والسليمانية واربيل وكركوك حيث شكلت الفرق الفنية المسرحية والغنائية وبرز عددٌ من كتاب المسرح وخاصة بين الفرق الكردية ، معمقّين الروح الاصيلة الانسانية في اعماق الانسان الكردي .

ولكن هذا النشاط المزدهر لم يكتب له الاستمرار فقد وجه انقلاب شباط ضربةً حادة سحق بها كلّ مظاهر الازدهار ليحول الثقافة العراقية الى ركام حيث غصّت بطون السجون والمعتقلات بالفنانين والادباء وسائر المثقفين ، كما اودى انقلاب شباط بكل القيم الخيّرة السياسية والاجتماعية والثقافية اذ طمر كل ذلك في غياهب السجون والمقابر الفردية والجماعية وزنزانات التعذيب ، وحُجبت الحرية تماما عن الناس والغيت اجازات الاتحادات والفرق المسرحية مما دعا اغلب المبدعين الناجين من قبضة السلطة الى الهرب إما الى كردستان او الى الخارج ... وقد هربت شخصيا الى كردستان لألتحق بفصائل الانصار وأعمل داعية مع رفيقاتي الكرديات نطوف في القرى ... نجمع التبرعات المادية والعينية من الفلاحين ونثقفهم بقدسية المساهمة في اسقاط حكومة شباط التي خلقت جوا رهيبا داكنا جثم على وجه الحياة العامة في العراق ، خنق كل توجه للتطور والابداع ولولا ذلك الانقلاب الدامي لكانت مسيرتنا الثقافية حققت تطورا وازدهارا لايقل نضجاً عن التطور الثقافي في البلدان المتقدمة فشعبنا بطبيعته تواق الى المعرفة ... الى الادب والفن ويعشق الحضارة والتقدم .

ثم حدث انقلاب تشرين العارفي عام ١٩٦٤ .

لقد واصل الحكم اساليبه الرجعية والدكتاتورية ولكن القوى الوطنية استطاعت ان نستعيد وبالتدريج نشاطها وعافيتها . وارتباطا بذلك تنفس المثقفون الديمقراطيون شيئا من الحرية وسارعوا مجددا الى اعادة نشاطهم في الاتحادات والنوادي . اما النشاط السياسي فكان سرياً في اغلب وجوهه .

وجاءت نكسة حزيران وأثارها النفسية والفكرية لتحفز الكتاب في الوطن العربي ليقولوا كلمتهم في نتاجات انتقادية ورافضة لواقع الهزيمة ومسؤولية البرجوازية وفكرها وممارستها عنها ، فكانت (حفلة سمر من اجل ٥ حزيران) للكاتب السوري سعد الله ونوس التي تم عرضها في اكثر المسارح العربية ، ومنها مسرحنا العراقي حيث قدمتها الفرقة القومية للتمثيل ونالت المسرحية اعجاب النقاد والجمهور على حدّ سواء .

كما شهدت الستينات نشاطا ملحوظا في الحركة النسائية والطلابية والعمالية النقابية ، وتحقق الفوز لقوائم ا لتقدميين في اغلب الانتخابات والاتحادات ... في المدارس والكليات وشهدت المعامل إضرابات واحتجاجات عالية الصوت ، ونجحت النسوة في تشكيل وفود نسائية لمقابلة المسؤولين في وزارة الدفاع وغيرها لتضعهم أمام مسؤوليتهم إزاء فقدان معيليهن ، وكنت واحدة من اولئك النسوة متنكرة بزي شعبي هو عبارة عن عباءة وفوطة .

وخلال هذه الفترة سافرت فرقة المسرح الحديث لتقديم عروضها في الكويت بدعوة من الحكومة الكويتية حيث قدمنا مسرحيات (عقدة حمار) ، (فوانيس) ، (مسألة شرف) ، وسجلنا للتلفزيون تمثيلية (الفخ) ، (مافات القطار) وهي من تأليفي ، كما انتج فيلم الحارس من قبل شركة اليوم التي ساهم فيها الفنان قاسم حول ، ومثلت في الفيلم دور البطولة النسائية ، وقد شارك في مهرجان قرطاج السينمائي وحصل على الجائزة الفضية بعد ان حُجبت الجائزة الذهبية . وعند عرض هذا الفيلم في بغداد لقى اقبالاً وتشجيعاً لاحدّ لهما من الجمهور العراقي ، إذ عرض في أربع سينمات ولمدة شهرين ، ويعود ذلك الى أن مناخاً ثورياً قد نشأ من جديد ، إنعكس بهاذا القدر أو ذاك على الحياة الثقافية فضلا عن الاشارة الى دور الحزب الشيوعي العراقي الطليعي في تثقيف الجماهير بجرّهم الى الساحة النضالية لاسقاط النظام وبناء عالم جديد للعراق .

واعيدت الى الفرق المسرحية حريتها الفنية فاندفعت بمجموعها تقدم عروضا باهرة (كالنخلة والجيران) ، و(صورة جديدة) و (الخرابة) ، و(فوانيس) لفرقة المسرح

الحديث .. ثم (الغريب) و(العطش والقضية) لمسرح اليوم وقدمت ماريانا بينيدا وحيوانات زجاجية من قبل المسرح القومي ، كما ساهمت فرقتا المسرح الشعبي و١٤ تموز واتحاد الفنانين ، وفرقة بغداد للتمثيل بعروض جيدة .

واستمر ذلك الى السبعينات حيث تطورت أساليب الأخراج فجاءت المسرحيات بمضامين وأشكال تمتاز بالروعة الفنية كمسرحيات : تموز يقرع الناقوس ، الينبوع ، الغريب ، هملت عربياً ، الرجل الذي صار كلباً .

واستفاد كتاب المسرح من التراث والحكايات الشعبية مثل : الطوفان ، الحصار ، المفتاح ، شعيط ومعيط وجرّار الخيط ، بغداد الأزل بين الجدّ والهزل ، دائرة الفحم البغدادية ، طنطل ، غراب ، مجالس التراث .

كما ظهر في الساحة كتّاب جدد مثل محيي الدين زنكنه حيث ألف (السؤال) وقدّم جليل القيسي مسرحيات : اضبطوا الساعات ، جيفارا عاد افتحوا الابواب ، شفاه حزينة ، زفير الصحراء . كذلك ساهم الاعداد عن الادب العالمي والعربي بحظ وافر في تنشيط الحركة المسرحية إذ اعدّ قاسم محمد مسرحية (نفوس) عن مسرحية (البرجوازيون) لمكسيم غوركي ، ومسرحية (النصيحة) لمارك توين ، ومسرحية (ولاية وبعير) عن مسرحية (الفيل ياملك الزمان) لسعد الله ونوس ، كما اعدّ جبار عباس مسرحية (البستوكه) عن مسرحية (الجرّة) لبيراندللو .

وقدمت فرقة الحديث مسرحيات : الخان ، شلون ولويش ولمن ، القربان ، الحلم ، الصحون الطائرة ، وأخيراً مسرحية (بيت برنارد البا) .

وقدمت فرقتا مسرح اليوم والمسرح الشعبي مسرحيات من المسرح العالمي بالاضافة إلى مسرحيات محلية كتبها نور الدين فارس ، وبرز من كتّاب السبعينات من بين الدارسين في الخارج الفنان قاسم محمد الذي أنهى دراسته في الاتحاد السوفييتي ، مما كان له اثرٌ فعال في تطوير ابداعه الفني وصقل موهبته الاخراجية ، مما أضفى على الساحة الفنية بريقاً آثار الدهشة ، وآخر ما قدّمه لفرقة المسرح الحديث (النصيحة) لمارك توين ، وقبلها أُعدّ (الصحون الطائرة) التي أثارت إعجاب المشاهدين .

وتميزت عروض فرقة المسرح الحديث منذ نهاية الستينات حتى أواخر السبعينات

بأشكالها المتجددة والمتطورة المنسجمة مع مضامين تلك العروض ، فليس هناك من يستطيع نسيان مسرحية (الخرابة) أو (النخلة والجيران) أو (تموز يقرع الناقوس) ، وقد شكلت هذه الأخيرة بكامل مشاهدها لوحات تشكيلية فريدة الجمال شكلاً ولوناً .

آخر دور مثلته في فرقة المسرح الحديث هو دور برنارد البا في مسرحية (بيت برنارد البا) التي أخرجت بشكل فريد حيث حُوّل المسرح الى سجن دائري تجري في داخله أحداث المسرحية ويحيط به النظارة من كل جانب ... وقد رمز المخرج ببرنارد البا إلى الدكتاتور الطاغية حين ألبسها بدلة كاكية تزينها الأزرار اللامعة الشبيهة بازرار العسكريين ، واعتمد قلّة الحركة في الاداء مع تضخيم نبرات الصوت فبدا الصوت هو سيد العرض ، يصاحبه صولجان تحمله برنارد البا في يدها اليمنى دلالة السلطة القاهرة ، وقد حققت هذه المسرحية نجاحاً ملحوظاً بلمسات الأخراج وجودة الاداء رغم الجوّ الارهابي الذي احاط بالعمل ، فقد كانت الهجمة ضد الديمقراطية والحرية قد بدأت تلف الدروب والساحات اعتقالاً واغتيالاً ، وقد نلت عن هذه المسرحية جائزة أحسن ممثلة في العراق ، الا أنهم اشترطوا تسليمها إليّ بعد رجوعي رافضين تسليمها الى أهلي في بغداد ... وعند عرض هذه المسرحية كان رجال المخابرات يجلسون قريباً من الدائرة المسرحية يبحلقون في وجوه الممثلات لبثّ الرعب فيهن .

وفي فترة ازدهار الثقافة في السبيعينات نشط التلفزيون والاذاعة في كسب الكتاب وتقديم المسلسلات وكنتُ من بين من تعاملوا مع النشاط التلفزيوني حيث قدمتُ تمثيلية (كَل للصوجر) أيْ (قل للسولجر) ــ الجندي الانكليزي ــ وهي عن ثورة العشرين ، وتمثيلية (تضحية وجدار) عن حياة ممثلة ، ثم قدمت مسلسلي (أمل والريح) و (ضباب ومحيط من الغبار) ، وهذان المسلسلان أجيزا ثم منعا بعد تدهور الوضع السياسي وتشديد اساليب القمع .

وتم التعاقد معي قبل ذلك على تحويل قصتي (الساقية المهجورة) إلى مسلسل تلفزيوني واسندت إلى احد المخرجين ثم اوقف العمل بها حيث منعت من ممارسة العمل في الاذاعة والتلفزيون وكذلك منعت كتاباتي .

وكما نشط التلفزيون في السبعينات ، نشطت اكاديمية الفنون الجميلة بتقديم أجمل العروض المسرحية مثل : ثورة الزنج ، كَلكَامش ، مركب بلا صياد ، القرد الكثيف

الشعر ، عرس الدم ... الخ .

كما جاءت فرقة الفنون من البصرة لتقدّم عرضها المسرحي على شكل اوبريت ، فعرضت (المطرقة) و(بيادر خير) اللتين كان لهما صدىً قوياً في بغداد .

كذلك نشطت الفرق الكردية وأقامت المهرجانات المسرحية والغنائية وقدمت عدداً من الجوائز للمبدعين ، وكنتُ عضواً في لجنة التحكيم لهذه المهرجانات .

نالت فرقة المسرح الحديث أعلى نسبة من الجوائز من المسرح العالمي ، في أغلب عروضها ، كما نال فنانوها من ممثلين ومخرجين ومهندسي ديكور الجوائز الاولى في التقييم وجاءت فرقة اليوم بالدرجة الثانية في حصد الجوائز ، وتلتها فرقة المسرح الشعبي .

لقدانحسر النشاط الأدبي والفني في نهاية السبعينات انحساراً شديداً اذ وُجّهت اليه ضربة قاسية سدّدتها نفس اليد التي سدّدت ضربة انقلاب شباط وتعرض المبدعون الى الاعتقال والاغتيال والتعذيب والمطاردة والاختفاء ثم الهجرة عن الوطن حيث هاجرت مع من غادروا الى الخارج .

وعندما اشتعلت الحرب العراقية الايرانية واستعر أوارها ساد جوّ من الارهاب ممّا حدا حتى بالذين لا علاقة لهم بالسياسة الى الهجرة وهكذا انحسرت الحركة المسرحية عن تقدمها ، فتراجعت اشواطاً كبيرة ، وهي حائرة الآن بين ما تريد ان تقوله وتخشى أن تقوله ، فسيف الجلاد حاد لا يعرف الرحمة .

ولا استطيع الحكم الآن على مكانة المسرح العراقي وسط حركة المسرح العربي الا من خلال ما اسمعه على السنة المشاركين في المهرجانات بانه قد تدنّى كثيراً عن تقدّمه السابق وهنا اكرر ان فقدان الديمقراطية هو السبب المباشر في تدنّي أية حركة ثقافية .

وفي المنفى التقى الفنانون وبقية المثقفين يتدارسون وضعهم الجديد ويبحثون عن أطر فعالة لاعادة التلاحم واللقاء المثمر فكان ذالك داعياً لتأسيس رابطة الكتّاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين التي أخذت على عاتقها تجميع هؤلاء في تنظيم ديمقراطي جديد .

وفي عدن تمّ تشكيل فرقة الصداقة التي لعبت دورها في تنشيط الساحة اليمنية ، حيث قدمت مسرحية (رأس المملوك جابر) من إخراج لطيف صالح ، ومسرحية

(الأم) لبريشت من اخراج سلام الصكَر ، وقد حققتا نجاحاً كبيراً إذ نالت المسرحية الاولى تقديراً خاصاً على لسان وزارة الثقافة اليمنية .

كما نشط المسرحيّون هناك بتقديم مسرحيات معدّة عن نصوص مسرحية عربية فقدّم الفنان اسماعيل خليل مسرحية (الفيل ياملك الزمان) ومسرحية (الملك هو الملك) ، واخرج سلام الصكَر مسرحية (شموس الارض) معدة عن مسرحية (ثورة الزنج) لمعين بسيسو .

وقدّم الفنان خالد عبد الكريم خريج رومانيا (ثلاثية دراكون) في استوديو الممثل الذي صنعه لتدريب الفنانين اليمنيين كما قدّم منسرحية (وامصيبتج يا نويره) وهي باللهجة اليمنية .

وفي بيروت نشط الفنانون بتقديم أعمال كثيرة أهمها (رحلة حنظلة) اخراج كاظم الخالدي الذي اعتقلته الكتائب ولا يعرف مصيره حتى الآن . كما أخرج مسرحية (الرجل الذي صار كلبا) ومسرحية (الجنرال) .

وأخرج حكمت داود مسرحية (المنجم) من اعداد خليل ياسين،وأخرج الفنان منذر حلمي مسرحية (الجلاد) المأخوذة عن (القصة المزدوجة للدكتور بالمى) وقد نالت استحسان النقاد .

وفي دمشق وبمساندة المسؤولين في وزارة الثقافة السورية تم تشكيل ــ فرقة مسرح بابل ــ وقدمت باكورة لاعمالها : مسرحية الحصار ، المعدة عن مسرحية الحصار لعادل كاظم .. ومن اخراج لطيف صالح . وهي تشكل اول صرخة بوجه الحرب العراقية الايرانية .

وقدمت الفرقة عملها الثاني ثورة الموتى ــ لأروين شو اخرجها سعد السامرائي ، طالب الدكتوراه في الاتحاد السوفياتي ثم جاءت الفنانة روناك شوقي واعدت قصصاً قصيرة لتشيخوف قدمتها باسم (وحشة وقصص أخرى) وقد عرضت هذه المسرحية في سهرجان دمشق العاشر ونالت استحسان الجمهور والنقاد كما عرضت في بعض المحافظات السورية وتستعد الفرقة الآن لتقديم عرضها بمسرحية (المملكة السوداء) المعدة عن محمد خضير من قبل روناك شوقي ومن اخراجها وقد عرضت في ليبيا ضمن مهرجان النهر العظيم

ونالت الاستحسان .

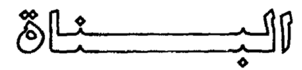
وتستعد الآن الفرقة لتقديمها في دمشق وفي المحافظات . وللفرقة مشاريع كبيرة سوف تقدم عليها ... بعد حين .

وهي تسعى لتقديم الأفضل والأحسن ان حالفتها ظروف المنفى الصعبة .

تحيتي لكل المبدعين من الفنانين داخل الوطن حيث يلاقون القهر والارهاب والضغط ...... والى الفنانين في الخارج حيث يعانون الحرمان والتشرد والجوع وامنيتي لهم جميعاً ان يحافظوا على تلك العلاقة الحميمة التي تجمع المسرحيين مبنية على الاحترام والاصالة ، والابداع ليظل المسرح العراقي مزدهراً بظل المبدعين المخلصين من فنانيه .



قصة



البناة

فائز الزبيدي

ــ ... طبعاً ولأنك شخص يقدر المسؤولية، بل خطورة المسؤولية، فإنني أؤكد لك للمرة الأولى والأخيرة ، بإنني لم افكر بالتمسك بهذا الكرسي الى الأبد .. وحق الله . أدري بالطبع بالذين يقولون ما يقولون ، لكنني أعتبرهم في الواقع .. يعقدون حتى هذه المسألة الواضحة .. كأن الوصول الى هذا المركز ، او هذا الكرسي ، حسب تعبيرهم ، تم بوسائل شخصية . انه الجهل بالضبط ، نعم بالضبط ، قل لي لماذا ... أُجبك . نعم نعم .. جهل فاضح .. بالضبط ، والا لكان كل سعي شخصي أوصل صاحبه الى المركز . وهو ما أُدينه لو حصل ، نعم أُدينه بالضبط ، ولا بد أنك تدينه . قل لي لماذا ... لأن في الدولة شيئاً فوق تفكير الأشخاص ، شيء كما يقولون موضوعي ، شيء في روح الدولة اقرأ أي كتاب في الموضوع ، أنا شخصياً ألقيت محاضرة في الموضوع ، طبعاً كنت آنذاك مضطراً .. نعم بالضبط في روحها ، سماهُ البعض قانون أو نظرية الدولة ، أنا أُصر على روح الدولة .. نعم صدقني، والا كيف أمكن لشخصٍ مثلي ... ربما لا تصدق بإن هذا مبدئي في الحياة، فلا بأس .. مفهوم ، ورغم ذلك فإنني وصلتُ . وهنا بالضبط لا مجال للمزايدة بالشهادات الكبيرة . كيف أوضح لك .. أنا مثلاً ، بكل بساطة .. بدأت من الأسفل ، وأثبتت التجربة .. بل أثبت أنا ان التجربة والاخلاص : أكبر قيمة في الدولة ، ولكن الناس يريدون دولة على مزاجهم ، وهذا بالضبط أساس كل عقد وضعنا ، البعض يقولون عقدة تاريخنا ، وهذا لا أهمية له . المهم ان نختصر ، وانا اختصر روح الدولة بإنهاالمسؤولية ، لا انكر بإنني نسبت هذا مرة الى روح بعض الشخصيات لكنني

ربطته آنذاك بصفات .. أو لنقل مواهب أخرى أو إضافية ، نعم بالضبط .. / عذبه ضمت زائره : « لماذا صنع الله العالم بهذا التعقيد . كل مرة عليّ ان أثبت شيئاً ما لشخص ما اذا ما فكر علناً صار كل شيء فيه مقلقاً وغير مؤكد » ...

.. قلت لك .. في الحقيقة .. هي المسؤولية ، بالضبط ، والا أين يجب ان يكون امثالنا ؟

ـــ قلت لي .

ـــ هذه هي مشكلتنا . نحن نبني في كل الظروف والاوضاع ... وببطولة . اعتقد ان على أحد السياسيين أو أي احد ان يؤلف شيئاً عن موضوع ... مثلاً ... المسؤولية والبطولة ، انا شخصياً ألقيت مرة محاضرة في النقابة عن هذا الموضوع . اقترح ان يكون كراساً صغيراً يسهل حفظه ، بل وحتى لو بحجم أمر اداري يومي لكن ، أقصد الموضوع يتطلب دراسة . عجيب .. نعم ، عجيب بالضبط ان جامعاتنا تهمل مثل هذه الموضوعات . طبعاً لأنها تتطلب جهداً ضخماً .. انه برأيي وبالطبع يجب ان يبدأ بدراسة كل الأوامر الادارية ، نعم بالضبط ، فهي وحدها تكشف عمق روح الدولة . ورأيي ان مثل هذا البحث سيجعلنا نستقل نظرياً عن الغرب فننتج ـــ ولو اني افضل ان نقول « نبني » ـــ أقول سننتج نظرية دولة .. خاصة بنا ، و .. لا عجيب في الامر ... قد يراها حتى الغرب مفيدة له ، مثل النفط .. نعم بالضبط ، واعتقد انه سيطبقها ، بالتأكيد . تسألني لماذا ؟

هذا واضح ، لأننا سنبدأ من الأوامر الادارية ، أي من التطبيق . لأن النظرية ميتة . ألم نقرأ شيئاً مثل هذا معاً في وقت ما ؟ ... نعم بالضبط ، انت ترى انني لم أنس ما قرأناه في الشباب ... أراك لا تقول شيئاً !..... نعم ، إننا كما تدري ضحينا سراً . انا مثلاً اتهموني مرة بولاء ، باطل بالطبع ، لحزب من الاحزاب ، انا الشخص المجنون بالبناء ، نعم ، لا بأس قل عني مجنون ... تصور !... انه تجنّي الجهلة الذين لا يدركون الحقيقة ببساطة . فماذا أفعل ؟ لقد ضحيت في سبيل البناء فانتميتُ الى الحزب الرسمي قبل ان يحين لهم الوقت لتوجيه السؤال التّي عن ذلك الولاء القديم . المسألة شكلية برمتها ... بالضبط . انني في نهاية الحساب لا اخدم الا المعارضة . لا بد انك سمعت عن هذه المسألة . انني ،وفي الحقيقة،هذه ليست مسألة شخصية ، نبني ونأسف باستمرار ، ويجب علينا جميعاً ان نأسف باستمرار لأننا نبني بينما بعض اداريينا لا يهتمون بالروح الانسانية . طبعاً انا شخصياً قضيتُ كل هذا العمر في المسؤولية لأنني ناضلتُ .. نعم نعم ناضلتُ ضد هذا الوضع ، ولم اسمح لأحد إن يلمس انسانيتي ، نعم .. ولا حتى كمداعبة ...

رن التلفون .

هناك نوع من ساعات الجدران ، رُكّب على نابض رقاصها طائر معدني ملوّن ، يستقر وراء بابي

درج معتم ، وحين يجب على الرقاص ان يعلن الوقت فان عدداً من المفاصل المتداخلة بتعقيد لا معنى له تدفع بالنابض والطائر الى الخارج ، فيهتز الطائر كما لو كان ينقّر دخنا وهمياً ، وفي اللحظة تحتك فواصل اخرى بحيث يقلد احتكاك المعدن زقزقة طائر تتنفس زيتاً شحيحاً .

ثم فجأة يرتد النابض بالطائر الى العتمة ، دون ان يُكون مفهوماً معنى ذلك كله للنوابض والطائر وآلة الزمن كلها .

مثل الطائر المعدني لحظة اعلان الوقت هب السيد (س) الى التلفون ، وظل ينقّر دخناً معدنياً لا طعم له :

ــ نعم ، أي نعم ، تأمرون ، تأمرون ونفعل . انا ؟ ، فعلاً ، فعلاً فعلاً ، تماماً كما تأمر ... ، استاذ ... ، سيدي ... ، حفظكم الله .... الآن ، فوراً ، اعتبروا الأمر .. ، عفواً ، نعم ، نعم نعم ، نعم نعم ، نعم بالضبط ... تأمر...

..... وارتد به الصمت المفاجيء ، المدوم في فتحتيْ الآلة الى درج ما معتم . بنعومة وضع السماعة وجلس ، كما لو حطَّ هنا من مكان مجهول بعد مقاومة خطر ما ظل منتظراً .

اخترق ضيفه الصمت :

ــ يبدو انك مشغو ...

ــ أرجوك . بإمكاني إدارة مؤسستين مثل هذه بأصبع واحدة . قلت لك ، الشعور الانساني يجعل كل شيء سهلاً الى حد لا تتصوره . كيف يقولون؟... مثل الساعة ، نعم بالضبط . اسمح لي دقيقة واحدة .

لمس السيد (س) زراً أبيض على طرف مكتبه ...

.. انفتح باب الغرفة ، وجه رجل وثلث جذعه (كتف وبعض ... وكف تمسك حافة الباب) مثل طائر على نابض صديء والعتلات التي تقلد الأصوات ... . قال السيد (س) جملة متوسطة الطول معتمة ، موجهة للا أحد . ارتد ثلث المخلوق الى عتمته وانغلق الباب دونما أدنى صوت .

نظر السيد (س) الى زائره ، وطقطقت عضلات وجهه مكونة ابتسامة معدنية لا طعم لها . وقع نقر رهيف على الباب فطقطقت عتلات وجه السيد (س) واختفت الابتسامة .

.. انفتح الباب نصف فتحة ، انزلق منها مخلوق جديد بكامل جثته وانتصب هناك . انغلق الباب .. فتقدم : دون الثلاثين بقليل ، نظيف كما لو خرج الآن من يدي صانعه . بقفزة طائرة صار

الى يمين السيد (س) ، الى الوراء قليلاً ، وبليونة بشرية انحنى وفتح ملفاً يحمله . قلّب امام السيد (س) اوراقاً وهذا ينظر فيها بازورار مترفع . دون ان يتبادلا كلمة حرّك السيد قلماً لماعاً على احدى الأوراق في موضع او موضعين . نظر الى جانب وجه موظفه ، فاومأ بهذا ايماءة موجزة . طوى الملف وانصرف.انفتح الباب لحظة وصوله فانسل كما لو كان مربوطاً الى نابض مزيّت أقل تصويتاً من الموتى .

التفت السيد (س) الى زائره ، واعادت مفاصل وجهه الابتسامة ذاتها . اتكأ نفث دخان سكارته المزرق قليلاً ، وقال :

ــ قلت لك . وانت ترى بعينيك ان الشعور بالمسؤولية يجعل كل شيء سهلاً الى حد لا يتصوره الآخرون .

ــ بودي ان أسألك ..

ــ إسمح لي . إسمع . هذه في الواقع مسألة انسانية تتعلق بمبادىء الانسان الثابتة ، بالضبط . فحين هتف رئيس الوزراء بشعارات الحكومة الجديدة بمناسبة مرور عام على وصوله الى السلطة شعرت بان ولائي له ولاء قديم ، وأسعدني انني أبقيته برّاقاً حتى تحت غبار الكتمان . انا مثلاً ، حين أُتهمت بأنني أخبرت عن بعض أعضاء أحزاب المعارضة في دائرتي ، في العهد الماضي ، وأدنت بعض شعاراتها أمام الوزير ، مضطراً بالطبع ، فيجب ان تكون متأكداً ان منشأ تلك الاتهامات هو حرصي على كتمان ولائي الحقيقي ، ولكي أبقى حيث يجب ان يظل البناة .. ومهما كانت التضحيات . هذه هي القضية بالضبط .

حل ، في فضاء الغرفة ، صمت ميت ، ثم تلوّى مثل دخان ثقيل نفثه مخلوق ما بتعمد ، وانهمر الكلام في روح السيد (س) : « لا بد ان ابن الكلبة هذا قد سمّمه الولع بالجدل السياسي ، فهو لا يعلق الا اخيراً ، مثل ذلك الملاحظ صاحب النظارات ، الذي اختفى اثناء الاعتقالات الأخيرة في السنة الماضية ، وقيل انه يحارب في الجبل برعونة الصبيان رغم الشيب في شاربيه » . وتسلل السيد عائداً الى حديثه :

ــ ماذا كنا نقول ؟... نعم ، قلت لك .. ربما ان الاتهامات وصلت الى حد انهم اتهموني بأني وكيل للشرطة السياسية . بل وقالوا عني .. انني أقبل الرشوة !... لعن الله حماس الحمقى و .. مصاعب المسؤولية ، نعم هذه هي المشكلة .

وتقاطعت في روح السيد (س) جمل زائغة اخرى : « وانت الآخر !.... ما الذي يميزك عن الآخرين ؟... ومع ذلك يجب عليّ اقناعك بأية طريقة . لا ادري كيف واين يتكاثر هذا النوع من المخلوقات المربكة .. »

تصور ـــ عاد الى حديثه ـــ لو انني رفضت تسوية قضية المدرسة كما اقترح المدير العام ، وقلت ان البناية التي وقّعنا أوراق استلامها لا وجود لها في الواقع ، لكنت ، بالضبط ، تصرفت بأنفة الرعناء . وكذلك لو انني تحدثت عن توزيع المبلغ ، الـ (١٧) ألف دينار بين أطراف القضية ، وانه كان غير عادل .. تصور أي حماقة كنتُ سأرتكب حين أُنحّى عن منصبي ليحلَّ مكاني شخص لا شعور لديه بالمسؤولية ولا تهمه انسانية موظفيه . ماذا يمكن ان يبني مثل هؤلاء ؟ ماذا كان سينتفع الوطن من رئيس لا يعني لديه موظفوه ومستخدموه الا مقدار ما تعني هذه .. ـــ وأشار الى عقب وقد سحقه ، ثم أسقطه برخاوة من علو مناسب في المنفضة الكريستال .

رن التلفون .

رفع السماعة ، فتلوى داخلها صوت يبدو كما لو انه علق بشبكة من الاسئلة . ابعد السيد (س) السماعة عن اذنه . نظر إليها متظاهراً بانه يكبت رغبة في البصاق ، ثم وضعها على مكتبه والكلمات تزدحم في فوهتها اللامعة . نظر الى زائره وفكر : « يجب غسل مله بسرعة » ..

ـــ لا بد ان تشرب شاياً آخر .

لمس الزر الأبيض . انفرجت الباب وأطلَّ ثلث المخلوق دون أن يهتز او تصيت نوابضه . « شاي » قال السيد (س) للا احد فارتد ثلث المخلوق الى عتمته . رفع السيد (س) الأصوات المختلفة والسماعة عن مكتبه وأغلق بها الجهاز ، وابتسم لزائره وكلمات متفرقة تتساقط في روحه جملاً :

« غير معقول ان يشك هذا السياسي الغبي الخبيث بنزاهتي . انني ، انا نفسي أرى ان ما قلته مقنع حقاً ، بل وبليغ أيضاً . لعن الله تعقيدَ هذا العالم . لماذا يجب ان يوجد سياسيون جديون في كل مكان » .

ـــ إسمح لي بدقيقتين . سأنظر في بعض الأوراق المستعجلة ، دقيقتين بالضبط .

وقبل ان يرد زائره بشيء عاد السيد (س) الى عالمه :

« إن البوكر المغشوش أقل تعقيداً من حديث بين مواطن طبيعي مثلي وسياسي هاو . في كل العالم لا تجد مثلنا . أوباش نحن ... أوباش . لم يسمع أحد بدولة حقيقية يديرها رجل الشارع . الدولة عادة ، وفي كل مكان وزمان ، هي التي تدير المواطنين . هذا هو المنطقي . غباء ذلك الذي يفكر فيه زائري البدوي هذا والذي قرأناه في الشباب عن تغيير العالم . كل الناس في البلدان الاخرى يغيرونه : مساكن حديثة ، سيارات عصرية ، كازينوات تصنع فيها القهوة مكائن بخارية متألقة طول الوقت . ونحن نتغنى بدلال القهوة وأوساخها وسماورات الفحم ونقابات الحمالين ونريد ان نغيّر العالم . وبماذا نبدأ

نحن الشرقيين الحمقى ؟... بالدولة ... قطعة واحدة و .. مرة واحدة . أوباش .. يريدون دولة يلعبون بها . مستحيل . حتى ايام ضعف الدولة ، حينما أسقطوا وزارة او اثنتين/ آخ !... كيف انجررتُ وراء الحمقى آنذاك !/ فانهم تركوا في الشوارع مئات القتلى وآلاف السجناء المتباهين بأنهم سياسيون أوباش ، بالضبط . حتى آنذاك ظلت الدولة قائمة ....

.... حتى الذين أسقطوا الملك لم يسقطوا الدولة . اننا بدونها لا شيء . ويريد شعبنا الجاهل هذا ان يقضي عليها ، بل يريد ان يقضي على كل شيء . انهم يكرهوننا نحن ايضاً .... عجيب . نحن لا فعل سوى خدمتهم من خلال الدولة . مجتمع يموت من الجوع وكل واحد يريد ان يشتري لنفسه دولة على مزاجة ، حكومة على مزاجه .. وزراء وموظفين ، وكنّاسين وفرّاشين على مزاجه وهو لا يجد ما يأكل . أوباش . يريدون من الموظف ان يشتم رئيسه ويتصدر مظاهراتهم ليقولوا عنه انه وطني .

ورطة بالضبط . انا لست وطنياً . وبالطبع كل موظف غير وطني لأنه لم يُفصل من وظيفته حسب مزاج هؤلاءالأوباش . مصيبة بالضبط . هذا سبب الفرق الهائل بيننا وبين الغرب . عالم آخر . اشتغلت في الـ IPC ، كانت جنة ، وحين أممناها صارت مزبلة ، مزبلة أوراق سخيفة وناس جهلة ، أوباش . تعاونا مع الحكومة لإصلاح الوضع صرنا غير وطنيين . قدرت الحكومة جهودنا ... صارت الحكومة غير وطنية وصرنا خونة . شعب عجيب ، يريد من كل مدير ان يسلم على الفرّاشين ويقبل أيديهم عشرين مرة في اليوم . وحتى تصير وطنياً يجب ان تنتقل الى صريفة الفرّاش وتعطيه بيتك .... والحديقة والمشتمل وما بنيته بكدح العمر .

... عجيب . دائماً نحن خونة .. عجيب فعلاً . فصلتْ الدولة اعضاء الاحزاب . اشتغلنا نحن ساعات إضافية .. صرنا خونة . منعت الدولة الاحزاب فكان عليّ ان أرفض التعاون مع الحكومة والا فانا خائن .

مصيبة . أوباش . كلنا أوباش . هؤلاء هم مثقفونا وساستنا الجدد ، يريدون ان يلعبوا لعبة الفوضى من جديد ، ليغيروا العالم . يعلّمون الناس ان الدولة يجب ان تكون على مزاجهم . خرط ، غلط . ولكن ما العمل . يجب ان نواصل الكفاح .. بالضبط ، هذا ما يجب علينا دائماً ... والا .. سحقنا الاوباش » .

ــ أراك لم تشرب شايك ؟

ــ شكراً ــ قال الزائر ــ لأن معدتي ..

ــ ماذا ؟ معدتك ؟... لا لا . لا تفكر لكي تصح معدتك . علة المعدة التفكير . لم أحكِ

لك بعد عن مشاكلي الآن . انني ، كما تدري ، احببت السياسة منذ أيام المدرسة . فعلاً . حين كنتم توزعون النشرات بل وتصل بكم الحماقة .. هه ها ها .. الى التظاهر في وجه الحكومة ويشتعل غضبها . ماذا ؟ وجهك متشنج ! معدتك ؟

ــ لا . قلبي يتذكر تلك الايام .

علقت بعض اجنحة السيد (س) ببقية خوف لزجة سقطت هنا مصادفة ، فأغضبه العالم كله : « لماذا خلق الله الذاكرة ! كان عليه ان يحتفظ بهذه القوة المخيفة لنفسه ، منحها للبشر ليجعل العالم مربكاً بدون سبب معقول ؟

ابن الكلبة هذا يريد ان يتذكر . على كل حال ، انا لم أشِ به بالذات آنذاك » .

ــ يمكنني الآن ــ تناهض الزائر وهو يفتتح جملته ، فنظر اليه السيد (س) مبهوتاً قليلاً ، فاضاف الزائر :

بدا لي انك تذكرت أمراً ما يشغلك .

ــ أنا ! ــ انتفض السيد ــ عقيدتي ان الحاضر هو المهم الحقيقي . أتذكر ؟... أنا لا اعقد على التذكر أية أهمية . إنني الآن ...

اجلس ارجوك ، دعنا نشبع من رؤيتك ..

واصطنع السيد (س) حركة بين اللهفة والركض والتعالي والألفة فأجبر زائره على الجلوس ، كما يفعل عنكبوت آلي بصيده ، وأضاف :

ــ نعم . تذكرت ، في الواقع ايام المظاهرات ـ كنت ـ في الواقع ، استغرق في التفكير . عادة قديمة . نعم بالضبط ، التفكير عندي عادة قديمة . كنت افكر ، فقط . لم اكن خائناً ولا دوناً ــ كما اظنك قلت عني آنذاك ، غفر الله لك .. هه ها ــ لا اذكر احداً من زملائي فكر مثلي بمسؤولية وعمق ، ولكنني سيء الحظ حتى هذه الساعة . تصور !... اعتقلوا موظفاً شاباً هنا ، من النوع الذي لا يقدر الظرف المناسب للنضال ، وسألني ضابط البوليس السياسي الضخم عن رأيي فيه وهل اظن انه سضم الى حزب سري وهل له نشاط تخريبي ..

ــ الضباط عادة يسمون النشاط السياسي تخريباً ، وانا استنكر هذا ضميرياً كما تدري ــ سألني الضابط كل هذه الاسئلة مرة واحدة ، ورغم ذلك فكرت بعمق حتى لقد شعرت بألم في حلقي ، وقلت له ، للضابط : « في الحقيقة .. ربما ! » . نعم ، اذكر جوابي بالضبط ، وهو جواب لا يتعارض مع ايماني بالله والشعارات التي ظللت احفظها في ضميري كل تلك السنين . ورغم ذلك فانهم اعتبروا ذلك

وشاية ، بل قالوا ــ وهي أكاذيب بالضبط ــ انني كتبتُ للضابط تقريراً عن سلوك ذلك المقصود .

انزلقتْ من لهاة السيد (س) الى قلبه ، مثل نمل خشن : « لماذا يسكت هذا المخلوق ؟ آخ لو انه .. » . وافتتح زائره عملية نهوض اخرى ، فقرص عنكبوتُ رعب صغير فتحة احد شرايين السيد (س) فاطلق جملاً متراكبة أمسكت بالزائر بطريقة ما ، فاجلسه، وأضاف :

ــ انت تدري بأني أقوم بكل شعائر ديني ووطنيتي ، ومنها أن لا أكذب مهما كان الثمن ، ولذلك احببت دائماً تلك الاجابة ...

« متى يبدو عليك التصديق يا ابن الكلبة ؟ منذ ساعتين ووجهك لا يفعل الا ان ينفرش . من انت ؟.. تبدو كمن لا يحمل اسماً . انني ما عدت اذكر اسمك » .. قلت لك . فما قيمة الايمان بمصالح الناس الدنيوية قياساً الى صفاء الروح !... فالايمان في عقيدتي هو هوية الانسان الحقيقي ، البناء الحقيقي ...

« .. أي كلام يستثيرك ؟ .. لو انني حدثت بكل هذا بوابي الذي يشبه الفأر الجائع لنطق بشيء ... وانت !... وكل هذه الجثة !... » .

... الحياة صعبة ، وبالضبط حين تحيطك المسؤولية بجو الاتهامات . فمرة اتهموني باستغلال نفوذي لأغراض شخصية ، بل وصل بهم الامر الى التشكيك بأمانتي كرئيس رمزي للجنة المشتريات في المؤسسة السابقة . داسوا على ضمائرهم . اتهموني حتى بارقام تافهة ، « خردة » كما يقال ، ولم يمنعهم أي شيء . لكنني ، رغم كل شيء ، تمسكت بعقيدتي الثابتة : انسانيتنا هي الأمر الجوهري . هذا هو موقفي بالضبط منذ ايام الدراسة حتى وصولي الى المركز الحالي . ولا اقول لك الا الحقيقة ... وقع نقر على الباب . انفتح .

دخل مخلوق فوق الثلاثين ، نظيف كما لو خرج الآن من يدي صانعه . بخطوة قافزة صار الى يمين السيد (س) ، قليلاً الى الوراء . بليونة بشرية انحنى ، فتح ملفاً وقلّب امام السيد (س) أوراقاً . دون ان يتبادلا كلمة أخذ السيد قلماً لماعاً وأشار الى موضع او اثنين فوق الاوراق ونظر بازورار الى وجه موظفه . كتب هذا بضع كلمات وأدار رأسه نحو السيد (س) كما ينظر طائر يستقي ويتوقع خطراً . إستدار السيدُ نحو زائره :

ــ انهم لدّي دقيقون . لديهم دائماً إجابة مقنة على كل شيء ، مثل آلة مفكرة .

حين كان السيد (س) يحدث زائره ظل الموظف محافظاً على وضعه الى يمين السيد ، قليلاً الى الوراء : يد تمسك الملف ويد على الاوراق تمسك قلماً ، ووجه ملويّ يساراً مثل طائر حُنطّ على التوقع .

تحرك كتفاه حركة مثل الهمس حين احس ان السيد يستعد للاجابة . رن التلفون . رفعه السيد ، نهض منحنياً قليلاً نحو مكتبه ، مد يده وأمسك بذراع موظفه ثم نظر اليه مشيراً أنْ قرّبْ رأسك فاعطاه جمجمته ، وراح السيد (س) يهمس في اذن موظفه وهذا يقلب أوراقاً ، وفرش بعضها على مكتب السيد الذي ظل ينقّر دخنه السريّ :

ــ سيدي . فعلاً موجودة . موجود . كما تقول عفواً كما تشا .. تشاؤون . سيدي . في الحال . كلهم .. أمامي . منذ أمرتم قبل اسبّوع . نعم . لم افارقها . نعم . بيدي .. كانت يد الموظف تحول كلمات السيد (س) ايماءاته الى أفعال سرية على الورق ــ أنجزتها . اطمئنوا . نعم نعم . فعلاً فعلاً . بالخدمة . فوراً . تحت أمركم . عفواً ماذا ؟... نعم نعم . العفو .

جلس السيد شمعيّاً كل شيء فيه ، في منقاره بقايا دخن شمعيّ ، وفي لهاته تراكم طعم لا معنى له .

بعد فترة تنفس شمع وجهه . نقّر ذاهلاً باصابع يمناه الأربع على الاوراق المنثورة امامه دون ان يرفع قاعدة كفه عن موقعها ، فجمع الموظف الاوراق وانصرف .

نظر السيد الى زائره ، وببطء صنعت مفاصل وجهه ابتسامة يسيل عليها شمع دافيء . لمس الزر الأبيض فظهر ثلث المخلوق دون ان يصيت . قال السيد :

ــ قهوة ــ ونهر احداً ما ــ انتبه لحركتك .

فاختفى الوجه المائل .. ثم ثلث الجذع بحذر موتى تسللوا الى عالم ممنوع . وعاد السيد (س) الى عالمه متباطئاً :

ــ قلت لك . من أسباب تأخرنا الحماس . والسبب الجوهري كذلك عنادنا المعروف . وبرأيي ان احد الأسباب هو وجود ناس يفضلون الحياة الشاقة على المرونة .. « لماذا أنت هنا ؟ » ... كيفما فكرت وتعمقت لم اجد المجتمع يستفيد من هذه الاخلاق . فهؤلاء الناس .. « الاوباش » ... يعرقلون البناء ... البناء الحقيقي بالطبع .. « سأنخسك بأية وسيلة حتى تخرج من صمتك السام هذا ».... خذ مثلاً الاجتماع الاسبوعي الذي اعقده مع الموظفين . انه تقليد دمقراطي ، برأيي على الأقل ، دائماً اقرأ عليهم بعض الوصايا ، ونتبادل الابتسامات ، وننصرف بثقة متبادلة . فهم يثقون بي كما اثق بهم . فانا لا امارس المراقبة السرية كما يفعل البعض ، فهي عندي محرمة ولا انسانية . وفجأة يظهر لك بين الموظفين سياسي من ذلك النوع الذي تعرفه . اني احس بوجود هذه النماذج حين أشعر انني فقدت ذلك الاستماع المطيع . بل يصل الأمر الى ان يأتيني في اليوم الثاني مندوب عن الموظفين او حتى العمال ، نعم .. فلمؤسستنا عدة مشاغل ومعامل صغيرة تسبب لنا ، بين حين آخر ، مصاعب

إدارية تتحول ذاتياً الى مشاكل سياسية فتتدخل الشرطة دون ان تكون لنا يد في الأمر . نعم .. نعم ، والمشكلة هي ما تتركه تلك الأمور من آثار وإشاعات . تصور انت حال المجتمع حين يتهم الاداريون البعيدو النظر بكل اجراءات الفصل والنقل ، بل وحتى الطرد بدون تعويض !

انفتح الباب بعد نقرة . دخل شيخ له شاربان رصاصيان ، وتوقف . نظر الى اطراف المكان بتراخ مثل شريط سينمائي بالسرعة البطيئة . ثم تقدم نحو المكتب بخطو دقيق . وضع القهوة حيث يجب ، وخرج — ووجهه الى الداخل — بنفس البطء . وحين اختفى لم يكن جفناه قد أتمّا رمشة واحدة ، بل اتسعت مقلتاه بحيث بانت على بؤبؤيهما صورة زائر السيد (س) .

لاحظ السيد (س) انتباه زائره الى القهواتي الشيخ ، فقال :

— تعرفه ؟

— ممكن . ولكن في هذه اللحظة .. لا .

— انه لا شيء . سوى ان به عادة لا تليق بالمستخدم النظامي . ورغم ذلك أبقيته في خدمة مكتبي كل هذه المدة الطويلة ، وذلك لسبب وحيد ، وهو برأيي سبب جدّي . انه خير من يصنع لي قهوتي الخاصة .

أخذته معي كلما انتقلتُ من مركز الى آخر . يبدو انك تعتبر هذا تبطراً . كلا . قطعاً . المسألة ليست في القهوة . انها تضبط قوة تركيزي ومزاجي ، وهما ، بلا شك ، سلاح في العمل البناء . لذلك اعتبر القهواتي جزءاً من مكتبي . وهذا مهم ، لان من أسباب إرتياحي في غمرة العمل الشاق ان اقدم لزائر عزيز مثلك واصدقائي الخاصين قهوتي الخاصة بالذات . وهذا بالضبط ما يمنحني الصبر على الوظيفة المرهقة مثلما ترى . لا لا ، انا اختلف معك في هذه المسألة ، لانني لا اعتبر الامر تبطراً كما تتصور . ولكن موضوعنا ليس القهوة بل القهواتي . نعم بالضبط . به عيب غريب . كلما يدخل مكتبي يقدم القهوة يظل ، أولاً ، يحدّق في أطراف المكان بألف عين ، نعم .. ثم يتفحص وجوه الضيوف كمن يبحث عن احد ما بالذات . لكنه ، على اية حال لا شيء يستحق الاهتمام ...

نعود الآن الى موضوعنا . نعم ياصديقي ، ماذا سيحدث الآن اذا أخذت الاحزاب والناس مثلك تلك التهم مأخذ الجد ؟...

اؤكد لك ان المجتمع سيهتز من جذوره و ..

رن التلفون .

نهض السيد (س) يقدم حرساً وهمياً في احتفال رسمي آبدي . وليس بالامكان الا .. ممثل وطائر معدني وسلالة مفقودة من القرود العريقة اتقان كل هذه المجموعات من الحركات والطبقات الصوتية في وقت واحد .

وضع كفه على فم السماعة للحظة وقال متوسلاً لعيني زائره المتسعتين :

ـــ انه !... ارجوك .. لحظة ...

الا ان زائر السيد (س) انسحب تاركاً الطائر المعدني ينقّر دخنه بمنقار أشوه .

بغـــداد ـــ ١٩٧٣



تـــداعيـــات للذاكـــرة اليـوميـة

عادل العامل

بَحْـــرٌ ..

لا يُبحرُ فيهِ ..

أَحَـــدٌ

صحـــــراءْ

وزَمانٌ ..

لا يُولد فيـــهِ ..

وَلَدٌ

إغْفـــاءْ

*

آلافُ الكلمـــــاتِ ..

تُقـــالُ ..

ولكـــنَّ الكِلْمـةَ تبقىٰ ..

واحــــدةً ..

والصمتَ كثـــيرْ

خُــذْ ، مَثَلاً ، هــذا الشَـــجَرَ ..

المتـــدَّ ..

إلى أعلـىٰ

أو بعضَ رؤوسِ النـــــاسْ

هَــلْ يَسْقِطُ ..
إلّا أَعْلاهــــــا ..
لو سقطتْ صاعقـــةٌ ..
أو سَـــيْفٌ ؟ !

أصبحَ تفكيـــري
فيـــكِ ..
مغـــامَـــرةً
وزمـــانُ الوَصْـــلِ ..... بعيـــدْ
لكنّــي أعلَـــمُ ..
أنَّ الشَجَـــرَ القادمَ ..
أجمـــــلُ ..
والوصـــلَ أكيـــــد !

سيِّدتي ..
هَلْ هَـــذا أَملي ..
فيـــكِ
يصيرُ رَمــــاد ؟!
إمْ أنَّكِ ..
مُتْعَبَـــــةٌ ..
مثلي ،
فَيَــــدَاكِ الباردتــــانِ ..
شُعـــــاعٌ سَـــرَقَتْـــهُ نـــارُ القلبِ ..
المجنونـــــةُ ..
من جَسَـــدِ العاشِـــقِ ..

فآستلقىٰ منطفئـــــــاً ..
مثلَ يديـــلكِ
البـــاردتيـــنِ ..
وفي القلبِ النـــــارْ ؟!
أمْ أنَّـــلكِ ..
عاشـــقةٌ ..
غيـري ؟!
أمْ خائفـــــةٌ ..
أنْ يَسْـــلبَ منـكِ الحـزنُ ..
بريـقَ الـــروحْ ؟!
ماذا تركتْ فينـــا الأيامُ ..
وماذا فعلتْ فينـــا الغربـــةُ ..
ماذا أبقتْ ..
فينـــا ..
الغربـــةُ
غـــيرَ بقـايـا ..
من أمَـــلٍ مجـــروحْ
هـــذا الحُلُـــمُ القادمُ ..
من نافذةِ الـروحْ
هــذا السَّـيْفُ ..
المتطـــاولُ ..
من وَسَـــخٍ في الأرضِ ..
إلى صاعقـــــةٍ ..
فوق ســـفينـــةِ نـــوحْ ؟!



قصيدتان عن الحرب العراقية الايرانية

للشاعر الألماني الغربي : بيتر شوت

ترجمة : حميد الخاقاني

بيتر شوت شاعرٌ وكاتب من ألمانيا الغربية، عمل ويعمل بنشاط في اطار حركة واسعة في بلده لأنهاء حرب الخليج . لهذه الحركة فروعٌ في أكثر من إحدى عشرة مدينة ، ويطمح أعضاؤها أن يوسعوا لجانهم بحيث تشمل أربعين مدينة ألمانية غربية قبل نهاية هذا العام . وفي إطار متابعته وأنشغاله بهذه الحرب الكارثية ، كتب « شوت » عدة قصائد حول هذا الموضوع تكتسب رغم مباشرتها قيمة وثائقية . فيما يلي ترجمة لأثنتين من هذه القصائد .

١ ـ حربٌ في الخليج

بعد كل معركة تجيء الرخم محلقة
من كل صوبٍ
من عمان والكويت
لتحشو بطونها من جثث الأطفال
المقتولين تواً

الجثث التي ترصعُ ، على أمتداد شطّ العرب ،
حقول الألغامْ .

★ ★ ★

بعد كل معركة يجيء مفتشو إحتكارات النفط ،
لميادين القتال محلقين ،
كي يتأكدوا أن النفط في الأنابيب ،
لم يتلوث بالدم ،
وأن نهر الدولار النفطي ، لم ينضب .

★ ★ ★

بعد كل معركة يجيء منتجو السلاح ، للقاء قمّةٍ ،
محلقين على امتداد الشاطىء اللازوردي ،
كي يحسبوا أدوات الحرب المدمرة ،
وللمعركة القادمة يهيئون الأمدادت

« فيلت شبيغل »(**)

أنتَ تشاهد التلفزيون ،
وفي بغداد ، تنفجر الصواريخ

★ ★ ★

في بغداد تنفجر الصواريخ ،
وأنت تشاهدُ التلفزيون

(*) الرَخم أو الرُخُم : طيورٌ جارحة من فصيلة النسريات وقد ورد ذكرها في قصيدة للمتنبي إذ يقول :
ولا تشك إلى خلقٍ وتشمته ... شكوى الجريح الى الغربان والرخم
(**) برنامج سياسي أسبوعي يقدمه التلفزيون الألماني الغربي ، يعني أساساً بالأحداث السياسية في العالم وترجمته بالعربية تعني « مرآة العالم » .



الرجل ذو القرنفلة الحمراء

يانيس ريتسوس

ترجمة : د. ممتاز كريدي

« كانوا قلائل أيام ماركس ، أما اليوم فهم ٨٠٠ مليون وبعد غد سيصبحون العالم كله » ..

من دفاع نيكوس بيلويانيس

في الثلاثين من آذار عام ١٩٥٢ نفذت الفاشية العسكرية اليونانية حكم الاعدام بالقائد البروليتاري « نيكوس بيلويانيس » وثلاثة من رفاقه بعد محاكمة استمرت من ١٩ / ١٠ الى ١٦/١١/١٩٥١ .

في اثناء ذلك كان « بيلويانيس » يحمل قرنفلة حمراء اهداها اليه احد رفاقه المتهمين وظلت تلازمه اكثر ايام المحاكمة كتب الكثير من شعراء العالم وأدبائه عن « بيلويانيس » وقرنفلته الحمراء وتناول « بيكاسو » الموضوع نفسه في أحد اعماله الفنية . ومن روائع هذه الاعمال القصيدة التالية التي نظمها الشاعر اليوناني الكبير « ريتسوس » بعنوان « الرجل ذو القرنفلة الحمراء » .

المعسكر صامتٌ هذا اليوم
الشمس ترتعش على سور الصمت
وترفرف كسترة القتيل فوق الاسلاك
الشائكة
الكون حزين هذا اليوم .

جرسٌ كبير أنزِل وها هو يجثم
على الأرض يخفق في نحاسه قلبُ السلام .
انصتوا : اسمعوا هذا الجرس
اسكتوا : الشعوب تمرُّ حاملةً على اكتافها ..
النعش العظيم ـــ نعش بيلوبانيس .

القَتلةُ يتسترون وراء خناجرهم
تنحوا ياقتله ... تنحوا جانباً .
فالشعوب تمر حاملة على مناكبها النعش العظيم
نعش بيلوبانيس .

رموهم بالرصاص .. قتلوهم .
نسمة ريح مرّت خلال نفق الصمت الأسود
جاءتنا بالخبر :
قتلوهم .. رموهم بالرصاص

مصباحان منسيان يفقدان البصر
عند بوابة النهار ..
رموهم بالرصاص .

«بتروس» الذي كان في الفناء ...
يحلق لحيته أمام مرآة جيب
تسمّر ويده في الهواء ..
امسك بآلة الحلاقة
كما لو كان يمسك بأصبعيه ...
يدَ العالم يجسّ نبضَه .
و « فانغيليس » الذي كان يتناول فطوره
غصَّ بالخبز كما لو كان ابتلع حجراً
وطعم الشاي كان مُراً ذاك اليوم .

سمعنا ضجيج عربةٍ كبيرة ، توقفت ..
في الشارع ، عجلةٌ اصطدمت بصخرة .
لعلها كانت عجلة التاريخ
العجوز التي كانت تنظف بدلة يوم الأحد ...
السوداء في شرفة دارها ...
بقيت متحجرة وكأنها ادركت ..
بان هناك ماهو اكثر سواداً من اللون الأسود .
ظلت مذهولة وكأنها رأت راية سوداء
مرفوعة على سارية الزمان .
لعلها كانت عجلة التاريخ
رموهم بالرصاص ..
فمادت الأرض وارتجّت اركان السماء
وتحركت دعامة السقف واهتزت
القناديل المدلاة منه
كما الحنجرة في بلعوم من غصّ بعبراته

* * *

رموهم بالرصاص .
أي حَدثٍ فذ ان يرى المرءُ ..
العجول والخرفان في دكان القصاّب
ساكنة لاتبُدي حراكاً ..
بدث كما لو كانت تنكس رؤوسها قليلاً
لتنصت الى نهر عميق في جوف الأرض .
انصتوا . اسكتوا ، لقد قتلوهم .

حسبنا على لأصابع : بعد غدٍ . نعم ..
بعد غدٍ سيحل شهر نيسان
وظننا اننا سنجد أبَراً ذهبية
ولفائف خيوط في سلة الربيع ..
نُرتق بها ضحكة الطفل ونُزيل تجاعيد وجه الأُم
ونرم ساقاً مكسورة وجمجمةً مهشمة .
هكذا كان الأمل .

قلبٌ مُشتت ــ هنا الخبز والقُبلةُ وهناك الواجب ــ
لكنه سيصبح واحداً ذاك القلب . هكذا اعتقدنا .
فبعد غدٍ سيحل نيسان
وتحت اشجار السلام سيحيّي الناس بعضهم
خلال خيوط اشعة الشمس ..
ولسوف يسدُّ النور براحة يده المبسوطة ..
فوهة البندقية المنتصبة ، فتنخفض صوب الأرض ..
ترسمُ دائرةً صغيرة مثل نقطة تحوطها خيوط كثيرة
خطوط اشعة الشمس ، كالتي يرسمها الاطفال على الرمال .

* * *

على الاصابع حسبنا .
بعد غدٍ سيحل نيسان وعيدُ الفصح
ويتبادل الناس قُبلَ الحب .
أما هم فقد رموهم بالرصاص .
ما أشبه هذه الوجوه بساعات ..
توقفت عن الحركة ..
كم هو الوقت ؟ كم هو الوقت اليوم ؟
من اوقف الساعات ؟
ومَنْ أخّرَ حلول نيسان ؟
ومن رسمَ الصلبان السوداء على الابواب ؟
ومن هو الذي اماث الابتسامة في عيون الامهات ؟
كم هو الوقت الآن ؟
السيجارة تحترقُ اسرعَ من المعتاد
كم هو الوقت الآن ؟
اخبروني . كم هو الوقت ؟
« ليني » رجَعت من السوق ..
بسلةٍ فارغة .
قالت : لم ذهبتُ هناك ، لا أدري
اينما وليتُ وجهي اجد نفسي وجهاً لوجه معهم .
اولئك الذين قتلوهم بالرصاص
اذا ما قلتَ الآن لي شيئاً
فسوف انساهُ ، لكني لن انسى وجوههم
اشتبك ثوبي بالصلبان
الأمواتُ يشدونني اليهم .
طفلي ، بُني ، سافعل كل ما يقولونه لي ..
فقد ماتوا من أجل حياتك
لا تنسَ ذلك .

اذا صُنتَ العهد فلن يكونوا
في عداد الاموات .
« اليكوس » لا يتفوه بكلمة
اصابعه وحدها تتحرك بانفعال
في جوربه المثقوب
هذا كل شيء ولا شيء آخر .
اصمتوا .
في الريح يقف الناس سكوتاً
قبضاتهم مشدودة في جيوبهم
يحطمون بها الألم .
كم هو الوقت ؟ كم هو الوقت الآن ؟
اصمت . اصمت ولدي . عليك ان تحفظ العهد
اصمت : الشعوب تمرّ تحمل على اكتافها النعش العظيم —
نعش بيلويانيس .

كلا يابيلويانيس ، لا يليق بك هذا الحزن الصامت ..
وغير جديرة بك الاشرطة السوداء معلقة بطوق الربيع الأزرق .
لك الطبول الكبيرة والأبواق الهائلة
لك الاجراس الجبارة والمسيرات العاتية
لك قَسمُ الشعوب العظيم على نعشك
لك اليوم الثلاثون من آذار ..
يومٌ سيسجلُ عيداً في التقويم الجديد
لابطال وشهداء السلام .

ما اشبه تلك الوجوه بساعات
توقفت عن الحركة .

كم هو الوقت اليوم وكم سيكون غداً ؟
صعدتَ على اكتاف خارون(*)
وحرّكتَ بيدٍ عجلى ساعة الشمس
كي يدور عقرباها اسرع
ويمضي ذلك اليوم ويتوارى الحزن عن عيوننا
ويزول الظلم من العالم .
العقربان ينسابان على الأفق
ويداعب الشعاع الوجوه .
حرّكتَ ساعة الشمس ..
محركها يدور ويدور الى ان يلتقي العقربان
في ساعة السلام ..
وحتى يجد الكون نفسه في حُب ووئام .
دَعوا ابواق وطبول الحرية تدوي .

في قلبك نبضَ دمُ الشمس يا « نيكوس » .
عندما جُستَ خلال خرائب الخريف
تحمل في جيبك خارطة مدينتنا الجديدة .
لأجل ذلك ابتسم الشعب في عينيك .
ذهبت عنا يانيكوس ، لكنك أجّجتَ
بقرنفلة من اللهب شجاعة العالم .
وايقظت الأمل في قلوب الشعوب
واشعلت في فلك العالم نجمة السلام —
عالياً فوق وديان موتانا
وسقطت صريعاً ملصقاً
أذنك بقلب العالم تسمع خطوات الغد
خطوات الحرية وتعيش المستقبل :

ملايين من البيارق الحمراء ترفرف فوق ابتسامات الاطفال
وضحكات الجنائن .

ولّى النهار وأقبل الليل بأنائه المحطم .
لا تتحدثوا عن الخوف من ذلك الليل ،
لا تستسلموا ، اسمعوا :
انسان مبتور الساق يجرّ نفسه
على عكازه فوق الرصيف ويقسم ..
بأسم بيلويانيس ، على ان يكون وقعُها اقوى
ومعتوه يجري خلف الريح ويصرخ :
« من سرق مني فرسي الحمراء ؟ لصوصٌ لصوص
اخنقوهم حين تجدونهم» .
اقسموا باسم بيلويانيس على ان تبحثوا
عن فرسه المسروقة .
الليل يمزق بسكينه الأحلام
وشجرة يصير لها جناحان.طفل يترعرع .
اقسموا بان يحصل الطفل على خبزه وكتابه
وان يتعلم كتابة كلمة : احبك .
وان تكون الشمس في متناوله
الشيوعية شباب العالم
حريته وبهاؤه . اقسموا .
بيلويانيس ببكي عندما نكبو.
اقسموا بان تكون العجلات التي تدور كل يوم قوية
اقسموا بان يكون صوت بائع الكعك المتجول
مليئاً بالثقة والأمل :
سنشتري احذية جديدة

ونبني لنا بيتاً بثلاث غرف ..
بيضاء كالثلج وسيكون لنا مطبخٌ كهربائيٌّ
ومكواة لقمصان الربيع المخططة
وسنقرأ شعراً تحت اشجار البيلسان
ونُنجز مشروعنا قبل الموعد .
كل ساعة كل دقيقة مزيداً من الحرية
وقسطاً اكثر من الحب
المصنع الجديد وحي العمال الجديد .
كم هي غير مألوفة ستكون فرحتنا فيما بعد ..
عندما نموت .

سننظر بغبطة كبيرة الى الايام المُقبلة
في منعطف الافق ..
كنظرتنا الى عربات القطار السائرة صوب مدينتنا
الاشتراكية « بيلوبانيس غراد » . اقسموا
غداً وبعد غدٍ سنعود من الامنا القاسية الى عملنا
ونأكل خبزنا كل يوم ، خبزاً طيب المذاق
مهما كانت الأيام مُرّةً .
علينا ان نأكل خبزنا ، علينا ان نعيش ..
كي نعطي حياتنا حقها .
سنكون على اهبة الاستعداد حتى اثناء تناول الطعام .
اننا نعرف : ثقيلة هي تركة بيلوبانيس ، سنحملها
على كواهلنا تركة بيلوبانيس .
جراحُنا ستزداد عُمقاً مثل ثقتنا .
تركتك بيلوبانيس سنحملها على كواهلنا
حتى بوابة الشمس .

نهاركم سعيد يا أخوتي
نهارك سعيد ايتها الشمس
نهارك سعيد ايها العالم
بيلوبانيس علمنا كيف علينا ان نعيش
وان نموت
فتح باب الخلود بوردة قرنفل
وانار العالم كي لا يسجي ليلٌ
نهاركم سعيد ايها الرفاق
نهارك سعيد ايتها الشمس
نهارك سعيد يابيلوبانيس
مرة اخرى .. مرة ثانية
ناضلت من أجلنا يا « نيكوس »
وانتصرت لنا ، كلنا وبرهنت
في زمن مثل هذا ، كم هي ضئيلة
الاحلام الصغيرة وكراسي الخيزران في الحديقة
والمائدة المطلية بالدهان الاخضر .
والطمأنينة ليلا في سرير النوم .
كم هي تافهة هذه الاشياء
إزاء السعادة الكبرى في ان يموت المرءُ
من اجل سعادة العالم .
برهنت كم هي هزيلة الحرية ..
في ان يُقبّلَ المرءُ ثغراً ويجلس في الأماسي ..
صامتا على مصطبة حجرية
غير ملزمٍ بشيء وغير مسؤول امام أحد ،
يطبق عينيه على نجمتين دافئتين
ويحفظهما في صدره كمفتاح البيت والساعة ..
التي يضعها تحت وسادته قبل النوم

كم هي هزيلة هذه الحرية ، اما الحرية ..
الجامحة في ان ينتزع الانسان قلبه ..
كقرنفلة ، من صدره كي يفوح العالم ..
بعطر الضحايا والسلام .
ما اغنى سعادتنا بالألم من أجل ان يصير الانسان انساناً
سعادتنا نحن في ان نحرس ، ليل نهار ، قمة العالم
نرعى النجوم فوق الاطلال
ونغلي في إناء الليل الهائل
حليباً دسماً ، حليب الفرحة لاطفال ...
الأجيال القادمة .
نحن مثلك يانيكوس .
بألم تملؤنا الغبطة من اجل ان .
يصير الانسان انساناً
تحية ايها الناس الطيبون
تحية ايتها الشمس
تحية يا بيلويانيس

( ) جاء في الاساطير الاغريقية ان خارون كان ينقل الموتى عبر النهر الفاصل بين عالمي الاحياء والاموات (م.ك)



متابعة نقدية :

قراءة لاطروحة الندى

ناظم مهنا

في محاولة لالتقاط تحولات النص الشعري التأسيسي الذي قدمه كريم عبد في مجموعته الثانية «اطروحة الندى» أقول : التأسيسي نتيجة لقراءة بناء نصي مؤسس شعريا وفي هذه القراءة سنحاول قراءة هذا البناء والرموز التي تأسس عليها .

ينفلت النص في «اطروحة الندى» على مساحة من البياض ويتحرك ضمن مكانية مدينية حميمة وشيقة في الأماكن التي يعيش فيها الحب ، او الصفاء الصوفي (في السوق ، الشارع ، المدرسة ، البستان) ان حركة حبه تتحرك ضمن هذه الاماكن مثلا « أبوسك في الأسواق /أسرق اساورك» هذا التصابي الشفاف وهذا التكرار للحروف التي لها ذاك الرنين الوجداني ـــ ابوسك ـــ أسواق ـــ أساورك ـــ أسرق

(التنورة ، فستان ، قطرة الندى) مفردات تتكرر كثيرا في نص كريم عبد على ايقاع عاطفي حزين جواني بشكل عام ، ونسق غنائي شفاف يتكون بالشكل الدائري المغلق للجملة وللقصيدة وللدلالات مثل التنورة او «المدينة سرير /والدنيا بقميص شفاف» ص٥٦

أما فيما يخص تركيب الصورة الشعرية في «اطروحة الندى» فهي تتوزع على ثلاثة مستويات :

١ ــ مستوى افقي خارجي
٢ ــ مستوى عمقي جواني
٣ ــ في المستوى الثالث يتعرض التركيب للوهن والصورة للتقزيم وسأعرض مثالين على ذلك .

ــ الأول يقول : «تنتابني رعشات الحشائش /تحت بطون الغزلان» ان القسم الثاني من الجملة قام بتدمير الايحاء المألوف التفسيري ولم يعد للجملة بعدها المفتوح الذي يكثف الايحاء حين يقول «تنتابني رعشات الحشائش..» لكنه لجأ الى شرح الجملة وتذييلها حين قال «تحت بطون الغزلان» اي الحشائش ترتعش تحت بطون الغزلان .

ــ والثاني يقول : «ذكرياتك ازرار قميص» صورة مغلقة منفرة لا شاعرية هذا هو النافر في قصائد المجموعة .
لكنه يعود الى الصور الغالبة الاكثر تكثيفا حيث تغدو الجملة الشعرية منطلقة صافية صقيلة «اسرارك يانعة في الماء» والتركيب الافقي يشفع لكريم الوقوع في السرد الشعري احيانا حيث يغدو الايقاع مسترسلا يذهب بك بعيدا .

«وفي ذلك الشارع الطويل المتعالي /وجدت الزمن يضحك» ونسوق هذا التركيب الذي يتجه بحركته نحو العمق نموذجا لاحصرا «تهبط وردة من قلبي الى قاع الليل»
وفي مكان اخر يقول :

«حين تهطل الامطار
تهطل الامطار
على
ابواب المدن
نكون أنا والبرق
نردد أسمها في ثنايا الهواء»

الفعل الشعري السائد في المجموعة فعل آني يتضمن المقُبل في ثناياه يكثر من استخدام المضارع «يهبط ــ تهطل ، سنعود ، نردد... الخ» سأتوقف الآن عند قصيدة نموذج وسأدرسها في محاولة لمعرفة النسق الشعري عند كريم عبد .

ومن المفيد ان نقول : ان زمنية كتابة القصائد كما دون تحتها «كريم عبد» هي من

عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٥ ومكانيتها بين بغداد ودمشق.القصائد التي أرّخت بالثمانينات يغلب عليها الايحاء الصوفي الاسلامي والعشق المتخفي بالمفردة الصوفية اما القصائد التي كتبت في السبعينات فيغلب عليها طابع الشعر الاغترابي عموما البريفيري خاصة وقصيدته التي بعنوان «ربما» والتي كتبها في بغداد ١٩٧٧ نموذجا على هذا النوع الثاني وهي :

«أنا وردة أو تراب
ربما
وربما كومة أشواكٍ تأكل نفسها
ذات يوم
سنعود الى البيت
أنا وأنت
ربما
وربما أنا والغبار
الفتاة الواقفة تحت الشجرة
أهي حبيتي ؟
ربما
وربما لافتاة ولاشجرة» ص٦٦

للوهلة الاولى تبدو هذه القصيدة البريفيرية بمفرداتها ومبناها في منتهى البساطة لكنني أزعم انها تحقق وحدة تكاملية بين المبنى والمعنى ، وثمة خلفية تحتوي طاقة ايحائية في كل جملة من هذا المقطع ، وفي تفكيك لجزيئات هذه القصيدة نجد انها مكونة من لوحتين رئيسيتين وكل لوحة من عدة عناصر .

اللوحة الأولى :

أ ــ وردة + تراب
ب ــ كومة أشواك تأكل نفسها
جـ ــ العودة الى البيت أنا وأنت ربما
د ــ وربما أنا والغبار

اللوحة الثانية :

أ ــ فتاة واقفة تحت الشجرة ربما هي حبيبة الشاعر

ب ـــ ثم بنفي تشكيكي احتمالي نحمل في طياته الخيبة ويمحو اللوحة ليترك بياضا مريرا مذبوحا حين ينهي الاحتمالات بهذه «الربما» ربما لايوجد فتاة ولا شجرة

ان اللوحة الثانية مرتبطة باللوحة الاولى بحركة دائرية تعود اليها تجردها وتجلوها . فحيث لافتاة ولاشجرة . ثمة وردة وتراب ، وكومة أشواك تأكل نفسها ، وثمة غبار .

ان كل مفردة من مفردات هذه القصيدة تؤدي دورها الوظيفي في تكوين مبنى القصيدة ودلالته ، فنظرة كلية للقصيدة تمنح قارئها جوا سرابيا خادعا حيث لاشيء سوى الخواء . فالقصيدة هنا ككل هي معادل موضوعي للواقع.ان اطروحة الندى تحمل وجدان شاعر يتعامل مع الحساسية الخارجية برهافة وصفاء ويقدم خلفيات لصورة الواقع عبر الحب والتساؤل .

بقي ان نلفت الانتباه الى الاخراج الفني للمجموعة واللوحات الداخلية للفنان العراقي قاسم الساعدي استخدم فيها الخطوط التشكيلية والخط العربي المرسوم . وهي تحتاج لوقفة طويلة ، لكن اقل مايمكن ان يقال عنها : انها كانت منسجمة مع جو المجموعة .



نشـــاطـــات

□ عروض مسرحية وغنائية ولقاءات ناجحة في مدن الجماهيرية الليبية □

بدعوة من اللجنة العليا لمهرجان النهر الصناعي العظيم ساهم وفد مسرحي وفني من اعضاء رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين ــ فرع سوريا جنبا الى جنب مع الوفود الأخرى القادمة الى ليبيا في الاحتفالات التي تقيمها الجماهيرية على شرف مشروع النهر الصناعي العظيم.لقد قرأ الاخوة في ليبيا والوفود المشاركة عيون فنانينا الناطقة بالأصرار على الانتماء الى قضية الشعوب ، قبل استماعهم الى الاغنية والحوار ... حيث تم لوفد الرابطة ماكان مرسوما من أهداف نبيلة في التعريف بمحنة الثقافة والفن الديمقراطيين العراقيين والتعرف على اوجه النشاط الثقافي في ليبيا . كانت القرية السياحية تستقبل الوفود تباعا ، بينما وفد الرابطة الذي استقبل بودٍ كبير ، وقدمت له تسهيلات كبيرة حيث أقام على شاطيء البحر قريبا من بنغازي ، أو حيث ارتحل الى ضواحي طرابلس والمدن الليبية الأخرى على ضوء برنامج فني مكثف حيث قدمت فرقة بابل المسرحية اربعة عروض لعملها الجديد (المملكة السوداء) من إعداد وإخراج (روناك شوقي) وتمثيل : زينب ، ايمان خضر ، روناك شوقي ، ابراهيم المقدادي ، ابتهال . ديكور : قاسم الساعدي .

تميزت العروض بحسن إيقاعها وحرصها على تلمس اثار الحرب العدوانية بين العراق وإيران وانعكاساتها على أرواح الشخصيات المثقلة بالحرب والانتظار والقمع .. وأجاد الممثلون في أداء المشاهد ، الأمر الذي حظي باعجاب النقاد ؛ الدارسين والجمهور ، كما اعقب احد العروض نقاش نقدي موضوعي لتفصيلات العمل والحوار والايماءة المعبّرة ، وخلص المتحدثون الى رقي المضمون الانساني المعبر عن هاجس الانسان العربي في السلام والحرية والحب ، وإدانة الحرب العدوانية .

أما فرقة بابل الغنائية ، فقدمت أكثر من (١٥) أمسية غنائية تألق فيها الفنانون العراقيون وترددت الاغنية العراقية الجادة على ألسنة الحضور ، كما شاركت فرقة الطريق في هذه الاماسي ليتنوع الأداء ، واستمع الحضور الى اغانيها بشغف ، ولم تقف لهجة الأغاني عائقاً في طريق التوصيل والتواصل معها .

لقد اتيحت لفناني الرابطة فرصاً طيبة في التعرف على وقع وايقاع اغنياتهم ، كما اتيح لهم اجراء جملة من اللقاءات التلفزيونية والأذاعية والصحفية تحدثوا فيها عن معاناة الفنان العراقي في المنفى وتراث العراق الغنائي والمسيرة النضالية والابداعية للفرقتين العراقيتين الطريق وبابل . وكان فنانو المسرح في فرقة بابل ، قد أجروا لقاءات وأحاديث مماثلة في مجال المسرح وتجربة كل فنان مسرحيا ونضاليا .

وفي استوديوهات الاذاعة في الجماهيرية سجل فنانو الرابطة الموسيقيون عدداً من اغنياتهم التي بدأت الاذاعة ببثها فور انتهاء التسجيل ولأيام متلاحقة .

كما وزع اعضاء الوفد ، (كتاب الحرب ... كتاب المنفى) الذي ضم قصائد عدد من الشعراء العراقيين التي شكلت الحرب فيها المناخ العام للقصيدة .

وفي اللقاءات الشخصية والموسعة (بين رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين ورابطة الكتاب الليبيين) جرى تبادل وجهات النظر حول ابرز مهمات الفنان والأديب العربي في مواجهة العنف والتشريد اللذين تتبعهما الانظمة العربية القمعية التي يقف (العراق) في مقدمتها ، كما شرح اعضاء وفد الرابطة أهدافهم الديمقراطية والطبيعة التنظيمية لرابطتهم ونضالها من أجل ثقافة وطنية ديمقراطية تسهم الى جانب نضالات شعبهم في التحرر والديمقراطية وانهاء الحرب والتقدم الاجتماعي ، وبالمقابل فقد أبدى الأخوة ، ادباء وفنانو ليبيا تفهما وتضامنا كبيرين وعبروا عن استعدادهم اللامشروط للتعاون المشترك ودعم نتاجات الفنان الديمقراطي العراقي واقترحوا جملة من

الاعمال الفنية والادبية المشتركة تعزيزا لمسيرة الأدب والفن التقدميين بمواجهة (أدب) التبعية للامبريالية والصهيونية والرجعية وإعلامها التضليلي الذي يستهدف عموم منطقتنا ، ويسعى لتطويق الحركة الثقافية العربية الديمقراطية تمهيدا للهيمنة الفكرية والسياسية بالضد من ارادة الفنان والمثقف الطليعيين .

وعلى هامش البرنامج الفني ، تميّزت ليالي المدينة السياحية ، على ساحل المتوسط ، في بنغازي ، بتلك السهرات الفنية التي دعمت اواصر الأخوة والصداقة مع فناني ليبيا وفناني الوفود الصديقة في الدول الاشتراكية ، مما قرب من نبض القلوب وتطلع الفنانين المشترك نحو حياةٍ سعيدة يغمرها السلام و الصداقة بين الشعوب مهما تباعدت المسافات والرؤى والمواقع .

يمكن اعتبار ان وفد فرع دمشق، للرابطة، قد حقق الاهداف المرجوّة من مشاركته تلك ، الامر الذي يتطلب التفكير بأيجاد السبل الكفيلة باستمرار مثل هذه اللقاءات والتعاون خارج اطار المهرجانات والمناسبات ، والعمل على إيصال صوت وفكر المثقفين والفنانين الديمقراطيين ، والتعريف بنتاجهم الفني ونضالهم الشاق ، وبما يعزز من دور الفنان المكافح دعما للنضال ضد الارهاب والقمع والحرب العدوانية .

(متابع)

أصدرت رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين بياناً
استنكرت فيه الاجراء التعسفي ضد رابطة الكتاب الأردنيين وفيما يلي نصـّـــه :

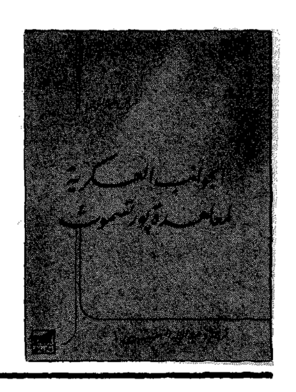
تلقينا بسخط بالغ قرار الحكومة الاردنية باغلاق مكاتب رابطة الكتاب الأردنيين ، ونحن في الوقت الذي نستنكر فيه مثل هذا الاجراء التعسفي الموجه ضد مؤسسة ثقافية عملت الكثير في سبيل الثقافة الوطنية الأردنية وقيمها الديمقراطية وأسهمت في تعميق الوعي بالقضايا القومية ، نرى فيه امتهاناً لحرية الفكر والكلمة وتعميماً للقمع الذي يسم حياتنا العربية ، بمصادرة ايّ هامش ديمقراطي مهما يكن صغيراً .

إننا اذ نطالب بإلغاء هذا الاجراء نؤكد تضامننا المطلق مع زملائنا الكتاب الأردنيين وكل القوى الوطنية في نضالها من أجل الحريات الديمقراطية ، وندعو الاتحادات والمنظمات الثقافية العربية ، وكذلك المثقفين العرب الى التنديد بهذا الاجراء والدعوة الى الغائه والتضامن مع زملائهم الأردنيين .

سكرتارية رابطة الكتاب
والصحفيين والفنانين الديمقراطيين
العراقيين
١٨ / ٦/ ١٩٨٧

اصدارات

الجوانب العسكرية لمعاهدة بورتسموث



عن دار بابل صدر كتاب (الجوانب العسكرية لمعاهدة بورتسموث) للكاتبة البريطانية فران هيزلتون ، ترجمة عبد الاله النعيمي ، وهو عبارة عن دراسة اكاديمية موجزة تميّزت بالتعاطف مع مصالح الشعب العراقي وقواه السياسية الوطنية ، سلطت فيها الكاتبة الاضواء على بنود معاهدة بورتسموث «التي لم يُقيض لها أن ترى النور بفضل يقظة الجماهير الشعبية وعمق وعيها السياسي وكذلك بفضل حزم القوى والأحزاب السياسية الوطنية وثباتها وتفانيها في النضال من أجل تحقيق السيادة الوطنية كاملة في جميع جوانبها السياسية الاقتصادية والعسكرية» .

أناباز



عن دار الأهالي في دمشق صدر كتاب (اناباز) للشاعر الفرنسي سان جون بيرس ترجمة الشاعر عبد الكريم كاصد ، وهو عبارة عن قصيدة طويلة كتبها سان جون بيرس عندما كان موظفاً في السلك الدبلوماسي في بكين إثر رحلة في صحراء (جوبي) .وتسمية القصيدة مأخوذة من كتاب (اناباز) الذي ألفه (اكسينفون) اليوناني ، تلميذ سقراط ، والذي يروي فيه تقهقر جيش المرتزقة اليوناني الذي كان يقوده في وقائع مشهورة الى داخل اليونان والكلمة في اليونانية تعني (الحملة إلى الداخل) .



بيان مشترك حول التعاون بين الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي

تداول وفدان قياديان من حزب البعث العربي الاشتراكي (قيادة قطر العراق) والحزب الشيوعي العراقي في الوضع الراهن الذي تمر به بلادنا والاخطار المحدقة بها جراء استمرار الطغمة الدكتاتورية الفاشية في الحكم ، وارهابها الدموي ضد شعبنا ، وحربها المدمرة ، وضرورة تعزيز النضال لاسقاط هذه الطغمة .

وتوقف الطرفان عند تطورات الحرب الكارثية التي اشعلها صدام حسين منذ سبع سنوات ضد ايران بدفع من الدوائر الامبريالية والرجعية ، وما سببته من كوارث للشعبين الجارين والخدمات التي يقدمها استمرارها وتصعيدها للاوساط الامبريالية والرجعية واسرائيل ، ومنها تكثيف الوجود العسكري الامبريالي — وخصوصاً الامريكي — لمنطقة الخليج ، ومحاولة تدويل الحرب وتوسيعها . واتفقا على ضرورة العمل على ايقافها وانهائها وفق اسس تخدم مصالح الشعبين والبلدين ووضع طاقاتهما في مواقع حركة التحرر الوطني العربية ضد الامبريالية والصهيونية ، وضمان أمن وسلام المنطقة .

وفي اطار المناقشات الرفاقية الجادة للتجربة التاريخية التي مر بها العمل الوطني العراقي ونتائجها العملية ، اكد الطرفان أهمية العمل الحثيث لاقامة الجبهة الوطنية العريضة وارسائها على اسس راسخة من الاحترام والتعاون المتبادل والتنسيق في المواقف النضالية مع الحفاظ على الاستقلالية السياسية والتنظيمية والفكرية ، وحرية النقد الايجابي المسؤول والابتعاد عن الهيمنة والوصاية والتمحور ، واشاعة الاجواء الديمقراطية في العمل الوطني ، والافادة من كل التجارب والصيغ السابقة التي يمكن ان تساعد على السير نحو اقامة الجبهة الوطنية العريضة ، التي تضم كل القوى الوطنية المعادية للدكتاتورية الفاشية والحرب والمناضلة من اجل صيانة الاستقلال الوطني . والسيادة الوطنية ، ووحدة البلاد وحرمة ترابها وتحقيق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان .

وأكد الطرفان أن شعب العراق ، بقواه الوطنية كافة ، هو وحده صاحب الحق في اقرار البديل الذي ينسجم مع مصالح العراق الوطنية واساليب النضال الكفيلة باسقاط الجلاد صدام حسين وزمرته دون تدخل او وصاية خارجية .

ويؤكد الحزبان أهمية اقامة الصيغ المناسبة والفعالة على الصعيدين الثنائي والجبهوي للتنسيق بين أطراف المعارضة الوطنية : القومية والديمقراطية والشيوعية والدينية ، عرباً وكرداً وأقليات ، وعدم استثناء أي جهد فعال وأي طرف وطني لحشد جميع القوى وتعبئتها في الجبهة الوطنية العريضة المنشودة .

واتفق الطرفان على تطوير العمل المشترك في ميادين الاعلام والنشاطات السياسية العربية والدولية ، وبلورة المواقف الموحدة تجاه القضايا الوطنية والقومية والدولية ، بما يعزز مواقع الحركة الوطنية العراقية وحركة التحرر الوطني العربية ، ويجسد مواقف الحزبين المشتركة في دعم النضال العربي المعادي للامبريالية والصهيونية وفي مقدمته نضال سورية الصامدة والثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

كما اتفقا على التوجه لاقامة الأشكال المناسبة من التنسيق بين المنظمات الديمقراطية والجماهيرية العراقية في المحافل العربية والدولية وتمكينها من تنشيط دورها ومبادراتها المشتركة .

واتفق الطرفان على عقد اجتماعات منتظمة على مستوى قيادي لتنفيذ بنود هذا البيان .

الحزب الشيوعي العراقي

حزب البعث العربي الاشتراكي
(قيادة قطر العراق)

أواسط حزيران ١٩٨٧

الى مندوبي المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي التونسي

الرفاق الاعزاء ...

يسرنا ان نغتنم فرصة انعقاد مؤتمركم العتيد لنتوجه بالتحيات الرفاقية الحارة اليكم والى كل اعضاء ومؤازري حزبكم الشقيق مقرونة بالتمنيات الصميمية بالنجاح التام في تحقيق المهمات التي اتخذتموها على عاتقكم في النضال في طليعة الطبقة العاملة التونسية وجماهير الشعب الكادح .

ان الشيوعيين العراقيين ينظرون باعجاب الى الكفاحية العالية التي يتحلى بها أشقاؤهم الشيوعيون التونسيون في النضال من أجل توطيد الاستقلال الوطني وانتهاج سبيل تقدمي لتطور البلاد في ظل التعددية السياسية والديمقراطية ومن أجل المصالح الحيوية للطبقة العاملة وحقوقها السياسية والنقابية ، وفي سبيل التضامن العربي الكفاحي ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وفي سبيل الغاء جميع القواعد العسكرية الاجنبية وجعل منطقة البحر الابيض المتوسط والشرقين الادنى والاوسط والبحر الاحمر منطقة منزوعة السلاح النووي ، وفي النضال من أجل درء مخاطر حرب نووية وتوطيد أمن وسلام العالم . كما ان حزبنا يشاطركم في التأييد الثابت للمقترحات السلمية السوفييتية المتعاقبة التي من شأن الأخذ بها حماية البشرية من الهلاك في حريق الحرب النووية .

ورحب حزبنا بالنتائج الايجابية التي تحققت لاستعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على اساس النضال الثابت ضد الامبريالية والصهيونية وفي سبيل استعادة حقوق الشعب الفلسطيني العادلة في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة ، ونأمل أن تستكمل هذه النتائج بعودة العلاقات الكفاحية بين سوريا الصامدة في وجه المخططات الامبريالية الصهيونية ومنظمة التحرير الفلسطينية وأن يكون هذا خطوة على طريق انجاح الجهود من أجل عقد المؤتمر الدولي الخاص بالشرق الأوسط .

أيها الرفاق الاعزاء ..

ان بلادنا تكتوي بنار حرب رعناء منذ ما يقارب السبع سنوات ، بدأتها الطغمة الدكتاتورية الفاشية الحاكمة في بغداد ضد ايران بدفع من الامبرياليين والرجعيين وتحقيقاً لميولها التوسعية واطماعها ، بعد ان شنت حملة ارهابية بربرية ضد حزبنا الشيوعي العراقي وسائر القوى الوطنية والتقدمية وصفّت كل اثر للحريات الديمقراطية .

وقد سببت الحرب مآسي فظيعة للشعبين الجارين وخسائر فادحة في الارواح والثروات لم يسبق لها مثيل وهي تستمر ويزداد تصعيدها ، الذي يقف وراءه الامبرياليون ويسهم فيه كلا الجانبين ، رغم ارادة الشعبين الجارين ، ورغم مجهودات كل القوى المحبة للسلام في العالم من أجل الايقاف الفوري للحرب والانسحاب الى الحدود الدولية التي انطلقت منها الحرب وحل المشكلات القائمة بين البلدين بالطرق السلمية وفي مصلحة الشعبين الجارين .

ان حزبنا الشيوعي العراقي الذي ادان اشعال هذه الحرب من جانب النظام الرجعي الدكتاتوري في العراق

يدين اليوم ايضاً اصرار ايران على مواصلتها ، ويجد في ذلك تهديداً خطيراً لاستقلال وسيادة البلدين ، ويوفر ظرفاً مناسباً لتعزيز الوجود العسكري الامبريالي ، وخصوصاً الامريكي في منطقة الخليج ، وتهديداً مباشراً للامن والسلام في المنطقة وفي العالم اجمع .

ان شعبنا وقواه الوطنية ، وفي طليعتها حزبنا ، يناضل من اجل انهاء الحرب فوراً واسقاط الدكتاتورية الفاشية واقامة البديل الديمقراطي الذي يتمثل باقامة حكومة وطنية ديمقراطية ائتلافية تحقق السلم للوطن والديمقراطية للشعب العراقي والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق .

غير ان النظام الدكتاتوري يجابه نضال شعبنا بالحديد والنار والارهاب الدموي والاعدامات الجماعية وسياسة الارض المحروقة ضد الشعب الكردي . ولجأ في الشهرين الاخيرين الى ضرب القرى الآمنة في كردستان ومواقع الاحزاب الوطنية . ومنها حزبنا الشيوعي العراقي بالقذائف الكيماوية الحارقة والسموم مما ادى الى استشهاد المئات من المواطنين بينهم عدد من رفاقنا ومن القوى الوطنية الاخرى .

اننا في الوقت الذي نحيي مؤتمركم ونتمنى له النجاح ، نتطلع الى المزيد من تضامنكم — وكل القوى التقدمية في تونس — مع نضال حزبنا وشعبنا .

النجاح للمؤتمر التاسع للحزب الشيوعي التونسي !

وليعش السلم !

ولتحيا الشيوعية !

اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي
١٩٨٧/٦/١٠

بيان مشترك صادر عن الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا والحزب الشيوعي العراقي

التقى وفدان من قيادة الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا والحزب الشيوعي العراقي في اوائل مايس (ايار) ١٩٨٧ وتدارسا التطورات في العراق وجنوب افريقيا . واوليا الاهتمام بشكل خاص للتطورات الاخيرة في الحرب المستمرة بين العراق وايران وحملة الارهاب في العراق ، والأزمة المتعمقة للنظام العنصري بالارتباط مع تصاعد النضال الجماهيري الثوري البطولي لشعب جنوب افريقيا . ونتيجة للتباحث بين وفدي الحزبين الشقيقين اتفقا على اصدار البيان التالي :

من أجل المزيد من التضامن العالمي مع شعبي العراق وجنوب افريقيا

في العراق :

ان الحرب التي شنها النظام الدكتاتوري في العراق ضد ايران والجارية منذ ست سنوات ونصف السنة اوقعت أفدح الخسائر البشرية والمادية والمالية بالشعبين الجارين ، كما انها تهدد استقلال وسيادة البلدين وتعرض أمن وسلام المنطقة والعالم لمخاطر جدية . وخلال هذه الحرب تحمل الطرف العراقي حتى الآن خسائر بشرية تقدر بـ (٣٠٠) ألف قتيل وحوالي (٥٥٠) ألف جريح ، اضافة الى خسائر مالية هائلة وتدمير شديد للاقتصاد الوطني . كما انها كلفت الشعب الايراني خسائر أفدح من ذلك بكثير .

ويستخدم النظام الدكتاتوري في العراق أوضاع الحرب الجارية ليشدد الاضطهاد على الشعب العراقي

وقواه وأحزابه الوطنية والتقدمية والنقابات والمنظمات الجماهيرية وضد الشعب الكردي والاقليات القومية في العراق . ويقبع في سجون العراق ومعتقلاته أكثر من (٣٥) ألف مواطن . كما تعرض للموت آلاف المناضلين تحت التعذيب أو الاعدام لاسباب سياسية .

ان الحرب الدموية الجارية بين البلدين الجارين تعتبر بؤرة خطر من بؤر التوتر في العالم . وتستثمر الامبريالية ، وبخاصة امبريالية الولايات المتحدة الامريكية ، التي دفعت وساندت اشعال هذه الحرب وتساهم في مواصلتها . لتزيد من وجودها العسكري في منطقة الخليج وتدخلها في شؤون المنطقة واقامة المزيد من القواعد والاتفاقات العسكرية المخلة بسيادة واستقلال بلدان المنطقة . وبرهنت صفقات الاسلحة الامريكية الى ايران من جهة وتزويد العراق بالمعلومات العسكرية والاستخباراتية لضرب المواقع الاقتصادية والعسكرية في العمق الايراني من جهة اخرى ، على رغبة امبريالية امريكا الشمالية على استمرار هذه الحرب لتستفيد منها مع حكام اسرائيل الرجعيين لتحقيق اطماعها التوسعية وضرب فصائل حركة التحرر الوطنية وتصفية النظم الوطنية في منطقة الشرق الاوسط .

ومن المؤسف حقاً ان تفشل حتى الآن الجهود الدولية التي بذلت لايقاف الحرب بسبب تعنت النظامين وتشديدهما الحرب . وترفض ايران كل الوساطات التي تسعى الى ايجاد حل لهذه الحرب وايقاف نزيف الدم . مما يتطلب بذل المزيد من الجهود الخيرة لوضع حد نهائي لها .

في جنوب افريقيا :

يتسم الوضع في جنوب افريقيا بلجوء نظام بوثا بشكل متزايد الى القمع في الداخل بالترابط مع العدوان في الخارج في محاولة لسحق النضال المتصاعد ضد جور سياسة التمييز العنصري . ان النظام في وضع ازمة . فهو لم يعد قادراً على الحكم بالطريقة القديمة . كما أن الشعب لا يريد أن يُحكم بالطريقة القديمة . وفي الفترة الأخيرة استطاعت الحركة الثورية أن تحقق تقدماً كبيراً لانها تمكنت من تعبئة جماهير الشعب في النضال في المناطق المدنية والريفية وجعلت البلاد غير قابلة لأن تُحكم . ويُجبر النظام العنصري على الاعتماد بصورة متزايدة على الشرطة والقوات المسلحة والسلاح لقتل وسجن وتعذيب عشرات الآلاف من الرجال والنساء والاطفال ، ولكنه لم يتمكن من سحق المقاومة ولم يكن قادراً على تطبيق سياساته بالرغم من سلطات الطوارىء التي استخدمها منذ حزيران / يونيو ١٩٨٦ . وفي العديد من المناطق تمتلك لجان الشوارع والمناطق المنتخبة من قبل الشعب سلطة اكبر من المجالس التي قام النظام بتنصيبها والتي اصبحت عاجزة عن العمل . فالايجارات لا تُجمع وتُرفض الزيادات في اجور الباصات ويُقاطع تعليم البانتو في المدارس والجامعات المعزولة عنصرياً . والاقتصاد في حالة أزمة ، والنظام عاجز عن تسديد ديونه . وتنسحب الشركات المتعددة الجنسية الضخمة من البلاد ويزداد صعوبة الحصول على الرأسمال الاجنبي بسبب هبوط معدل الربح الى الصفر في العديد من الصناعات . وفي ميدان العمل تُسجّل انتصارات كبيرة من قبل الحركة النقابية التي تنتشر بسرعة والتي تنظم الطبقة العاملة اكثر فاكثر ليس فقط لمجرد تحسين الاجور وظروف العمل ولكن من اجل التغيير السياسي والاجتماعي .

وقام النظام بالرد على هذه الضغوط أولاً بمحاولة اظهار نفسه كقوة تسعى من أجل ما يسمى « اصلاح » ، ولكن فيما بعد باللجوء الى حملة ثابتة وشاملة من القمع ضد القوى الديمقراطية . ولم تستطع القوة ولا « الاصلاح » استعادة السلام والاستقرار لجنوب افريقيا . وأصبحت عسكرة البنى الحكومية سمة دائمة ومكشوفة لدولة التمييز العنصري الفاشية التي تقف مفضوحة اكثر من أيّ وقت مضى كأداة للقمع من أجل الدفاع عن سلطة وملكية البرجوازية . ان الاستيلاء على السلطة من قبل التحالف الثوري بقيادة المؤتمر الوطني

الافريقي والحزب الشيوعي في جنوب افريقيا ومؤتمر نقابات جنوب افريقيا هو وحده سيفتح الطريق صوب السلام والتقدم لجميع شعوبنا على اساس صوت واحد لكل فرد في جنوب افريقيا ديمقراطية موحدة كما هو مطروح في « ميثاق الحرية » الذي جرى تبنيه في « مؤتمر الشعب » في ١٩٥٥ . ان الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا يناشد القوى التقدمية في العالم لتصعيد حملتها لعزل نظام جنوب افريقيا الذي يتمكن من البقاء فقط بسبب الدعم والتواطؤ الذي يلقاه من حلفائه الامبرياليين .

وعبّر وفد الحزب الشيوعي العراقي عن تقديره الحار للدور الذي لعبه الحزب الشيوعي الشقيق في جنوب افريقيا في التضامن مع الشيوعيين العراقيين والشعب العراقي في النضال ضد الارهاب الفاشي على امتداد العقد الماضي . وأشار على وجه الخصوص ، الى الدور النبيل الذي لعبه الرفيق الراحل يوسف دادو ان الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا يواصل دعمه الحازم لنضال الشعب العراقي وأحزابه وقواه الوطنية من أجل الانهاء الفوري للحرب واسقاط الدكتاتورية في العراق واقامة البديل الديمقراطي الذي يحقق الديمقراطية للشعب العراقي والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان والحقوق المشروعة للاقليات القومية .

الحزب الشيوعي في جنوب افريقيا

الحزب الشيوعي العراقي

●

فلتتصاعد حملة التنديد بجرائم المحتلين الاسرائيليين في جنوب لبنان

بيان من الاحزاب الشيوعية والعمالية في بلدان المشرق العربي

تلقى الرأي العام اللبناني والعربي والعالمي باستنكار وغضب عميقين الجريمة البشعة التي ارتكبتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضد ابن الحزب الشيوعي اللبناني البار الرفيق حسين علي محمود الذي استشهد تحت التعذيب الشديد الذي تعرض له في اقبية المخابرات الاسرائيلية في معتقل الخيام بعد عشرة ايام من اختطافه .

ان هذه الجريمة الوحشية تشكل حلقة من سلسلة الممارسات الفاشية لقوات الاحتلال الاسرائيلي ضد الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين وضد كل من يتصدى للعربدة الاسرائيلية في لبنان الشقيق . وهي تأتي كرد فعل لتصاعد مقاومة الجماهير اللبنانية للاحتلال الاسرائيلي والتآمر الامبريالي الأمريكي ولطموح الأوساط الوطنية اللبنانية الى توحيد صفوفها لانقاذ الشعب اللبناني من الاحتلال الاسرائيلي ، واستعادة وحدته . كما انها امتداد للارهاب الاسرائيلي ضد الشعب العربي الفلسطيني والجماهير المنتفضة في الضفة الغربية وقطاع غزّة ، وتعكس صلف الأوساط الحاكمة الاسرائيلية وتجاهلها لكل الرأي العام الدولي الذي يطالب بتسوية سلمية عادلة لمشكلة الشرق الأوسط .

ولا بدّ هنا من الاشارة الى أن السلطات الاسرائيلية بعد ان اغلقت معسكر انصار أثر اجبارها على الانسحاب من المنطقة فقد بادرت على انشاء معسكرات اعتقال جديدة ومنها معتقل الخيام الذي يضم أكثر من ٥٠٠ من المناضلين الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين .. وترفض الاوساط الحاكمة الاسرائيلية استقبال مبعوثي تقصي الحقائق ومن ضمنهم الصليب الاحمر الدولي للتحقيق في ظروف المعتقلين والتعذيب الذي يتعرضون له .

إن أحزابنا الشيوعية والعمالية في بلدان المشرق العربي اذ تدين هذه الجريمة النكراء والجرائم المتنوعة الاخرى التي ترتكبها بحق الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين ، من حصار للقرى وحرق للمزارع وتدمير للمنازل الى اقتطاع الاراضي وشن الغارات الوحشية على المخيمات الفلسطينية ، لتعرب عن تضامنها مع الحزب الشيوعي اللبناني الشقيق ، ومع كل الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين في نضالهم الجسور ضد المحتلين الاسرائيليين ، وتناشد كل قوى التحرر والتقدم والقوى الخيرة في العالم والمنظمات الدولية الى رفع صوتها لادانة هذه الجريمة الوحشية للمحتلين الاسرائيليين ، والى تشديد تضامنها مع كل الوطنيين اللبنانيين من أجل تصفية الاحتلال الاسرائيلي ودعم الشعب اللبناني في نضاله من أجل وحدة لبنان واستقلاله وعروبته وتطوره الديمقراطي .

- الحزب الشيوعي الأردني .
- جبهة التحرير الوطني البحرانية .
- الحزب الشيوعي السوري .
- الحزب الشيوعي العراقي .
- الحزب الشيوعي الفلسطيني .
- الحزب الشيوعي في السعودية .
- الحزب الشيوعي المصري .

●

الكونفرس الحزبي العام للحزب الاشتراكي اليمني ٢٠ ــ ٢١ حزيران ١٩٨٧

تحت شعار (لنناضل من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية وتنفيذ الخطة الخمسية وتحقيق الوحدة اليمنية) انعقد الكونفرنس الحزبي العام للحزب الاشتراكي اليمني في الفترة ٢٠ ــ ٢١ يونيو ــ حزيران ١٩٨٧ م . وصدرت عنه جملة من القرارات والمهام ، اقرتها اللجنة المركزية للحزب في اجتماعها الثاني للدورة التاسعة الاستثنائية ، كان أبرزها ما يلي :

● يقر الكونفرنس التقرير السياسي مع المداخلات ويعتبرها كبرنامج عمل لمختلف الهيئات الحزبية والحكومية والمنظمات الجماهيرية والاتحادات الابداعية ويوصي اللجنة المركزية باتخاذ الاجراءات العملية لتنفيذها .

● يؤكد الكونفرنس على ضرورة تعزيز الوحدة المبدئية للقيادة ــ اللجنة المركزية والمكتب السياسي .

● يؤكد على تعميق مستوى التربية الايديولوجية للاعضاء والاعضاء المرشحين على اساس افكار الاشتراكية العلمية .

● يؤكد على تعزيز البنية الطبقية للحزب من بين أوساط الطبقة العاملة بدرجة رئيسية .

● تعزيز الوحدة التنظيمية للحزب بالالتزام الصارم لاحكام النظام الداخلي .

● شن نضال لا هوادة فيه ضد التيارات الانتهازية اليمينية واليسارية .

● تعزيز الدور القيادي للحزب في اطار المنظومة السياسية للمجتمع .

● تطوير العلاقات المبدئية الشاملة مع الاحزاب الشيوعية والعمالية .

● تعزيز الدور القيادي للحزب في توجيه أجهزة السلطة الحكومية والمنظمات الجماهيرية .

● استكمال بناء هيئات السلطة الشعبية المنتخبة من القمة الى القاعدة .

● الاهتمام بتطوير المؤسسات العسكرية والأمنية .

● تطوير أوضاع المنظمات الجماهيرية وتوسيع طبيعتها الديمقراطية واشتراكها في ادارة شؤون الدولة والمجتمع .

● مواصلة نشر وترسيخ أفكار الاشتراكية العلمية والثقافية الوطنية التقدمية في صفوف الحزب والجماهير من خلال تطوير معهد عبد الله باذيب للاشتراكية العلمية وجامعة عدن ووسائل الاعلام الجماهيري والعمل على رفع مستوى التعليم العام .

● وفي المجال الاقتصادي اكد الكونفرنس على ضرورة تطوير قطاع الدولة والقطاع التعاوني واعطاء اهمية خاصة وسريعة لمعالجة اوضاعها الفنية والمالية والتنظيمية ورفع فاعليتها الانتاجية وتحقيق الانسجام بين السياسة الاقتصادية للحزب وتطبيقها في الواقع الملموس وتحديد أولويات التطور في التنمية .

● وعلى صعيد القضية الوطنية اكد الكونفرنس على إنّ صواب سياسة حزبنا والتفاف الجماهير حولها قد شكل أساساً لنضال الحزب والشعب على صعيد القضية الوطنية والعمل الوحدوي المشترك بين الشطرين ، وأمّن امكانية الاستمرار وتحقيق نجاحات ملموسة ، ونبذ الاسلوب الدعائي والتركيز على المجالات الاساسية الممكنة للعمل المشترك الموحد والذي يمس فعلاً مستقبل الشعب والوطن .

● وعلى صعيد السياسة الخارجية أكد الكونفرنس على تطوير العلاقات المبدئية مع البلدان الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي في كافة المجالات الاقتصادية ، السياسية ، العسكرية ، وتطوير علاقات التضامن الاممي مع الطبقة العاملة وأحزابها الطليعية في البلدان الرأسمالية وبلدان حركة التحرر الوطني ورفع فاعليتها في النضال المشترك ضد الامبريالية ومن اجل الانفراج الدولي والتقدم الاجتماعي ومواصلة دور نظامنا التقدمي في اطار حركة التحرر الوطني العربية وتعزيز دور العلاقات مع فصائلها لمواصلة الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية ومشاريعها الاستسلامية التصفوية وتحقيق حقوق الشعب الفلسطيني ومواصلة تطوير علاقات بلادنا بالبلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة على اساس مبدأ التعايش السلمي واحترام السيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والمنفعة المتبادلة والاشتراك النشط في النضال من أجل السلام العالمي .

وقد وجه رئيس وفد الحزب الشيوعي العراقي الرفيق عبد الرزاق الصافي تحية الأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية في الكونفرنس الحزبي العام فيما يلي نصها :

الرفاق الاعزاء اعضاء هيئة رئاسة الكونفرنس الحزبي العام للحزب الاشتراكي اليمني والرفيقات والرفاق الاعزاء مندوبو الكونفرنس .

الرفاق الضيوف الكرام :

يسعدنا أن نشارك في هذا الكونفرنس الهام في حياة الحزب الاشتراكي اليمني الشقيق المكرس لمشروع الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية في الفترة من ١٩٧٨ حتى ١٩٨٦ م والتي تعقد في عام الذكرى الخامسة والعشرين لانطلاقة الثورة وعام الذكرى العشرين لاستقلال اليمن الديمقراطية .

ويشرفني ان تكون هذه الكلمة باسم حزبنا الشيوعي العراقي وباسم الاحزاب الشيوعية والعمالية الشقيقة في البلدان العربية التي تحضر هذا اللقاء معربة بذلك عن اهتمامها الكبير بالتجربة الثورية في هذا البلد المناضل والحزب الشقيق الذي يقود هذه التجربة . ولا شك أن هذا الاهتمام الكبير لم يأت عفو الخاطر أو بالصدفة بل هو نتيجة للمكانة التي تحتلها تجربة اليمن الديمقراطي وحزبه الطليعي في مجموع حركة التحرر الوطني العربية وهي تجربة مرت بمراحل عديدة وسعت الى الحفاظ على خط سيرها الصاعد .

ويودنا — رفاقنا الاعزاء — أن نغتنم هذه الفرصة لنتوجه بالشكر الى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والى الحزب الاشتراكي اليمني الشقيق على ما قدماه ويقدمانه من دعم وتضامن بمختلف الاشكال لاحزابنا في نضالها الصعب لتحقيق الاهداف النبيلة التي تناضل من أجلها .

رفيقاتنا العزيزات

رفاقنا الأعزاء :

تمر حركة التحرر الوطني العربية هذه الايام بمرحلة صعبة من مراحل تطورها وقد شهدت الفترة الاخيرة عدداً من النجاحات التي تدلل على ما لهذه الحركة من طاقات كفاحية كبيرة بامكانها ان تحقق المزيد من الانتصارات اذا ما وحدت قواها وانتهجت خطاً نضالياً واضحاً في العداء للامبريالية والصهيونية والرجعية والاعتماد على الجماهير الشعبية الواسعة وزجها في المعارك النضالية .

وحسبنا ان نشير على سبيل المثال الى ما حققته جماهير الشعب السوداني البطل عندما تصدت لحكم نميري العميل وأسقطته بفضل وحدة نضال فصائلها الوطنية المكافحة ضد الدكتاتورية . وحسبنا أن نشير ايضاً الى المآثر البطولية المستمرة التي تجترحها الجماهير الفلسطينية في الاراضي المحتلة ضد الاحتلال الاسرائيلي وجماهير الحركة الوطنية والمقاومة الوطنية اللبنانية في نضالها من أجل لبنان عربي ديمقراطي موحد .

وبالأمس القريب حققت الثورة الفلسطينية نصراً هاماً بعقد المجلس الوطني الفلسطيني ونجاحه .. هذا النجاح الذي اعاد الوحدة الى منظمة التحرير الفلسطينية على اسس العداء للامبريالية والصهيونية .. الوحدة التي نأمل لها المزيد من التوطد والرسوخ .. بمشاركة كل الفصائل الوطنية الفلسطينية فيها وباستعادة العلاقات الكفاحية الصميمية بين المنظمة وسوريا الصامدة بوجه المخططات الامبريالية والصهيونية . وقد كان لليمن الديمقراطي دور مشهود في كل ما تحقق .

أيتها الرفيقات :

أيها الرفاق :

ان جرح الحرب العراقية الايرانية ما يزال نازفاً وبشدة مبدداً طاقات هائلة لحركة التحرر الوطني العربية والقوى المعادية للامبريالية في المنطقة ومنذ اشعال هذه الحرب الحمقاء في الثاني والعشرين من ايلول ١٩٨٠ م بدفع من الامبرياليين والرجعيين ولتحقيق اطماع ونوازع توسعية ، وبسبب التعنت والاصرار على مواصلتها الآن الأمر الذي يخدم المخططات الامبريالية والصهيونية .

اننا ندعو الى وقف هذه المجزرة المدمرة وحل الخلافات بين البلدين بالطرق السلمية بما يخدم مصالح الشعبين ويصون سيادتها الوطنية وحرمة ترابهما وحدودهما الدولية قبل بدء الحرب .. ذلك أن وقف الحرب على اسس عادلة هو ما تطالب به أحزابنا وشعوبنا وقوى السلم في العالم وهيئة الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز وغيرها من المنظمات الدولية . وقد جسد بيان الحكومة السوفييتية في كانون الثاني من هذا العام هذه الأسس وحظي بتأييد أحزابنا الشقيقة وكل القوى المحبة للسلم في العالم . كما أن وقف الحرب على هذه الأسس هو الكفيل بدرء مخاطر تزايد التدخل الامبريالي وخصوصاً الأمريكي في شؤون شعوب الخليج والجزيرة العربية والمنطقة ككل ومخاطر تعاظم الوجود العسكري لقوات حلف الاطلسي بذريعة الحرب . وهو الكفيل بدرء أخطار توسيع الحرب وتدويلها وما يشكله ذلك من أخطار على السلم العالمي .

كما تشهد الساحة العربية نضالات بطولية تقوم بها الجماهير الشعبية وطلائعها الثورية .. فالشعب العراقي يواصل النضال في ظروف غاية في الصعوبة من أجل انهاء الحرب المدمرة وتحقيق الديمقراطية والسلم والحكم الذاتي لكردستان العراق .

ويناضل الشعب المصري من أجل القضاء على اتفاقيات كمب ديفيد المذلة ويتصدى الشعب الليبي بشجاعة لتطاولات الامبرياليين الامريكان . ويستمر

النضال من أجل الديمقراطية وتوطيد الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي في كل البلدان العربية بوجه تعاظم الهجوم الامبريالي الصهيوني الهادف الى فرض الهيمنة التامة على المنطقة وشعوبها بقيادة ادارة ريغان المتحالفة استراتيجياً مع حكام تل أبيب الصهاينة العنصريين .

أيتها الرفيقات :

أيها الرفاق :

لقد اطلعنا على الوثيقة التقييمية كما استمعنا باهتمام الى تقرير اللجنة المركزية الذي القاه الرفيق الامين العام علي سالم البيض . ويودنا أن نقدم الشكر الرفاقي على دعوتنا لحضور هذا الكونفرنس الهام .

ولا شك أن المبادرة بعقد الكونفرنس وصياغة وثائقه تعكس الرغبة في استخلاص الدروس والعبر من المسيرة الغنية بكل جوانبها الايجابية والسلبية وبالتأكيد على ما هو ايجابي والعمل على استبعاد كل ما هو سلبي . وقد أحسسنا أمس واليوم بانشداد حزبكم ومناضليه الى المستقبل مجسدين بذلك أحد المتطلبات الرئيسية للنجاح بانجاز المهمات التي أخذتموها على عاتقكم .

ولسنا نريد ان نضع انفسنا مكانكم في تحليل أسباب ما جرى .. ولكننا نجد انفسنا متفقين معكم في التوجهات الاساسية التي وضعتها الوثيقة للمستقبل وأكدها تقرير اللجنة المركزية الى الكونفرنس. ونتمنى لكم النجاح في تحقيق هذه التوجهات المهمة .

فاننا لا يمكن الا أن نكون معكم في نضالكم ضد النزعات الاصلاحية وضد ظاهرة النزعة الفردية وفي تأكيدكم القاطع على ضرورة بناء الحزب على الاسس العلمية المجربة أسس الديمقراطية المركزية والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتي وتأمين وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية وضمان دوره القيادي في المجتمع .

ولا يمكن أن لا نكون معكم في التأكيد على الولاء المطلق للحزب ومبادئه وليس لأية مؤسسة قبلية أو منطقية أو غيرها . وكذلك تأكيدكم على ضرورة الاصغاء للجماهير الشعبية والمنظمات الحزبية في القاعدة والتمسك بالقيادة الجماعية في ظل النقاش الحر الواعي الذي يمكن عن طريقه تجسيد العقل الجماعي للحزب والتعبير عن وحدته الصلبة هذه الوحدة التي نأمل أن تكون عاملاً أساسياً لتحقيق وحدة كل المناضلين الذين يؤمنون بالاشتراكية العلمية ويناضلون من أجل تحقيق الأهداف النبيلة التي نصت عليها وثائق الحزب البرنامجية .

ولاشك أن هذه الوحدة ستكون الأساس الصامد لوحدة الشعب وجماهيره الكادحة هذه الجماهير التي لا تشك لحظة في انها مع نهج الحزب نهج التوجه الاشتراكي .

واننا مع مارسمته الوثيقة من توجهات بشأن تعميق مستوى التربية الأيديولوجية على اساس الفكر الاشتراكي العلمي وتعزيز البنية الطبقية للحزب والتوجه نحو اوساط الطبقة العاملة بدرجة رئيسية وكل الذين يثبتون بالملموس انحيازهم التام الى جانب الطبقة العاملة وفكرها ودحض تأثير الميول المناطقية داخل الحزب وتعزيز وحدته التنظيمية والديمقراطية الحزبية وشن نضال لا هوادة فيه ضد التيارات الانتهازية اليمينية واليسارية المعادية لنهج الحزب وتطوير علاقاته المبدئية مع الاحزاب الشيوعية والعمالية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي على أساس الافكار الاشتراكية والعلمية والاممية والبروليتارية .

وكذلك الحال بشأن التوجهات لترسيخ سلطة الدولة على أسس الديمقراطية وتطوير العمل الايديولوجي والثقافي بما يضمن نشر وتعميق نظرية الاشتراكية العلمية والثقافة الوطنية التقدمية في صفوف الحزب والجماهير .. وتعزيز نضال الحزب من أجل تطوير القوى المنتجة وعلاقات الانتاج الجديدة وتحسين الحياة المعيشية للشعب عن طريق تعزيز وتطوير قطاع الدولة والقطاع التعاوني وتحقيق الانسجام بين السياسة الاقتصادية للحزب وتطبيقها في الواقع الملموس وغيرها من التوجهات التي نصت عليها الوثيقة وخصوصاً وضع البرامج الملموسة لتطوير

العلاقات الاقتصادية مع البلدان الاشتراكية .

وبصدد الوحدة اليمنية. التي عانى العمل من أجلها الكثير من السلبيات نجد ان الوثيقة تضع توجهاً صائباً يقضي بالعمل على تعميق وتقوية الاسس والمقومات المادية لوحدة الكادحين والشعب اليمني والقضاء على التجزئة الاقتصادية والاجتماعية في كل من شطري البلاد وتحقيق الانفكاك من علاقات التبعية للامبريالية وللسوق الرأسمالية العالمية وتعزيز الاستقلال الاقتصادي والسير باتجاه التكامل الاقتصادي بين الشطرين بآفاق تحررية وطنية توحيدية .

كما أن الاسس والتوجهات التي وضعتها الوثيقة للسياسة الخارجية وتطويرها على أساس مبدئي التضامن الأممي والتعايش السلمي هي أسس وتوجهات صائبة وخصوصاً تطوير العلاقة المبدئية مع بلدان المنظومة الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفييتي الصديق .

وكذلك ما أكد عليه تقرير اللجنة المركزية من تأييد مطلق للمقترحات والمبادرات السلمية التي قدمها الاتحاد السوفييتي لضمان السلم على كوكبنا وتجنيبه مخاطر الهلاك النووي وحماية الحياة البشرية وهو ما نشارككم فيه كلياً .

رفيقاتنا العزيزات

رفاقنا الأعزاء :

إن إنجاز كل هذه التوجهات الصائبة يتطلب تحقيق تعبئة كل القوى ، الحزب والطبقة العاملة والجماهير الكادحة .. كل قوى الشعب وعلى مقدار النجاح في تحقيق هذه التعبئة يتوقف النجاح في انجاز هذه التوجهات واننا لنثق بقدرة حزبكم الشقيق ومناضليه البواسل على مواجهة الصعوبات الجمة والتغلب عليها .

ونؤكد لكم أن شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ليس وحده في هذا الكفاح بل تدعمه شعوبنا العربية كلها وكل القوى التقدمية في العالم وفي طليعتها صديق الشعوب الوفي الاتحاد السوفييتي العظيم .

مع تمنياتنا القلبية بالنجاح ..

وليعش الحزب الاشتراكي اليمني الشقيق ! .

والمجد للشعب اليمني المناضل ! ..



لقاء الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني مع وفود الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية

AL.THKAFA AL.JADIDA
MONTHLY MAGAZINE ISSUED BY IRAQI COMMUNIST PARTY

السعر: دينار واحد